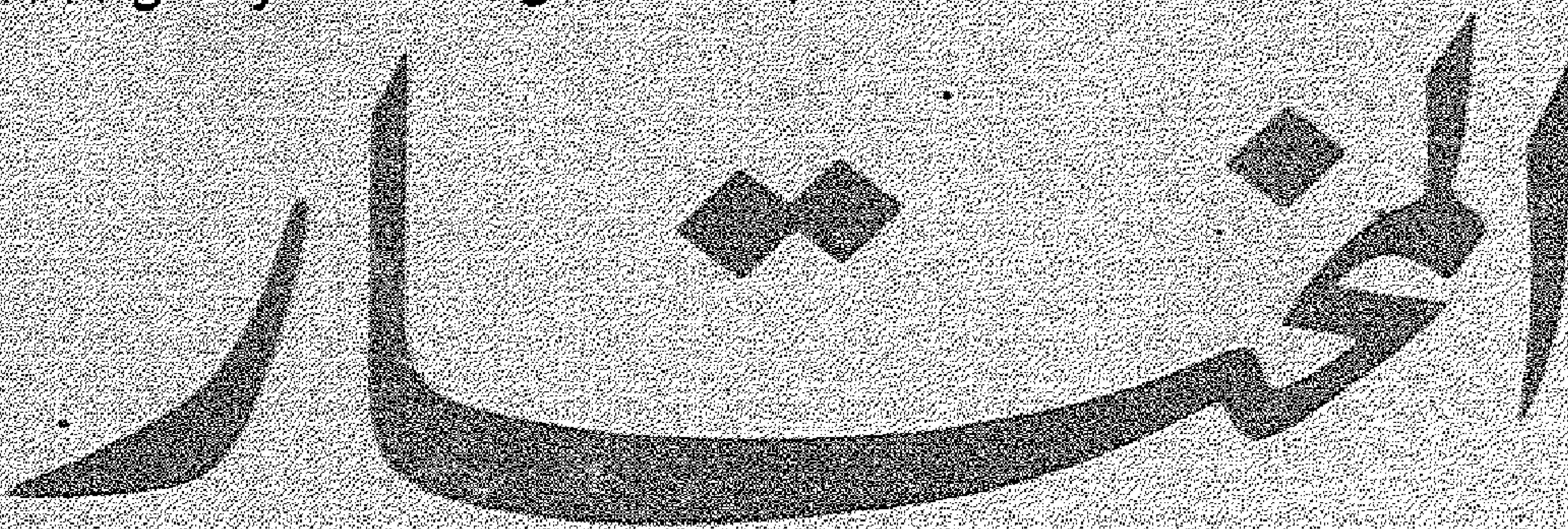
آب (اغسطس) ١٩٧٩ – رمضان ١٣٩٩





من ريدرز دايجست

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ق – سورية ٦٠٠ق – الاردن ٥٠٠ف – الكويت ٥٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٦د – قطر ٦ر – البحرين ٦٠٠ف – السعودية ٦ر – مصر ٥٠٠م – السودان ٥٠٠م – ليبيا ٦٥٠د – اليمن الجنوبية ٦ر – مسقط ٦ر – العراق ٦٠٠ف – تونس ٧٠٠م – المغرب ٣د – الجزائر ٧د – فرنسا ٧ف – انكلترا ٧٥ب – اليونان ١٠٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢د٠

سيكون التلفزيون أكثر متعة
لو أنتجت البرامج بنفسك



يكتسب تسجيل البرامج التلفزيونية (الفيديو) في منزلك ابعادا جديدة اكثر اثارة حين تضيف الى نظامك التلفزيوني آلة تصوير ملون (فيديو) وتبدأ انتاج البرامج بنفسك، ولا سيما حين تكون هذه الآلة نقالة وسهلة الاستعمال ولها خصائص "آلات تصوير هوليوود" مثل عدسة ٦ اكس ذات القدرة الفائقة على تغيير بعد اللقطة وجهاز تعيين المنظر ذي الدورة الكاملة.

VHS

بهذه الطريقة بالضبط صممنا آلة التصوير التلفزيوني الملون ج.س. - ٤١٠٠. فاذا اضفت اليها مسجل الكاسيت هـ.ر - ٤١٠٠ المرافق للشريط التلفزيوني الملون النقال وجهاز تنغيم تلفزيوني، فستحصل على كل ما تحلم به: نظام تلفزيوني منزلي متعدد الاستعمالات في مجموعة متكاملة.

اننا نعرف ذلك. فنحن JVC - شركة الصناعات الالكترونية السمعية / التلفزيونية التي حققت ابتكارات عدة وطورت نظام VHS طوال ٥٤ سنة من الخبرة.

اعتمد علينا في جعل حياتك اكثر تشويقا وفائدة. زر اقرب وكيل معتمد لـ JVC اليوم واكتشف طريقتنا في جعل تلفزيونك اكثر متعة.

JVC جي في سي



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي: **مؤنس طه حسين ٠**
رئيس التحرير: **ادمون صعب ٠**
رئيس التحرير المعاون: **اديب صعب ٠**
مدير التحرير: **فؤاد غطاس كرم ٠**
امانة التحرير: **رينا نداف ٠**
الاخراج: **اروى سيف الدين ٠**

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس ٠

الناشر:
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية ٠

المؤسسون: **غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح ٠**

الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية SEPI

الادارة والتحرير والاشتراكات:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE
Tel 7204542 7237422 Telex 612687 F

الاعلانات:

TAMAM **شركة تمام**
28, Rue de Berri, 75008 Paris, FRANCE

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات ٠

الصف والتنفيذ:
شركة المطبوعات العربية ـ باريس ٠

الطباعة:
بوليغرافيتشي اديتوريالي - بولونيا - ايطاليا ٠

الخط: **محمد ماجد ٠**

الطبعات الدولية لـ **"ريدرز دايجست"**

المدير العام: **جون أ٠ اوهارا ٠**

مدير التحرير: **آلان دوليرو ٠**

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية ٠

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.
Nº DE LA COMMISSION PARITAIRE 3398RL

الغلاف: هدية عرس مطرزة لفنان هندي مجهول

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest
August 1979 Nº9 *(New Series)*, Vol.1



POLIGRAFICI EDITORIALE SPA PRINTED IN ITALY



اصداء من عالم الطب

سر اطفال انابيب الاختبار

كشف الطبيب الانكليزي باتريك ستيبتو اخيرا كيف توصل مع الفيزيولوجي روبرت ادواردز الى توليد طفلين بواسطة انابيب الاختبار. فقد استطاعا تكوين اجنة لدى النساء اللائي يعانين انسداد قناة فالوب التي تنقل البييضات من المبيض الى الرحم او اللائي لا وجود لهذه القناة لديهن بينما لا يواجهن خللا في عمل المبيض او الرحم، عبر الطريقة الآتية:

بعد اكتمال فترة الحيض، يترقب الاطباء ظهور اعراض نضوج البييضة في مبيض المرأة. وقد غدت هذه العملية الاساسية اليوم اكبر سهولة بفعل اختبار جديد للبول يرصد "تدفق الهورمون اللوتيني" المسؤول عن انبثاق البييضة. ذلك لان الارتفاع الكبير في نسبة هذا الهرمون الذي تفرزه الغدة النخامية يعني ان عملية الاباضة (انتاج البيض) باتت وشيكة. وعند ذاك يقحم جهاز كاشف للاحشاء الداخلية (لاباروسكوب) عبر جدار البطن لتمكين الاطباء من تحديد المنطقة التي تنضج فيها البييضة. وبالاستعانة بابرة وحقنة، تستخلص بييضة واحدة وتوضع في وعاء مخبري لزراعة الانسجة، حيث تغمر في سائل مغذ خاص وتلقح بمني الاب. وخلال ثلاثة ايام تقريبا، تنقسم البييضة الملقحة الى ثماني خلايا او ست عشرة خلية. وعند ذاك توضع على طرف انبوب مطاطي خاص لتحقن ثانية في رحم الام عبر المهبل، ومن ثم تأخذ بالتطور. وكان الخبراء يظنون سابقا ان من الضروري نمو الجنين في الوعاء حتى يكتسب اكثر من مئة خلية.

ويقول الدكتور ستيبتو في معرض تحذيره من موجة الاقبال على اطفال انابيب الاختبار: "ان الطريقة تحققت، لكنها ليست سهلة على الاطلاق". والواقع انه من بين ٣٢ محاولة تلقيح بانابيب الاختبار، لم يعمر سوى طفلين.

ر.س.

القرحة الموروثة

يسلم الاطباء بان قرحة المعدة تنجم عن عوامل وراثية وبيئية في آن واحد. لكن مشكلة تحديد العوامل المسببة لها ظلت قائمة. وقد نشر الدكتور جيروم روتر من مستشفى هاربور العام في تورانس (ولاية كاليفورنيا)، بالاشتراك مع فريق من زملائه

تقريرا في "مجلة نيو انغلاند الطبية" يتضمن اقوى ما تم التوصل اليه حتى الان من ادلة حول العلاقة بين الوراثة وانواع كثيرة من قرحة المعدة، وبالتحديد، فان احتمال اصابة الاشخاص الذين ورثوا نسبة عالية من مادة مولد الببسين الكيميائية في دمهم (والببسين خميرة الهضم في المعدة) بأحد انواع القرحة، اكبر بخمسة اضعاف بالمقارنة مع الذين لم يرثوا هذه المادة.

وقد درس الاطباء عائلتين كبيرتين لهما سوابق في الاصابة بقرحة "الاثني عشر" فوجدوا ان نسبة مولد الببسين المرتفعة لديهم هي خاصة وراثيةيمكن انتقالها عبر الام او الاب. كما ان ٤٠ في المئة من حاملي هذه المادة مصابون بقرحة الاثني عشر"، بينما لم يصب أي ممن خلوا من هذهالمادة بالمرض. وتوحي هذه الادلة بأن بعض الاشخاص معرضون بالوراثة للقرحة، لكن العوامل البيئية غير المحددة بعد قد تطلق العنان للمرض.

ويعد هذا البحث خطوة نحو الوقاية من المرض، اذ يمكن للاطباء تحديد الاشخاص المعرضين للقرحة نظريا، ومن ثم يستطيعون تمييز العوامل البيئية المحيطة بمن يصاب من هؤلاء فعلا بالقرحة.

ت.ف.

علاج جديد لامراض اللثة

يطبق الدكتور بول هـ. كايس علاجا قليل الكلفة لامراض اللثة الخطرة ضمن برنامج تجريبي في المعهد القومي الامريكي لبحوث طب الاسنان. ويبدو ان النتائج المحققة طيبة.

يتم اولا فحص الجراثيم المسببة للمرض والمتجمعة حول السن تحت حافة اللثة، ثم ينظف السن وتزال القشرة الموبوءة وتنظف جيوب اللثة، اي الفراغ المكون حول جذور السن بفعل الجراثيم).

واخيرا يدرب المرضى على تنظيف اسنانهم باتقان وعلى دلك اللثة بمعجون مصنوع من صودا الخبز وبروكسيد الهيدروجين المحتوي على نسبة عالية من الاوكسيجين، وتغذية جيوب اللثة بمحلول ملحي قوي تضخه أداة كهربائية. وهذه اجراءات يجب فعلها يوميا. ويتم اللجوء الى المضادات الحيوية عند الضرورة للسيطرة على الجراثيم.

وتجدر الاشارة الى ان اشراف الطبيب على متابعة العلاج امر ضروري.وعند كل زيارة للطبيب، يتمكن المرضى من التعرف على ما حققوا من تقدم بفضل استخدام الدكتور كايس مجهرا مربوطا بآلة تصوير تلفزيونية تتولى عرض الجراثيم المنتزعة من حول الاسنان على شاشة تتيح للمرضى القاء نظرة دقيقة عليها.

و.هـ.

السجائر القاتلة

جاء التقرير الجديد لرئيس خدمات الصحة العامة في الولايات المتحدة عن اخطار التدخين على الصحة اكثر ترويعا من التقرير الذي اصدرته دائرته ذاتها قبل ١٥ سنة. فالادلة على ارتباط التدخين بامراض القلب والسرطان قويت كثيرا. وتربط المعطيات الجديدة بين التدخين وعدد متزايد من امراض القصبات الهوائية والحساسية والاستجابات المعاكسة عند تناول العقاقير. اما بالنسبة الى الحوامل والاطفال والعمال المعرضين للكيميائيات السامة، فالتدخين أشد خطرا.

ويجمل وزير الصحة الامريكي السيد جوزيف كاليفانو الامر بقوله: "يبدو التدخين اليوم اشد خطرا بكثير مما كان يبدو عام ١٩٦٤". ولن يثير هذا الاستنتاج استغراب أحد في الواقع. فمعظم المدخنين يعي الخطر جيدا. كما ان اغلبهم حاول الانقطاع عنه او انه يود ذلك. لكن المشكلة تظل قائمة: كيف نقضي على "عادة التبغ"؟

وحول هذه النقطة لا يعطينا التقرير سوى ارشادات عامة. اذ من الغريب اننا لا نعرف الا القليل عن الاسباب التي تدفع الناس الى بدء التدخين او عن طريقة مساعدتهم للتوقف عنه. لذلك لا بد من ان ينتقل تركيز البحوث من التثبت من الاخطار الى استكشاف العلاجات.

(صحيفة "النيويورك تايمس")

عَاشق الجُزر

كانت الجزر في حاجة الى من··· يعشقها فجاء هذا الكاتب وحقق رغبتها

تتملكني الرغبة منذ سنوات في ادخال كلمة جديدة على اللغة هي لفظة "نيسومانيا" المشتقة من الكلمتين اليونانيتين "نيسوس" بمعنى الجزر "ومانيا" الجنون· واقصد بكلمتي الجديدة ان اعبر عن ذلك الداء المحبب الذي عانيته معظم حياتي· والحق انني مولع بالجزر حتى الجنون· فأنا استجيب لها، وهي تستجيب لي، فترتاح نفسي كلما اقتربت اليها وينشرح صدري عندما الوذ بحماها·

بورا - بورا، "أجمل جزيرة على الارض"



وقد الهبت الجزر مشاعري منذ عهد طفولتي، فيما كنت اطالع الكتب فأقول لنفسي، مثلا، لولا اعتزاله في الجزيرة لكان روبنسون كروزو شخصا عاديا بمجرد ان يخوض المياه الضحلة الى تربة القارة. اما بقاؤه فوق جزيرته فقد جعل منه رمزا واسطورة تتحدى الزمن. كذلك نابليون فلو انه نفي الى القرى لما كان من محارب سابق يعاني عسر الهضم ولكنه اصبح بطلا اسطوريا فوق جزيرته السامقة المنعزلة.

وقد انقلب جنون الجزر عندي الى مرض عضال خلال عام ١٩٣١ عندما ذهبت الى اسكوتلندا لمتابعة دراستي العليا واستولت علي في اثناء شتاء قضيته بعيدا عن اليابسة على تلك الجزر الخلابة عبر ساحل اسكوتلندا الغربي، واعني بها جزر الهبريد.

ما اصغر تلك الجزر الغيلية وما انأى موقعها في المحيط الكبير الذي تتوق اليها امواجه وتتراكض على اعتابها، وكم تأصلت جذورها في اعماق الزمن. فقد عشت هناك مع اناس تعود عاداتهم ومواقفهم من الحياة الى القرن الخامس عشر ويتكلمون لغة قديمة ويخوضون حربا لا هوادة فيها مع البحر.

في فصل الشتاء تشرق الشمس في التاسعة صباحا وتبدأ افولها في الثالثة بعد الظهر، وكنا نقضي الليالي الطويلة في الغناء ورواية القصص البطولية وننام على سيرة مغامراتنا مع المحيط. ولم أدرك آنئذ ان ولهي بالجزر الصوفية الهادئة سيكون له مثل هذا الصدى البعيد على حياتي كلها.

ثم اندلعت الحرب العالمية الثانية فأوفدت الى جزر نيوهبريد (في جنوب غرب المحيط الهادىء)، المكسوة بالغابات الحارة الرطبة حيث دارت بي الحياة دورة كاملة، وباشرت هناك تأليف كتابي "حكايات جنوب المحيط الهادىء" الذي وان يكن نتاج خبراتي المباشرة في جزر نيوهبريد، الا ان مصدر وحيه الروحي قد استقيته من ذكرياتي عن جزر هبريد القديمة، حيث تعلمت مغزى الجزر وجوهرها.

واتيح لي في السنوات التالية ان ازور معظم جزر العالم المهمة، مثل جزر نيوغينيا الكالحة التي تعد عالما قائما بنفسه، وجزيرة بالي الفاتنة، حيث كل شيء تحفة فنية بما في ذلك ابواب البيوت، وجزر فولكلاند العاصفة بها الرياح، وجزيرة بيتكيرن المتجهمة الوعرة التائهة في البحار الجنوبية، وتاهيتي جزيرة الاحلام، ثم بورا - بورا اجمل جزيرة في العالم والتي تتنافس موسيقاها مع موسيقى اسمها وتزهو كمالا يفوق كمال سلسلة الصخور المرجانية التي تساور بقاياها البركانية.

جوهر الجزر - والان بماذا تتميز الجزر، واي جوهر ذاك الذي هو جوهرها؟

انها تتميز، اولا، بان المحيط الفسيح يهفو اليها ويحتضنها في عزلة حميمة، منفردة، مستقلة، فاذا بها شيء لا يضاهيه شيء آخر من حوله، وعالم صغير في ذاته. وتتخذ الاشياء الصغيرة على الجزيرة نوعا من الاهمية: سمكة تسبح في البحيرة الضحلة على الشاطىء: مقدار المصيد من السمك في اليوم الواحد، وتجفيف ثمار جوز الهند، فتاة شابة تسافر

لرؤية نيوزيلندا، ومركب مقبل من تشيلي. وفي يقيني انني تلمست الحياة على الجزر النائية بانفعال عميق وقوي لم اختبره في المدن الكبيرة على القارة بسبب ما تكتسبه احداث اليوم العابر الطفيفة من اهمية واقعية. فلا يستطيع المرء ان يقيم فترة طويلة على الجزر من دون ان تغمره مآسي البشر او تبهجه افراح نجاحهم.

والميزة الثانية هي ان الجزيرة مقيمة اطلاقا على صلة وثقى بالطبيعة. فالبحر موجود في كل مكان وفي جميع الاوقات، والطيور تجيء وتروح، والنجوم تتألق في السماء قريبة من الارض، وشمس الظهيرة الساطعة حقيقة لا سبيل الى تجاهلها.

وعندما تعصف الرياح وتثور الامواج، يبقى هناك احتمال بان تجرف مياه الاعصار سطح الجزيرة وتغسلها بأكملها.

والميزة الثالثة ان الجزيرة يتم تطورها تبعا للطريقة الخاصة بها، كما حدث، مثلا، لتلك الجزيرة الكبيرة الجميلة سري لانكا، (سيلان سابقا)، التي تطورت بعض الشيء في ظل تأثير الهند المجاورة، ولكنها تطورت في الجانب الآخر على طريقتها المستقلة بتقاليدها الاصيلة واسلوبها المتميز. ومن اين كان للثقافة الفرنسية ان تتسم بمثل ذلك الافراط في التعبير الذي تبدو به في المارتينيك لو لم يكن هذا البلد جزيرة لها مطلق الحرية في ان تنقل نقلا حرفيا او ان تتصرف بما تنقله على النحو الذي يلائمها؟

وتعتبر هاواي من انجح الامثلة لسنة التميز الذاتي التي ادت بها الى تكوين شخصيتها الفريدة الجامعة في مزيجها الباهر بين العناصر البولينيزية وعناصر نيو - انغلاند الامريكية والعناصر الشرقية.

والميزة الرابعة هي ان الجزيرة كثيرا ما تكون صغيرة الحجم مما يتيح سهولة فهمها. فمن ذا الذي يستطيع ان يفهم البرازيل التي تضم عشر قوميات على الاقل، او الاتحاد السوفييتي الذي يقارب عدد قومياته المئة؟ ولكن يستطيع اي انسان ان يذهب الى جزيرة موريا، تلك الجوهرة المتلألئة من الجبال الخضراء والبحيرات الزرقاء، وان تتاح له فرصة طيبة لرؤية كل ما تمكن مشاهدته والتعرف الى الناس الذين يسكنون الجزيرة. وربما كان من بواعث الاطمئنان في عصر تسيطر عليه الضخامة ان نعرف ان ثمة في البحر الكاريبي جزيرة مثل "سان بارتلمي" يسكنها ٢٥٠٠ نسمة ومساحتها ١٦ كيلومترا مربعا، وتضم جبالا رائعة وشواطىء جذابة ومطارا هائلا يثير الرعب.

والميزة الخامسة هي ان الجزيرة، خصوصا اذا كانت بعيدة، تجتذب الشخصيات الغريبة الاطوار، وان التعرف عليها امر مسل للغاية. وقد كنت ذات مرة في جزيرة تاهيتي عندما وصل اليها من النمسا شاب حسن الهيئة مدعيا انه بارون تهرب من قصر اجداده بسبب متاعب عائلية. وقد فهمنا انه ليس بارونا لكن اهل الجزيرة قالوا: "ما دام ليس لدينا بارون في تاهيتي بينما لدينا ذلك الكونت المخبول واثنان من الامراء، فلماذا لا نضيف اليهما هذا البارون". ولم تمض بضع سنوات

حتى اصبح هذا الشاب بارونا بالفعل، بل يفوق في شكله اي بارون آخر في اوروبا.

واخيرا فان اهل الجزر، حتى وان كانوا "محكومين"، يميلون الى مواصلة الحياة على طريقتهم بلا عقد. فرجال الحكومة والادارة الذين يوفدون الى الجزر قد يتعذر عليهم فرض الانضباط على السكان الاصليين. وهناك في مكان ما من ملفات اسطول الولايات المتحدة الامريكية تقرير كنت وضعته عن الاحداث التي وقعت في جزيرة اسمها "مونوريفا" ان لم تخني الذاكرة، في اثناء الحرب العالمية الثانية. فقد جاء الى الجزيرة ضابط بحري متحمس من تكساس قرر ان يفرض بعض النظام والانضباط على هذا الفردوس الناعس خلال تلك الايام الكسولة بعد ان انتقلت منها رحى الحرب الى الشمال. ثم اوفدني الاسطول الى الجزيرة لاكتشف ما حدث للقبطان "دايكس"، اذا كان هذا هو اسمه" وللمستودع الرقم ٢.

كانت احوال دايكس سيئة... بل تكاد تكون ميؤوسا منها، لان فتاة الجزيرة ذات الشعر الاسود التي دعاها الى مشاركته في مقر اقامته لم تكتف بالقبول فحسب، وانما نقلت دعوته ايضا الى سبعة او ثمانية من اقربائها. وقررت انا ان هذه المشكلة شخصية تتعلق بالقبطان دايكس نفسه، ولم اذكر في تقريري الاول شيئا عما يعانيه من تعقيدات بيتية. غير اني عندما استفسرت عن امر المستودع الرقم ٢، سمعت ذكرا لسيارة نقل حمراء صغيرة. وحين تابعت الموضوع تبين ان فتاة القبطان لها شقيق استولى على احدى سيارات النقل الخاصة بالاسطول ودهنها باللون الاحمر.

ثم مضيت اتفقد المستودع الرقم ٢، فوجدته على خير ما يرام من الخارج: الحرس في أماكنهم يؤدون واجبهم، والابواب مدهونة، والممرات حول المخزن مخططة ومفروشة بالحصى المرجاني... ولكن الداخل كان شيئا آخر، اذ وجدت ذلك المبنى الفسيح مليئا بـ"لا شيء على الاطلاق". وقد احدثت فتحة واسعة في مؤخر المخزن ونقلت محتوياته من خلالها في السيارة الصغيرة الحمراء: مولدات الكهرباء والبنزين والاغذية المعلبة بل ومظلات الهبوط التي خاطت منها الفتيات في الجزيرة اثوابا لهن.

وعندما يحملني الفكر اليوم الى الجزر ارى بعين خيالي تلك العواصف الملتفة بمياه البحر تتقاذف الامواج وتنثر الزبد كما ارى اولئك المسترخين الهانئين في الظل، من مقيمين وزائرين. وارى احد المغامرين يعتلي سيارة النقل الصغيرة الحمراء ويتجه بها الى المستودع. واشاهد موفدا رسميا كفيا قادما من لندن او كانبيرا او باريس او واشنطن، ويتسلم منصبه مصمما على تنظيم كل شيء. فأبتسم، وانا اخبر بالجزر وما يتولد فيها من وله، ما لن ينقضي وقت طويل حتى يختبره الموفد الرسمي بنفسه.

■ **جيمس ميتشينر**

المؤلف حائز جائزة "بولتيزر" وله كتب كثيرة لاقت رواجا واسعا، منها ثلاثة عن الجزر، هي: "حكايات جنوب المحيط الهادىء"، و"العودة الى الفردوس"، و"هاواي".

ماك ديرموت
السباقة في ميدان الانشاءات الساحلية ومد الانابيب البحرية

تحتل ماك ديرموت وفروعها مركز الصدارة عالميا في ميدان انشاء الارصفة الساحلية الضخمة ومد الانابيب تحت الماء.

وتتيح لنا مرافقنا الصناعية في مواقع استراتيجية مثل دبي ورأس الخيمة في الامارات العربية المتحدة، وفي مصر، انشاء الارصفة البرية ذات المنافذ المباشرة الى المواقع الساحلية. كما ان خبرتنا مكنتنا من مد انابيب قطرها ١٤٢ سنتيمترا على عمق يتجاوز ١٥٣ مترا.

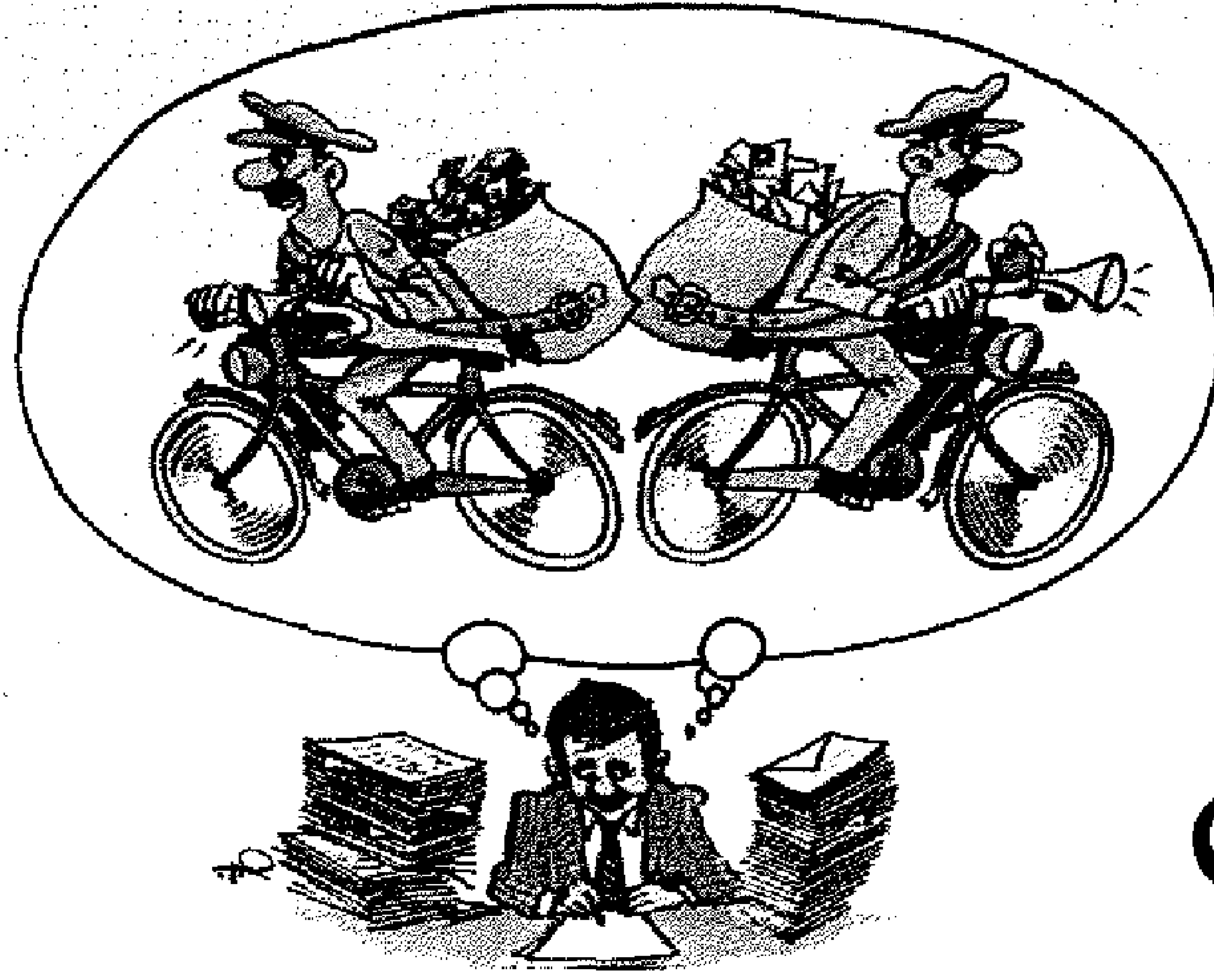
ولدينا الخبرة اللازمة لمنشآت السواحل في منطقة الشرق الاوسط كلها.

ماك ديرموت
دبــــي



صندوق البريد ٣٠٩٨ دبي، الامارات العربية المتحدة
التلفون: ٢٢٧١٣١ - التلكس: ٤٥٤٣٧

لدينا مكاتب في: رأس الخيمة - الامارات العربية المتحدة، القاهرة - مصر، السالمية - الكويت، الدوحة - قطر، الظهران



اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله: الى "المختار" وهو يدفع لك في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ صور من الحياة: ٥٠ دولارا

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي.

☐ الضحك خير دواء

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

☐ تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

☐ حديقة افكار

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ السدات

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ المقالات

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

○ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.

○ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك - حديقة أفكار...).

○ في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.

○ ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.

○ تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر أجنبية.

○ لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France

إبْني والتعْليم المهَني

لقد اخفق الابن في تحقيق حلم ابيه واقتفاء خطاه، لكنه لمع في المجال المهني واقنع والده بجدواه

كل رجل يطمح الى ان يكون ابنه نسخة عنه، ليس من حيث المظهر بل من حيث النهج. ولكن بينما تتقدم السن بالابن، فان الاب يشيخ ايضا وتصبح اهدافه، وطموحه للفوز بجائزة كبرى بعيدة المنال. ويبدأ بالادراك ان اعظم مكافآت الحياة لن تؤول اليه اطلاقا.

ولكن آه ثم آه! لو اقتفى الابن خطى ابيه، لتمكن من تحقيق ما كان والده يصبو اليه. وهكذا تكون انجازاته قد جلبت الغبطة الى قلب ابيه.

ذلك ما تريده كأب، وذلك ما ترجو ان يحدث، لكن الحذاء يمكن ان يتسخ بالوحل، فيتحرك في اتجاهات مختلفة.

تقول والدتي ان ابني جودي كان مثلي تماما عندما كنت في السابعة عشرة من عمري. فقد كره المدرسة منذ اليوم الاول في رياض الاطفال. وكان يتجاهل الواجبات الدراسية المنزلية ويهمل اختباراته في المواضيع العلمية حتى اللحظة الاخيرة. ولم يكن يكتب مقالاته النقدية عما يقرأه من الكتب الا بعد الانذار الاخير.

ادمان المحركات ـ طوال حياتي العملية، كنت منغمسا في الصحافة واصدار الصحف. وزوجتي ممرضة

قانونية اكتسبت مزيدا من الثقافة مع السنين، بينما تخرجت ابنتي بشهادة جامعية في اللغة الانكليزية، وهي تتابع دراستها للحصول على شهادة الماجستير. ولكن ماذا عن جودي؟ لقد اصبح، بعد دخوله الصف العاشر، طالبا مهنيا. ويشار الى من يتلقون التدريب المهني بعبارة "ورشيين"، نسبة الى وصف صفوفهم الدراسية بالورشة، او بعبارة "مدمني المحركات"، وذلك من قبل أقرانهم الطلبة العاديين.

لقد اصبت بصدمة عندما اشارت سكرتيرة شابة في مكتبي الى ابني للمرة الاولى بكلمة "ورشي". وردا على احتجاجي اجابت: "قصدت القول انه صبي طيب وحاذق حقا". اما بالنسبة الي، فقد كان ذلك التعبير شائنا يحط من القدر.

غير اني ادركت، خلال السنتين الماضيتين، ان "الورشيين" مختلفون حقا. فايديهم عادة متسخة، وعلى ملابس العمل التي يرتدونها لطخ من الشحوم، فضلا عن ان اجادتهم في المدرسة تمر دونما تنويه.

ان كوني ابا لطالب مهني هو، في ذاته، خبرة تربوية. فنحن الذين نكدح بقمصاننا النظيفة وراء الآلات الكاتبة في المكاتب لا يتوافر لدينا ما يتوافر لدى "الورشيين" من قدرات. وقد بدأت ادرك ذلك عندما حطم ابني سيارته، اذ بلغ تقدير كلفة اصلاحها ٨٠٠ دولار. لكنه قال: "انني استطيع اصلاحها بنفسي، وان "كريزي اد" (اي ادوارد المجنون) سيساعدني في ذلك". اما انا فقد نظرت الى ذلك بعين الارتياب.

ودخلت الى البيت وقلت لزوجتي: "انه يريد صبيا اسمه كريزي اد ليساعده في اصلاحها".

فما كان منها الا ان اجابت بانفعال: "اللهم نجنا!" ولكن سمحنا له بذلك لانه ليس هناك ما سنخسره.

اما كريزي اد فقد تبين انه شاب وسيم حسن الخلق، وانما حصل على لقبه ذاك لانه اقدم على السباحة في يوم شتاء بارد. وتمكن ابني واد، مع مجموعة "ورشيين"، من اصلاح السيارة. فقد جاؤوا بقطع غيار من سيارات بالية، مع قدرة على تركيبها مما اكتسبوه في الصفوف الدراسية المهنية. وكانت الكلفة ٤٥ دولارا بدلا من ٨٠٠ دولار.

مواهب متعددة — منذ عملية الاصلاح الاولى تلك، انجز عمليات اخرى مثل تبديل قابض (دبرياج) سيارتي الجيب مقابل ١٦ دولارا، واصلاح مكيف هواء وغسالة وسخانة خبز كهربائية. واوكل جيراننا وزملائي العمال مهمة تصليح سياراتهم اليه.

وفضلا عن ذلك، بدأ يعمل طابعا للصحيفة التي اصدرها. ففي امكانه ان ينضد الحروف ويجهز الاعلانات الدعائية ويستعمل آلة التصوير الضخمة المستخدمة في انتاج الصحيفة.

وتتوافر لدى "الورشيين" كذلك مواهب فطرية غير مألوفة. فلو صدف وتعطلت سيارة احدهم ليلا في طريق جانبية غير مطروقة كثيرا، فلا بد من ان يمر "ورشي" آخر بالمكان. وما ان يرفع احدهم غطاء محرك سيارته ليتقصى العطب حتى تجد، في غضون نصف ساعة، ان عشرين من رفاقه

من فيليبس - الراديو والمسجّل "كاسيت ستيريو" الرائع السّهل الحمل

استمع الى برنامجك الاذاعي المفضل في جهاز ستيريو رائع. تمكنك حركة سريعة أن تسجل برنامجك على مسجل فيليبس كي تستمع اليه مرة أخرى فيما بعد (بالروعة ذاتها). علما بأن فيليبس هي التي اخترعت الكاسيت. أ سجل من اسطواناتك أو ميكروفون. فكل ما تحتاج هو أن تضع كاسيت صغيرة. استمع الى ما سجلته في أي مكان تحب، في البيت أو في الهواء الطلق. فكل ما تريد موجود في جهاز فيليبس الذي رقم جهاز ستيريو هو أر ٧٧٨، الذي يعمل بالبطارية أو الكهرباء. ويضم داخله من أربع موجات يسبب موجة الهواء. وتجهيزه مفاتيح سهلة الاستعمال.

وفوائد متداخلة، ومقبض للحمل. أما مستوى الصوت المسجل فهو مستقل تلقائيا. ماذا عن الجودة؟ يكفي أن نقول ان الجهاز من صنع فيليبس. هنالك مجموعة كاملة من الأجهزة تنتظرك لتتعامل معها. ولكن عليك ان لا تكتفي بتأمل منظرها والاعجاب به. بل تستطيع ان تطلب تشغيلها. فعندئذ تدرك ان هذه التحسينات لا يمكن أن تصنعها الا شركة تتمتع بالموارد الضخمة والخبرة العالمية التي تتمتع بها شركة فيليبس. الشركة التي تعتبر اليوم، اكثر من اي وقت مضى، واحدة من اكبر الشركات العالمية وبين رواد التكنولوجيا الحديثة.

PHILIPS

فيليبس الأفضل لكم دوماً

احاطوا بـه كالنمـل، بعضهـم حـول السيارة والبعض الآخر تحتها. وهذا يحملنا على الظن ان ثمة اشارة لا يسمعها غير "الورشيين"، تناديهم فيتنادون مسرعين.

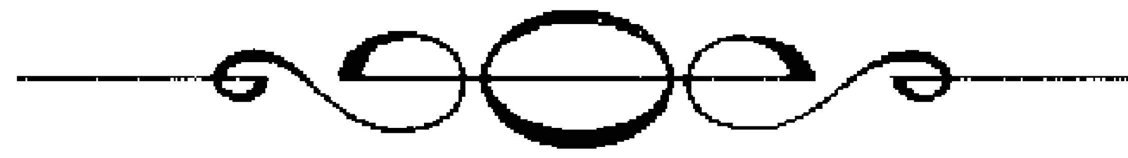
ولعل اسعد لحظات هؤلاء الصبية تتحقـق حيـن يعبثـون بشـيء مـا. فتـراهـم يتمـازحـون ويقهقـهـون ويعيشون في عالمهم الخاص الخالي من التوتر وشواغل الفكر. ولا يخدعنك مظهرهم. فعلى رغم ايديهم الملوثة بالزيوت والشحـوم، فـان ادمغتهـم المعيه وقادرة على استيعاب المسائل الجديدة.

لقـد تعلمـت الكثيـر مـن ابـنـي "الورشي" - تعلمت ان الناشرين لا يساوون شيئا من دون طابعين، وان المهـنـدسـيـن يـحـتـاجـون الـى ميكانيكيين، وان البنائين يحتاجون الى فنييـن يتولـون عمليـات لحـام المعادن. والاهم اني تعلمت ان الآباء لا يحتاجون الى ابناء يقتفون خطاهم ويكونون نسخة عنهم.

ان ابني قد لا يكتسب مقاما رفيعا علـى الاطـلاق فـي لائـحـة الشـرف المدرسية. ولكنه اكتسب ذلك التقدير فعلا مني.

■ **روبرت بويل**

الكاتب ناشر ورئيس تحرير صحيفة "الفارديان" التي تصدر في بوتستاون في ولاية بنسلفانيا الامريكية.



ما في اليد حيلة

يتساءل الفنان جان - لوي فوران: "لماذا يكون المرء فظا، اذا كانت الكياسة تتيح لنا ممارسة كل اشكال الوقاحة؟"

(مجلة "القهقهات"، فرنسا)

تقدير كاريكاتوري!

قال رئيس تحرير احدى الصحف لافضل رسامي الكاريكاتور في صحيفته: "انت ثاني اعظم رسام كاريكاتور في العالم". وكان احد المحررين واقفا، فسأل رئيس التحرير عمن يكون أعظم رسامي الكاريكاتور في العالم، فرد رئيس التحرير: "لا أعرف، ولكني اقول له ذلك حتى يحاول على الدوام ان يحسن انتاجه".

ب.ب.

تربية...

حدث منذ سنوات ان انتشرت بين طلبة جامعة اوكسفورد عادة التقاذف بالطعام. وذات يوم وجد الطلبة لافتة معلقة تقول: "السادة الذين جاؤوا من بيوت اعتاد اهلها على التقاذف بالخبز على مائدة الطعام ويجدون صعوبة في ان يلتزموا فجأة بالقيود التي تفرضها حضارة اسمى: يسمح لكم بمواصلة هوايتكم المنزلية هذه في مقابل دفع خمسة شلنات عن كل رمية".

ف.ن.

مكافحات الأتربة والأوساخ "هوفر"

كل ماكينة من ماكيناتنا مشحونة بالسمات والمزايا التي استنبطت من أجل مساعدتك على الفوز في مكافحة الأتربة والأوساخ. سمات وخصائص تجعل التنظيف أسهل وأسرع وأكمل مما كنت تظنينه ممكناً من قبل.

مهما كان نوع جهاز التنظيف الذي تبحثين عنه. أصرّي على طلب هوفر – أعظم أجهزة التنظيف جداً وكداً في مكافحة الأتربة والأوساخ. يمكنك شراؤها على الاطلاق.

«هوفر كيماتيك ١١٠٠»
أعظم الغسّالات تقدّماً اليوم.

«هوفرماتيك دي لوكس»
أعظم غسالة أوتوماتيكية ذات برميلين.

«هوفر سينيور كلينر»
أروج جهاز تنظيف في العالم

«هوفر إلكترونيك ١٠٠٠»
قوّة ١٠٠٠ واط تحت سيطرتك التامة.

هــوفــر – كل ما تختارينه منها مثالي لك.

HOOVER®



عندما هبط النسر على سطح القمر

يوم ٢٠ يوليو (تموز) من هذا العام احتفل في واشنطن بالذكرى العاشرة لواحدة من أهم لحظات التاريخ الانساني: لحظة خطا الانسان خطواته الاولى على القمر.
رحلات اخرى انطلقت الى القمر منذ ذلك الحين، وصواريخ آلية موجهة اخترقت الفضاء بنجاح باهر، ولكن لم تحظ رحلة من رحلات الفضاء بالشحنة العاطفية التي احاطت بالرحلة الاولى قبل عشر سنين.
هل تذكرون كيف كانت الحال خلال هذا الاسبوع التاريخي عندما لمس الانسان القمر للمرة الاولى باصبع فضية فتلمس بذلك نبض عالمه؟

الرجال الذين قاموا بالرحلة الملحمية بدوا، على أي حال، عاديين ولم يكونوا افضل المرشحين للخلود. نيل ارمسترونغ، ادوين (باز) الدرين ومايكل كولينز جميعهم قاربوا الاربعين من العمر وكانوا، وما زالوا، يميلون الى الوحدة ويدافعون بقوة عن عزلتهم.

مع ذلك فقد كان هؤلاء الرجال يتحلون بالصفات عينها التي بحثت عنها وكالة الفضاء الامريكية الوطنية: البراعة الفريدة في الطيران، الذكاء والقوة، القدرة على التركيز واستيعاب المعلومات، البرود الكامل وغريزة المقامر الذي يرتفع دائما الى مستوى التحديات. فاذا بهؤلاء الرجال ضمن رجال الفضاء الثلاثين الاوائل الذين قبلوا للقيام بهذه الرحلة التي بدت آنذاك مغامرة جنونية.

ان الرحلة الامريكية الى القمر لم تكن لتتم في هذا الحين لولا السوفييت. ان تفوق السوفييت المبكر في مجال الفضاء، بما فيه ارسال اول جرم اصطناعي الى مدار

حول القمر ووضع اول جرم مأهول في مدار حول الارض، هذا التفوق دفع الرئيس كينيدي عام ١٩٦١ الى التعهد بارسال رجل الى القمر "قبل نهاية العقد".

في ١٦ يوليو (تموز) ١٩٦٩ كانت السفينة "ابولو ٢" مستعدة للانطلاق الى القمر. اما اختيار ارمسترونغ والدرين وكولينز لتشكيل طاقم السفينة فقد جاء في اطار النظام الدوري لرحلات الرواد واسندت الى ارمسترونغ قيادة السفينة لانه كان سبق زميليه في التدريب.

قلما عمل رجال استعدادا لمهمة ما كما فعلوا هم. فلمدة ست عشرة ساعة متوالية تولوا تشغيل آلات شبيهة بتلك التي سوف يستخدمونها لقيادة السفينة والهبوط بها على القمر. عملوا وهم غارقون في الماء ليألفوا انعدام الجاذبية واجبروا على مواجهة عدد لا حصر له من الطوارئ المفتعلة من خلال لوحة قيادة تضم مئات الاجهزة. تلقوا دروسا سريعة في علم الفلك والملاحة الفضائية وتشغيل الصواريخ والعقول الالكترونية وجيولوجيا القمر. وكانت الرحلة محببة ومريحة بالمقارنة بما كانوا قد عانوه خلال الاعداد لها.

حانت ساعة الحشر - وقفت "ابولو ٢" على منصة الانطلاق وهي تنفث سحبا من غاز الاوكسيجين، وبدت باطنانها الـ٣١٠٠ كوحش هائل حي يرتفع الى مستوى ٣٦ طبقة. سطح السفينة الاملس يخفي وراءه كمية هائلة من الآلات والاجهزة تأخذ بالالباب وتشمل ٨ ملايين قطعة و٩١ محركا. وعلى ارتفاع ٣٣ طبقة من الارض تبرز عربة القيادة "كولومبيا" حيث رقد رجال الفضاء الثلاثة على "اسرتهم" يتابعون العد العكسي.

لحظة الانطلاق في جزيرة مريت لن تنسى اطلاقا، فقد كان هناك مليون شخص عبر النهر في كيب كانافيرال و٥٠٠ مليون مشاهد خلف اجهزة التلفزيون في انحاء العالم، يتابعون العملية. تسع ثوان كاد ان يتوقف خلالها القلب عن الخفقان. محركات صاروخ "ساتورن ٥" الضخمة تقذف اللهب في قرقعة مخيفة، لكن الصاروخ الهائل لا يتحرك. ثم بدأ يتحرك ويرتفع وهو يتمايل الى اليمين على عمود من النار متحاشيا برج المراقبة، ثم زادت سرعته تدريجا حتى اختفى عن الانظار.

انطلقت صواريخ المرحلتين الاولى والثانية، تتابعها شبكة اتصالات تمتد حول الارض وفوقها من مركز المراقبة المأهول في هيوستن الى هوائيات ضخمة في اسبانيا واوستراليا وكاليفورنيا فالى شبكات عربة القيادة والسفينة القمرية اللتين تدوران حول الارض مرة كل مدة ساعتين ونصف ساعة. وترمي هذه المتابعة الى التأكد من قدرة السفينة على متابعة رحلتها القمرية.

وبعدما اشتعلت المرحلة الثالثة من الصاروخ فوصلت سرعته الى ٦٥٠ كيلومترا في الدقيقة تحررت "ابولو" من جاذبية الارض واخذت طريقها نحو القمر.

وعلى بعد ثلاثة آلاف ميل (٤٨٠٠ كيلومتر) من الارض انفصلت عربة القيادة عن الطبقة الثالثة من الصاروخ، وأدخل مايكل كولينز الطرف المدبب لـ"كولومبيا" في اعلى السفينة القمرية، واحكم التصاق "النسر" بها.

٩ مخـاوف جنسـيّة منتشـرة بين الرجال ص ٣٥

النسر الذي هبط على سَطح القمر ص ١٧

سيطر على الغضب قبل ان يغلبك ص ١١٣

لبنان ٤٥٠ق - سوريه ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٠٠ف - الامارات العربية
المتحدة ٦د - قطر ٦ر - البحرين ٦٠٠ف - السعودية ٦ر - مصر ٥٠٠م - السودان ٥٠٠م -
ليبيا ٦٥٠د - اليمن الجنوبية ٦ر - مسقط ٦ر - العراق ٦٠٠ف - تونس ٧٠٠م - المغرب ٣د -
الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - انكلترا ٧٥ب - اليونان ٤٠١٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢د٠

AL MUKHTAR *MIN* Reader's Digest August 1979 N° 9


"النسر" بعد هبوطه.

الصعوبة الكبرى التي واجهت طاقم الصاروخ في رحلته التي دامت اربعة ايام هي ضرورة التحرك والعمل في الحيز الضيق الذي انعدم فيه الوزن. كانت الغرفة مخروطية الشكل ويبلغ قطرها ١٢،٨ قدما (٣،٨ امتار) وارتفاعها ١١ قدما (٣ امتار)، ولكن مساحتها الفعلية لم تزد على مساحة عربة تكسي من الداخل، لان لوحة التحكم في الصاروخ كانت تشغل حيزا كبيرا من "الارض" الى "السقف"، ومعها ايضا خزانات للمؤن والاسرة المعلقة التي ينزلق فيها الرجال حتى لا يسبحوا في فضاء "الغرفة".

كانوا في عمل دائب يراقبون الاجهزة وينسخون معلومات الدماغ الالكتروني واجهزة الاختبار. ولا يتكلمون الا لماما. وكانت مجموعة المراقبة الارضية تحثهم على ان يقولوا شيئا "حتى نتأكد من انكم ما زلتم هناك". لكن الايام الهادئة والعمل الرتيب كان لها ما يعوض: مراقبة النجوم الساطعة في حلكة السواد اللانهائي لدى تحليقهم فوق الجانب المظلم من القمر، روعة قرص الشمس وتاج الوهج عندما يمر القمر امامهما، ورقة الارض بلونها الازرق وهي تختفي في الافق. وكان القمر اكثر المشاهد اثارة بالنسبة اليهم، خصوصا عندما تنيره الارض فيبدو ذا ابعاد ثلاثة.

وفي اليوم الثالث تأرجحت "كولومبيا" و"ايغل" الى ما وراء القمر وانقطعت صلة الاتصال بينهما وبين قواعد الرادار على الارض لمدة ٣٣ دقيقة تمكن خلالها رجال الفضاء من اطلاق الصاروخ الرئيسي لابطاء سرعة السفينة ودخول مدار القمر.

قاعدة بحر الهدوء — في اليوم الرابع وبينما السفينة تنجز دورتها الحادية عشرة حول القمر، ارتدى ارمسترونغ والدرين ملابس الفضاء وزحفا، في ما يشبه النفق، الى داخل السفينة القمرية لاجراء الفحص النهائي لاجهزتها قبل انفصالها عن "كولومبيا". وقبل الدورة الثالثة عشرة بدقيقتين، وبعد ٢٤ ساعة على

وجود العربتين في المدار القمري، جاءت التعليمات من قاعدة هيوستون ببدء الهبوط. وامسك رجال القاعدة انفاسهم في الدقائق الاربعين التالية حتى ظهرت السفينة من وراء القمر وسمعوا صوت ارمسترونغ يقول بهدوء: "اصبحت للنسر اجنحة".

وبقي كولينز في "كولومبيا" وكان ينقطع اتصاله بزملائه وبالارض ٤٠ دقيقة في كل دورة. ووصف مسؤول في "ناسا" ذلك بالآتي: "لم يشعر رجل بمثل هذه الوحدة منذ خلق آدم".

وبينما "النسر" يهبط على القمر وسط قرقعة اجهزته وازيزها، اذا بالدماغ الالكتروني الخاص به يصدر اضواء التحذير بانه بات عاجزا عن القيام بكل الحسابات تحت وطأة ما قام به من مراجعة مداخلات اجهزة عدة في آن واحد. لكن المهندس ستيفن بالز في قاعدة القيادة الارضية كان تهيأ لمثل هذه الطوارىء واستخلص من حساباته ان الدماغ الالكتروني للسفينة لن يتوقف عن العمل، ولان الوقت لم يسمح له باستشارة زملائه من المهندسين فقد اصدر تعليماته الى طاقم السفينة بالهبوط.

مشكلة ثانية حدثت على ارتفاع مئات الاقدام فوق سطح القمر. عجلة القيادة الآلية التي تحمل برنامجا معدا لانزال "النسر" في منطقة آمنة في بحر الهدوء، بدأت توجه السفينة نحو فوهة بركانية مليئة بالصخور. لكن مئات الساعات من التدريب على الهبوط المفتعل انقذت الموقف، وقف ارمسترونغ بعد ان تولى بنفسه القيادة عن الدماغ الالكتروني، وادار السفينة بعيدا، نسبيا، عن الصخور. وجاء صوت يعلن الارتفاع على المكبر "١٠٠ قدم ٠٠٥٠ ٢٥".

وانطلق صوت ارمسترونغ اخيرا: "هيوستون... هنا قاعدة بحر الهدوء. لقد حط النسر على القمر".

مزق هذا الاعلان الهادىء الصمت والهدوء في القاعدة الارضية فارتفعت الاصوات تهلل وتضحك وتبكي وتصفق.

منظر جميل وساحر - وبعد ست ساعات ونصف ساعة من الاعداد الدقيق بدأ ارمسترونغ الهبوط على السلم. ولما وصل الى اسفلها. ادار ارمسترونغ قدمه اليسرى وطبع اول أثر لقدم الانسان على سطح القمر ثم نطق بالعبارات المعبرة الآتية: "انها حقا خطوة صغيرة بالنسبة الى رجل واحد ولكنها قفزة عملاقة للبشرية".

ولما تأكد ارمسترونغ انه لن يواجه اي خطر في جو القمر المنخفض الجاذبية وانه لن يغوص الى رأسه في تراب القمر الناعم، حسب تنبؤات بعض علماء الفلك، بدأ الدرين النزول وقد تثبت من انه لم يغلق باب السفينة وراءه. ونظر الى ارض القمر المكسوة بحفر شبيهة بفوهات البراكين ثم قال: "انه قفر رائع".

كانت حركة رجلي الفضاء تشبه حركة الدمى الآلية بسبب الجاذبية المنخفضة. وعلى رغم ان لباسهما الفضائي الضاغط لم يمكنهما من التحرك بحرية فانهما نجحا في ساعتين و٢٠ دقيقة في تركيز آلة تصوير تلفزيونية وغرسا علم الولايات المتحدة الامريكية واديا له التحية، ثم نشرا رقاقة من الالومينيوم ليلتقطا على سطحها ذرات من الرياح الشمسية، ثم وقفا يقظين لتلقي تحية

الرئيس ريتشارد نيكسون، ثم ثبتا جهازا عاكسا لأشعة ليزر خاصا بالمسافات القمرية، ووضعا بعد ذلك، مقياسا لتسجيل الزلازل والارتجاجات القمرية كما جمعا ٤٤٫٥ كيلوغراما من الصخور والاتربة القمرية.

ولما عادا الى "النسر" تركا وراءهما على سطح القمر، بين اشياء اخرى، اجهزة وادوات تبلغ قيمتها مليون دولار ولوحة تحمل رسالة انطوت على تحيات قرابة ٧٣ من رؤساء الدول اضافة الى خمس ميداليات احياء لذكرى رجال فضاء سوفييت وامريكيين قضوا نحبهم. كما تركا وراءهما آثار اقدام ستظل نحو نصف مليون عام على سطح القمر حتى تختفي بفعل تأثير الشهب الدقيقة المتساقطة.

بعد مرور ٢١ ساعة على هبوط رجلي الفضاء على سطح القمر جاءت تعليمات هيوستون بالاقلاع فأجاب آلدرين مازحا: "افهم من ذلك ان لنا الأولية على السفن الاخرى". كانت الدعابة تخفي توترا. لقد تم اختبار محرك الاقلاع للسفينة "النسر" اكثر من ٣٠٠٠ مرة. ولكن اذا فشل المحرك هذه المرة فسيبقى الرجلان على سطح القمر يواجهان الموت بعد نفاد ما يحملانه من غاز الاوكسيجين.

انطلق المحرك وارتفعت بهما السفينة حتى وصلت الى مدار منخفض بعد سبع دقائق. وصرخ الدرين، فيما السفينة الفضائية ترتفع: "رائع، لطيف، اقلاع هادئ".

عندما التحم "النسر" بـ"كولومبيا" مجددا بدا لكولينز وكأن "جهنم فتحت ابوابها" فأهتزت السفينتان ثم تم الالتحام النهائي وانتقل الرجلان الى "كولومبيا" مع ما احضراه معهما من القمر. واكتفى الرجال الثلاثة بأن شدوا على ايدي بعضهم البعض، بينما كان من الممكن لغيرهم من الرجال العاطفيين ان يتعانقوا ويبكوا، بعد هذه الرحلة المحفوفة بالاخطار.

فصلت السفينة "النسر" عن "كولومبيا" واستدارت هذه، بعدما ارتاح الرواد، متجهة، بدفع من محركها الهائل، نحو الارض وهبطت في المحيط الهادئ بعد نحو ستين ساعة من انطلاقها.

لم يتوقع رجال الفضاء ما تبع هبوطهم من تهليل. تحدثوا امام الكونغرس ومنحوا ميداليات الحرية. ومشوا في مواكب عبر الولايات وزاروا ٢٣ دولة وداموا على هذه الحال سنة رجعوا بعدها الى اسرهم. ويقول الدرين: "كانت هذه السنة اصعب مراحل مهمتنا".

وبعد ان حققوا هذا الانجاز سادهم التوتر ولم تسمح لهم شهرتهم بالعودة الى رتابة برنامج الفضاء العادي، فانضم مايكل كولينز نهائيا الى مؤسسة سميثونيان في واشنطن، اما نيل ارمسترونغ فقد استقال ليصبح استاذا فيجامعة سينسيناتي وعاد باز الدرين الى سلاح الطيران ثم تقاعد عام ١٩٧٢ ليقوم بسلسلة من الاعمال الحرة وهو اصيب بانهيار عصبي بعد ذلك ويعمل الان مستشارا هندسيا في لوس انجيليس.

وكما غيرت الرحلة الى القمر حياة رجالالفضاء، كذلك غيرت الرحلات الخمس التالية حياتنا نحن البشر. لقد وسعت هذه الرحلات آفاق معرفتنا

واثارت اسئلة عدة جديدة تتعلق بعلم طبقات الارض والنظام الشمسي واصل الكون. وانبثقت من تكنولوجيا الفضاء عشرات الصناعات التي تبلغ قيمتها مليارات الدولارات (الترانزيستورات والاقمشة والمعادن) فضلا عن ثلاث فئات من الاقمار الاصطناعية (اطلق عليها اسم الاجرام التطبيقية) استهدفت توفير الافادة الاقتصادية المباشرة للانسان. وتتضمن هذه الاقمار اجرام الملاحة واجرام البحث عن الثروات الارضية ومراقبة تلوث الهواء والماء وتقدير المحاصيل وتحديد المصادر الجديدة للمياه والمعادن والنفط والغاز الطبيعي. كذلك تمثل الاجرام الاصطناعية دورا متزايد الاهمية في حقل الاتصالات العالمية.

لكن الذين شاهدوا الرحلة الاولى الى القمر لم يفكروا في هذه الفوائد المادية.

ولم يبق في ذاكرتنا الا الاثر الذي تركته الرحلة في نفوسنا وخيالنا ومعنوياتنا. فهي فتحت نافذة كنا في امس الحاجة اليها في ارضنا المزدحمة، وفسحت لنا مجالات نفسية كنا نحتاج اليها.

من خلال هذه النافذة سنشارك شعوريا الذين سيتابعون استكشاف المجهول، فتسمو نفوسنا ويتجدد اعتزازنا بالانجازات الانسانية.

■ رونالد شيلر



النجوم البشرية

كان فريق كشفي بريطاني مكون من ١٢ فتى يقوم بجولة ليلية عبر منطقة ويلتشير، فضل طريقه على رغم اعتماد الفتيان مسار النجوم لتحديد وجهتهم تحديدا دقيقا. وفسر قائد البعثة دون ايفانز الأمر في ما بعد كالآتي: "حين انطلقنا، اخترنا اكثر النجوم بريقا. ولكن لسوء الحظ، ظهر ان النجم ليس الا مركبة فضائية من صنع بشري".

(صحيفة "دايلي ميرور"، لندن)

بحار محترف

دعت الملكة فيكتوريا الاميرال فولي الى الغداء لكي يروي لها تفاصيل المحاولات التي جرت لانقاذ باخرتها "يوريديس" التي غرقت قرب ساحل بورتسموث. وبعدما اشبع الاميرال هذا الموضوع الممل وصفا، استفسرت الملكة عن صديقتها الحميمة، المشتركة ولما كان هذا يعاني صعوبة في سمعه، فقد تابع الحديث بصوته الجهوري: "في الواقع، يا سيدتي، لم يبق الا ان اقلبها على وجهها واتفحص مؤخرها، ثم اشرف على صقلها جيدا".

فرجينيا كولز، في كتاب "الامبراطور"



مأساة واقعية

لقد بقي الصبي الذي يبلغ العامين من العمر ٤٠ دقيقة مغمورا تحت الماء... والاطباء الذين استطاعوا انقاذ حياته لن يتقاعسوا عن شفاء دماغه

طفلي كاد يغرق تحت سيّارتي

غاصت مارنا مارتن حتى خصرها في المياه الثلجية الموحلة وهي تبذل الجهود اليائسة لزحزحة سيارتها الكبيرة الـ"ستايشن" وانتشال ابنها الصغير الاشقر ماتيو، الذي لا يتجاوز العامين، من تحتها. وعلى رغم ان السيارة كانت مائلة الى الامام وقد ارتفع نصفها الخلفي، الا انها تسمرت في مكانها ولم تتحرك.

كان ماتيو مغمورا بالماء منذ أكثر من خمس دقائق، وهي فترة تكفي للقضاء عليه غرقا. وكانت مارنا ممرضة قانونية وتدرك بالتالي ان ماتيو، وان بقي على قيد الحياة، سوف يتأذى دماغه ولا شك بسبب نقص الاوكسيجين. فأذهلتها الوحدة

والتجأت الى الصياح طلبا للنجدة٠

وكانت مارنا امرأة نحيلة البنية في التاسعة والعشرين من العمر، يهمها امر اسرتها٠ فقد جمعت اطفالها ووضعتهم داخل السيارة قبل وقوع الحادث بعشر دقائق، لكي تنقل ماتيو من بيتهم في بلدة ميلتون في مقاطعة اونتاريو (كندا) الى بلدة اوكفيل المجاورة حيث يتابع تدريبه في مبنى الالعاب الرياضية٠ وقد ربطت ماتيو وشقيقته اماندا التي تبلغ الثلاثة اعوام بحزامي الامان في مقعد السيارة الخلفي، ثم وضعت جاي مايكل، الصغير ذا الأشهر الثمانية، في كرسيه الخاص الى جوار مقعد القيادة وزنّرته بحزام الامان، وادارت محرك السيارة وهي واقفة لتحميه٠ وكان صباح ذلك اليوم - الخميس ٢٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٧ - باردا، ففتحت مارنا الباب المجاور لمقعد السائق واندفعت بسرعة الى المنزل لاحضار معطف اكثر دفئا٠

وبينما كانت مارنا تفتح باب المطبخ لتخرج منه الى موقف السيارة، سمعت صرخة وتملكها الرعب عندما رأت السيارة تتراجع حتى بلغت الجزء المنحدر من الممر، فانحرفت بين شجرتين ثم اصطدمت بحاجز خشبي فهدمته، ودارت نصف دورة قبل ان يغرق مقدمها وتتوقف في بركة ضحلة بجانب المنزل٠

أين ماتيو؟ ـ واطار الخوف صواب مارنا، فاسرعت الى السيارة التي كانت تقف مائلة وقد انحدرت من الامام وارتفعت من الوراء، ورأت ان اماندا والصغير جاي مايكل في مكانيهما، فصاحت: "اين ماتيو؟" فاجابتها اماندا وهي تشهق بالبكاء: "كان يقود السيارة يا ماما، واختفى!"

وشقت مارنا طريقها في الماء في اتجاه السيارة ودارت حولها حتى بلغت بابها المفتوح المجاور لمقعد السائق، فلم تجد اثرا لماتيو٠ وراحت تعاتب نفسها بقولها: "كان يجب علي ان اوقف المحرك، علما مني باحتمال خروجه من مقعده في السيارة٠ ولا بد من أن يكون غير وضع ناقل الحركة وادار مقود السيارة"٠ وركضت الى المنزل لتتصل تلفونيا بالشرطة، ثم عادت الى موضع السيارة التي كانت على وشك ان تغمرها المياه بعدما غاصت في الوحل على حافة البركة٠ ومدت يديها الى الداخل فانتزعت حزامي الامان، واخرجت اماندا وجاي مايكل ووضعتهما على الضفة، وعادت تخوض الماء وتبحث بحثا جنونيا عن ماتيو٠

وفيما هي تدير رأسها بعد هنيهة، رأت اماندا وجاي مايكل يرتجفان بردا، فحملتهما الى داخل المطبخ ووضعتهما على الارض٠ ثم اتصلت تلفونيا بمكتب زوجها المحامي فوجدته غائبا في المحكمة، فطلبت من السكرتيرة ان تعلمه باختفاء ماتيو٠ وبعد ذلك سارعت مارنا بالعودة الى البركة تفتش من جديد في الماء، ولكن من دون جدوى٠ وكانت تدري ان ماتيو تحت السيارة، وانها بالتالي تعرضه للموت دهسا اذا هي حاولت ان تدير محركها لتخرجها من البركة، كما انه لا يمكنها ان تزحزح السيارة لكي تبحث تحتها٠

ولم تمض اكثر من خمس دقائق منذ اتصلت مارنا بالشرطة، ولكن بدت لها هذه الدقائق وكأنها دهر ابدي.

ولم يلبث ان ارتفع هدير سيارتين من سيارات دوريات الشرطة وسطعت اضواؤهما البراقة. وما ان اجتازتا الممر حتى ترجّل منهما على الفور الشرطيان ستيف اميس وتوماس سينكوفيتش، وفكا حزامي مسدسيهما والقيا بهما على الارض، واندفعا يخوضان البركة ويبحثان في المياه العكرة حتى نفذ البرد الى عظامهما فراحا يرتجفان. ولكنهما كانا علي يقين، مثل مارنا، من ان ماتيو سقط من الباب المفتوح المجاور لمقعد السائق وانحصر تحت السيارة.

ونظرت مارنا الى الوراء نحو الطريق، فرأت سيارة نقل ذات رافعة تتباطأ في سيرها، فاستغاثت بها: "ان طفلي يغرق!" وللحال تحولت هذه السيارة عن طريقها ودخلت الممر، وكان فيها جاك نوب وآندي اندرسون، وهما تاجرا سيارات مستعملة كانا متوجهين للاشتراك في مزاد للسيارات. والى جانب الرافعة الكبيرة كانت سيارة النقل مزودة بـ١٥ مترا من اسلاك الصلب وسلسلة للرفع. وتراجع نوب بسيارته حتى اصبح مؤخرها عند حافة البركة، وتولى الشرطي اميس لف سلسلة الرفع حول عمود الباب في السيارة الغارقة، فيما راح نوب يشغّل الرافعة حتى اصبحت السيارة الغارقة متدلية في الهواء في وضع شبه عمودي. ولاحظ اميس ان مارنا ترتجف بردا، فاعادها الى البيت لكي تغير ملابسها بملابس اخرى جافة. وكانت لا تزال تحت تأثير الصدمة. واذا بها ترى سيارتي اسعاف تجتازان الممر، فاصطحبت اماندا الى الدور العلوي والبستها ثوبا من الصوف. وهنا قالت اماندا بهدوء بدا غير طبيعي: "ان ماتيو يسبح في البركة". فاجابتها مارنا: "سيعيد البوليس ماتيو الينا".

تحت الماء - ولم تكن تدري في تلك اللحظة ان البوليس عثر للتو على ماتيو. فقد القى جاك نوب بنفسه عبر غطاء السيارة، ولمح شعر الصبي الاشقر طافيا في البئر التي حفرتها العجلة الامامية اليسرى. فرفعه من ياقة قميصه وصاح: "لقد عثرت عليه".

وكان ماتيو قد بقي ٢٠ دقيقة تحت الماء. وسلّم نوب الصبي الى جيم سبنسر، مندوب الاسعاف. وبعد دقيقة واحدة كان سبنسر يتجه بسيارة الاسعاف جنوبا نحو مستشفى اوكفيل - ترافلغار التذكاري، بينما اخذ زميله مارسيل زولمان يحاول اسعاف الطفل بالتنفس الاصطناعي عبر الفم وبتدليك الصدر. وقطعت سيارة الاسعاف المسافة الى المستشفى، التي تبلغ ١٢ كيلومترا، في فترة لا تتجاوز الدقائق الست.

وعندما وصلت سيارة الاسعاف الى المستشفى، كان يبدو ان ماتيو قد فارق الحياة. فهو كان غائبا عن الوعي، وكان جسمه باردا ومرتخيا ومرقشا ولونه بالغ الشحوب وتنفسه شبه منقطع، وكان قلبه يدق ببطء شديد لا يتجاوز الـ٣٥ نبضة في الدقيقة. غير انه دخل المستشفى، لحسن الحظ، الساعة ٩،٥٢ صباحا، في موعد يكثر فيه الاطباء. وتسلمه

في عيادة الاستقبال الدكتور مايكل كيتون، الذي جمع على الفور فريقا من الاطباء الاختصاصيين واختصاصيي المهن المعاونة.

وكانت الممرضات قد تلقين اشعارا بالراديو من سيارة الاسعاف وهي في الطريق، فاعددن غرفة الانعاش على الفور بحيث كانت جاهزة لحظة وصول الطفل. ووقفت باتريشيا والتون، رئيسة ممرضات الطوارىء، عند رأس سرير ماتيو وهي تضغط بانتظام على كيس يدفع الهواء في انبوب يوصله من انف ماتيو الى رئتيه.

وكانت حرارة ماتيو بالغة الانخفاض، لا تزيد على ٢٧،٥ درجة مئوية، اي اقل من المستوى الطبيعي بتسع درجات ونصف درجة، مما حمل الدكتور كيتون على الارتياب في الامر، فراح يقيس الحرارة بموازين مختلفة ليستوثق من صحتها. وخطر في باله ان ذلك قد يكون "رد فعل الغطس". ذلك انه عندما تغطس الثدييات البحرية وصغار الاطفال في الماء البارد، تنقبض القصبة الهوائية وكأنها تؤمن حماية صاحبها من استنشاق الماء، بينما يتباطأ في الوقت نفسه معدل النبض والدورة الدموية في الاطراف توفيرا لكمية الاوكسيجين المحدودة المتاحة للقلب والدماغ. وانطلاقا من هذا الرأي، اعتبر الاطباء ان تسخين جسم ماتيو ربما ادى الى خفض تزويد هذين العضوين الحيويين بالاوكسيجين، فقرروا ان يتركوا جسمه على حاله الطبيعي لكي يستعيد حرارته العادية تدريجا.

وفي الوقت نفسه، قرر فريق الاطباء اعتماد نظامين، يستهدف احدهما تنشيط جسم ماتيو والثاني مراقبة حيويته. وانزل الجراح مبضعه في اربية ماتيو اهتداء الى عرق دقيق ينقل محلولا قلويا داخل جسم الطفل ويتيح له ان يقاوم الالتهاب الحمضي الذي يعتري قلبه المفتقر الى الاوكسيجين، وذلك تفاديا لتوقف الخفقان.

احتمال توقف القلب – وقد تبين من الصورة الكهربائية لعمل القلب، بعد تسليطها على مرسمة الذبذبات، ان النبض يخفق على نحو بطيء ومنتظم، الى ان يحدث اضطراب مفاجىء ينذر باحتمال توقف القلب. فأخذ احد الاطباء يدلّك الصدر، بينما تولى طبيب آخر حقن الادرينالين في القلب مباشرة لكي يستمر في الخفقان.

واتصل طبيب الاطفال، الدكتور انجيلو مادابولي، بمستشفى الاطفال في مدينة تورنتو، فتثبت من صحة ما يتوقعه فريق الاطباء: وهو انهم اذا تمكنوا من انقاذ حياة ماتيو، فمن المحتمل ان يتمكنوا ايضا من انقاذ دماغه. ذلك لان فريقا من الاطباء، برئاسة الدكتور الان كون، مدير وحدة العناية الفائقة في مستشفى الاطفال في تورنتو، قد اهتدى، من دون علم فريق الاطباء في مستشفى اوكفيل، الى طريقة تقوم على استخدام الـ"هيبوتيرميا" – اي خفض الحرارة الى مستوى اقل من الطبيعي بكثير – للحد من كمية الاوكسيجين التي يحتاجها الدماغ، فيحول ذلك دون حدوث الضغط داخل الرأس وتتاح فرصة التعافي للمخ. وقد نجح الدكتور

كون بهذه الطريقة في انعاش ١٢ طفلا غرقوا لفترات متفاوتة اقصاها تسع دقائق. اما ماتيو فقد قضى تحت الماء ٢٠ دقيقة كاملة.

ويبدو انه لو كانت البركة اكثر برودة او دفئا، لمات الطفل ماتيو قبل استخراجه منها. لكنه اصبح الان - بفضل ما تلقاه من علاج عاجل - مرشحا ممتازا لاختبار طريقة الدكتور كون باعتبار ان الاحتفاظ ببرودة جسمه يساعد على احتمال انقاذ خلايا دماغه واستعادة سلامته.

وفي الساعة ١٠،٤٣، اي بعد قرابة ساعة من سقوط ماتيو في البركة، شعرت رئيسة الممرضات بات والتون بانه بدأ يتنفس وحده تدريجا: مرة عند كل رابع ضغطة على كيس دفع الهواء، ثم مرة عند كل ثالث ضغطة، الى ان عادت اليه الحياة، فملأ الابتهاج نفوس اعضاء الفريق الطبي.

وفي الساعة ١١،١٥، اي بعد ثلاث دقائق من اول مرة حرك فيها ماتيو ذراعيه وساقيه، بدأ بطنه ينتفخ، فاعطي عقاقير، من خلال انبوب حقن في العروق، تساعد على التحكم في التقلصات المعوية وتلافيها. وبعد ذلك بعشر دقائق، بدا وكأنه عرضة للتشنج. وبما ان الاطباء كانوا يدركون ان لا فائدة من العلاج بخفض الحرارة (الهيبوتيرميا)، ما لم يكن جسم المريض جامدا لا يتحرك، فقد حقنوه في الشرايين بعقاقير مهدئة تبعث على الاسترخاء، واعقبوها بكمية من كريات الدم الحمراء لوقايته من الصدمة وتجنب اصابته بفقر الدم.

ما كان ضرّني...؟ - لم يصل روبرت مارتن، والد الطفل، الى بيته الا بعدما نقلت سيارة الاسعاف ماتيو الى المستشفى. وقد انذره رجال الشرطة بان الاحتمال ضئيل في نجاة ابنه. وشهقت زوجته مارنا وهو يحتضنها: "آه يا روب. ما كان ضرني لو لم اترك محرك السيارة دائرا؟"

وجاء الاصدقاء لمؤاساتهما والعناية باماندا وجاي. وحين وصل غراهام سوانسون، طبيب الاسرة، ظنت مارنا انه "جاء لينبئنا بوفاة ماتيو". وما ان وضع الدكتور سوانسون يده على كتفها حتى انفجرت بالبكاء والنحيب قائلة: "لقد توفي ماتيو، اليس كذلك؟" ومن فرط دهشته قال سوانسون: "لست ادري. هل توفي فعلا؟" وذهلت مارنا، اذ تبينت ان الطفل الذي بدأت تنعاه ربما كان لا يزال على قيد الحياة.

وتوجه الدكتور سوانسون وآل مارتن بالسيارة الى المستشفى حيث كانت مارنا تعمل بعض الوقت. ورأت هي وزوجها طفلهما ماتيو للمرة الاولى منذ وقوع الحادث. وكان جلده ابيض - ازرق وباردا، وارعبتها غشاوة عينيه شبه الزجاجية، وارتعدت خوفا حين رأت جسمه العاري المغطى بملاءة يُحمل الى الخارج على نقالة الجرحى. وخرجت مارنا مع زوجها والدكتور سوانسون، وساروا وراء سيارة الاسعاف التي كانت مزودة بوحدة مصغرة للعناية الفائقة، يتولى امرها الدكتور جورج مونتيز، والتي اتجهت الى مستشفى الاطفال في تورنتو.

وفي المستشفى، شرح الدكتور

مونتيز كيف يأمل فريق الاطباء في احياء الخلايا المعطلة في دماغ ماتيو وذلك بأن يبقوا الطفل في حال جمود كامل لفترة ٤٨ ساعة على الاقل، مع السهر على بقاء حرارته منخفضة بين ٣٠ و٣٢ درجة مئوية، والتحكم الاصطناعي بتنفسه لتزويده بكمية كبيرة من الاوكسيجين وخفض كمية ثاني اوكسيد الكربون في مجرى دمه. وستتم تغذيته عن طريق الحقن في الشرايين مع خفض الكمية الى نصف ما يحتاج اليه عادة طفل في مثل حجمه، واضافة عدد من العقاقير، بعضها مدرّ للبول لضمان سرعة تدفق بوله وبعضها مهدىء، فضلا عن جرعات من حامض الـ"باربيتيورات" المسكن تكاد تقرب من حد الخطر، لمنع الحركات اللاارادية مثل الرعشة والسعال وتشنج العضلات.

ونظرت مارنا الى ماتيو في حجمه الصغير الساكن وسط شبكة من الاسلاك والانابيب والآلات. وكان يتردد في اعماقها واعماق زوجها سؤال لم يجرؤ على الافصاح عنه والاقدام على مناقشته: "هل يمكنهما ان يعتنيا بطفل مصاب بتخلف عقلي شديد؟" وذات مرة دخلت مارنا كنيسة المستشفى وتضرعت قائلة: "اتوسل اليك رباه الا تدعه يعيش بلا عقل". ثم ادركت ما تقول، فأخذت تردد في قرارة نفسها: "كيف اجرؤ على الصلاة كي يموت ولدي؟"

وكان الزوجان يتوجهان كل صباح الى المستشفى. وفي زحمة المرور، كانت مارنا تستغرب ان ترى الناس يقودون سياراتهم بهدوء اعصاب وهم ذاهبون الى اعمالهم، بينما كانت ترى ان الدنيا توقفت بالنسبة اليها. وكانا يعودان في المساء وقد نال منهما العياء، ولا يستطيعان الاجابة حتى عن السؤال الذي يوجهه اليهما الجميع: "كيف حاله الآن؟"

بل ان هذا الجواب كان يتعذر على الدكتور كون نفسه. فهو ركز جهده على الحؤول دون تنفخ دماغ ماتيو الى ان تستعيد خلاياه حيويتها. وكان ادق المؤشرات لديه جهازا يسمى "فلاووظ ريتشموند"، وهو انبوب ادخل في جمجمة ماتيو من خلال ثقب صغير فتحه جراح اعصاب بمثقاب دقيق واستقر على الغشاء الداخلي المتين الذي يكسو الدماغ، لكي يقيس به الطبيب ادنى زيادة تحدث في الضغط داخل الجمجمة.

وفي الساعة ٥،٣٠ من مساء الاثنين كان دماغ ماتيو قد بقي في حالة مستقرة لمدة ٤٨ ساعة، فبدأ الدكتور كون يعمل بحرص شديد على انتزاع العقاقير ومختلف وسائل الاعانة.

وقضى آل مارتن يوم الثلاثاء بجانب سرير ماتيو، ينتظرون عبثا ظهور دلائل الحياة على الطفل. وفي الصباح التالي تلقيا مكالمة هاتفية من احدى الممرضات تنبئهما بان ماتيو فتح عينيه مدة عشر ثوان.

ماما... جدّو... بابا! — وانضم اليهما والد روبرت مارتن عند باب المستشفى، واحاط الثلاثة مع الدكتور كون بسرير ماتيو. واذا بماتيو يفتح عينيه ويقول بنبرات واضحة: "ماما، البيت"، ثم تقلب في سريره الى الناحية الاخرى ورأى جده، فقال له: "جدّو"، ثم قال لابيه: "بابا، انا مريض".

هنالك ازدحمت الحجرة بالاطباء والممرضات. وحاول الدكتور كون ان يجري اختبارا حاسما، ليعرف ما اذا كان ماتيو يفهم امرا صادرا اليه ويمارس ما يستلزمه تنفيذ هذا الامر من تحكم حركي دقيق. وقال الدكتور كون لماتيو: "ماتيو، اخرج لسانك"، فانفتح فم الصبي وبرز منه لسانه الصغير. ولم يتمالك كل من في الحجرة انفسهم، فانفجرت عيونهم بالدموع.

وغادر ماتيو المستشفى يوم ٥ ديسمبر (كانون الاول)، وعاد اليه بعد ثلاثة اسابيع لاجراء فحص شامل اثبت عدم وجود اي تلف عصبي من اي نوع. وسرعان ما عاد الصغير الى ممارسة الانزلاق ببهجة بالغة فوق السطح المتجمد لتلك البركة التي اوشك على الغرق فيها. وما ان اقبل الصيف حتى بدأ يتعلم السباحة.

لقد تعاون اكثر من ١٠٠ شخص على انقاذ حياة ماتيو مارتن، وشاركوا بذلك في تجربة قلما ينساها احد منهم. ويتذكر الشرطي ستيف اميس حال الكآبة التي غمرت نقطة بوليس ميلتون حين اخذ يغير ملابسه المبتلة باخرى جافة، والمكالمة التلفونية التي جاءته من الجاويش تنبئه بان ماتيو حي يتنفس، فتشيع بسمة الابتهاج على وجوه رجال الشرطة الضخام الذين امتلأت بهم الغرفة. وتتذكر الممرضة باتريشيا والتون عندما اخذت تضغط على كيس التنفس الاصطناعي لتدفع الهواء الى رئتي طفل ضئيل بدا شديد الشبه بطفلها الذي يبلغ العامين ايضا، كما تتذكر يده اليسرى الملوثة بالشحم دليلا على ما بذله من كفاح ليخرج من تحت السيارة. وتتذكر مارنا مارتن ان بات والتون، التي كانت غريبة عنهم تماما حتى ذلك الحين، قد حملت ملابس ماتيو الى بيتها حيث غسلتها وكوتها. اما جيم سبنسر، مرافق سيارة الاسعاف، فقد قضى اياما وهو يتساءل: "هل اننا انقذنا مخلوقا بشريا بلا عقل كالنبات؟" ولم يكد ماتيو يصل الى بيته حتى ذهب سبنسر ليزور آل مارتن. وكان ماتيو لا يألف الغرباء قبل اقامته في المستشفى، ولكن ما ان رأى سبنسر حتى سارع الى لقياه واثبا الى ذراعيه المفتوحتين. وعندما اقبل جاك نوب لزيارة الاسرة، كان نصيبه قبلة من ماتيو.

ووجدت مارنا ان المحنة اثّرت فيها تأثيرا خفيا وحملتها على تغيير مرتبة الاولويات التي تهتم بها. فقد اكتشفت ان الاشياء التي كانت تعتبرها مهمة كالارضيات اللامعة والخزائن المرتبة والبيت النظيف المنظم الذي لا تشوبه شائبة، اصبحت في الحقيقة اشياء تافهة. ومن ثم توفر لديها الوقت الكافي لتهدئة مخاوف اماندا التي اخذت تنتابها الاحلام المروعة عن اختفاء ماتيو وتأبى ركوب السيارة من دون ابويها. وكانت مارنا وثيقة الارتباط دائما بزوجها، ولكنها لم تدرك تماما من قبل مدى صلابته في مواجهة المحن. وهي تقول الان: "لقد جعلنا الحادث ندرك ان لا شيء في الحياة يسمو في جوهره على الاسرة، اذ ان كل الاشياء بدونها تصبح تافهة وباطلة".

■ جانيس تيرويت

وصفوها بانها جامدة وباردة ومتسلطة وقوية. وكثيرا ما يكتب الصحافيون عنها فيشيرون الى "نظرتها النفاذة كأشعة الليزر"، و"اعصابها غير القابلة للاحتراق"، و"غريزتها القاتلة المدمرة". مع ذلك، فان مارغريت تاتشر اثارت انتباه الاوساط السياسية في العالم اجمع باعتبارها اول امرأة تتزعم حزب المحافظين. وأول انكليزية تتولى رئاسة الحكومة في بلادها



سيّدة بريطانيا

في فبراير (شباط) ١٩٧٥، حطم الـ"توريز" المحافظون فجأة حواجز الجنس. فمن بين ٢٧٦ عضوا في البرلمان لا يزيد عدد النساء بينهم على ٧، اختيرت مارغريت تاتشر زعيمة للحزب بعد ادوارد هيث.

انتخبت عضوا في البرلمان عام ١٩٥٩ وتبوأت الصفوف الامامية في الحزب منذ عام ١٩٦١، ثم شغلت منصب وزيرة دولة للتربية والعلوم عام

١٩٧٠، وظلت في هذا المنصب حتى سقطت حكومة هيث في ١٩٧٤. ولكن لم يسبق لامرأة ان تزعمت حزبا من الاحزاب السياسية البريطانية الكبرى.

ان المؤسسة المحافظة التي ورثتها السيدة تاتشر عن ادوارد هيث كانت تعاني شعورا بالخيبة بعدما خسرت ثلاثا من الجولات الانتخابية العامة الاربع التي خاضتها، كما انها تأثرت بعدد من المعارك الداخلية الضارية. كان الشغل الشاغل للنواب المحافظين التخلص من هيث. ولو وجدوا، قبل بدء التصويت على زعامة الحزب، رجلا يلتزم بالدخول في المعركة ضد هيث حتى النهاية لما اختاروا مارغريت تاتشر. وهي قررت "ان تركب الموجة" وتتقدم لزعامة الحزب. ومما قالت في هذا الشأن "احيانا تسنح الفرص التاريخية التي لا يمكن الشخص ان يتركها".

وظن البعض ان حزب المحافظين تلزمه السنوات الطوال للتغلب على صراعاته الداخلية ولاستعادة معنوياته ولكن سرعان ما بهرت مارغريت تاتشر الجميع. ومن اصعب المهمات التي واجهتها التفاهم مع زعيمها السابق، ولكنها نجحت فيها بفضل مثابرتها.

فاذا هيث يعلن في يوليو (تموز) ١٩٧٨: "لا بد لنا ان نكافح سويا بشدة حتى نبلغ النصر الذي ننشده".

اكتسبت مارغريت تاتشر اعجاب الكثيرين خلال رحلاتها الى الخارج كزعيمة لحزب المحافظين. وبعد زيارتها لواشنطن كتب عضو من اعضاء "الكونغرس الى السفير البريطاني هناك" : "اذا لم تسر الامور لمصلحة السيدة تاتشر هناك، فاننا في اشد الحاجة اليها هنا".

في الواقع ليس هناك جديد في شعارات السيدة تاتشر المحافظة: "حق الانسان في ان يعمل كما يشاء وان ينفق ما يربح وفي ان تكون له ملكية وان تكون الدولة خادما له لا سيدا". ثم هناك نداؤها: "لقد خذلت الاشتراكية امتنا فلنتخلص منها قبل ان تنجح في انزال الضرر النهائي بنا"، وهو نداء كان من الممكن ان يبدو باليا منذ بضع سنوات او متأخرا نوعا ما بعد بضع سنوات، ولكنه جاء في توقيت يبدو سليما.

المآخذ على العمال - منذ تسلمت حكومة العمال السابقة مقاليد الامور في مارس (آذار) ١٩٧٤ والاوضاع الاقتصادية في بريطانيا تدعو الى القلق العميق: تضخم رفع معدل الاسعار بنسبة تزيد على ٩٠ في المئة، ديون بريطانيا الخارجية تضاعفت أربع مرات حتى وصلت الى رقم مخيف هو ١٢ مليار جنيه استرليني. تحسنت الانتاجية قليلا عما كانت عام ١٩٧٤ خلال اضرابات عمال المناجم التي خفضت العمل في الصناعة الى ثلاثة ايام في الاسبوع. زادت البطالة اكثر من الضعف حتى بلغ عدد العاطلين عن العمل مليونا ونصف مليون. ارباب العمل الذين كانوا يشعرون بان في امكانهم فتح مجالات عمل جديدة كانوا يترددون في الاقدام على ذلك خشية الضرائب والانظمة والقوانين التي تضيق عليهم الخناق. اما العمال فتتهددهم تشريعات الاتحادات النقابية التي تحول دون حصولهم على تعويض مالي اذا هم طردوا بسبب رفضهم

الانضمام الى اتحاد ما، والتي تسمح بطردهم عنوة اذا ما طردوا من اتحاد ما او اذا ما رفض طلب عضويتهم فيه.

كان البعض يقول ان رئيس الوزراء السابق السيد جيمس كالاغان يميل الى موقف يقع الى يمين موقف الوسط في حزب العمال، لكن السيدة تاتشر سرعان ما اوضحت ان حزب كالاغان ما زال عند التزامه بتأمين قطاعات غير محددة من الصناعات المصرفية والتأمينية والانشائية.

ان الامتحان الحقيقي الذي ستواجهه السيدة تاتشر هو الطريقة التي ستحول بها اتجاه الاحداث المؤسفة الاخيرة.

ان ما تسميه مارغريت تاتشر "الحصول على حقها" يعني، بالنسبة اليها، التخلص من الصورة السائدة عنها، وهي صورة السيدة الانيقة في تحفظ، الدائمة التحكم في النفس، التي تتحدث بلهجة خريجي اوكسفورد وتشبه كل مثيلاتها من سكان الضواحي. السيدة تاتشر احتفظت، وقد بلغت من العمر ثلاثا وخمسين سنة، بجمال انكليزي كلاسيكي وقوام معتدل، لكن هذه السيدة المتميزة تتحلى ايضا بصفات عدة اخرى. فهي تسعى دائما ومن دون هوادة الى الفعالية والاتقان. وهي تعمل معظم الوقت، ويصل يوم العمل لديها الى ثماني عشرة ساعة. في البرلمان تحب الجدل، واسلوبها فيه لاذع وقوي، وكثيرا ما يكون لماحا يستند دائما الى مقدار كبير من العلم ببواطن الامور.

نادرا ما يضارعها عضو آخر في مناقشة القضايا المعقدة. لمحات الدعابة عندها نادرة ولكنها موجودة. سئلت مرة في مؤتمر صحافي عن شعورها بالنسبة الى الشؤون الخارجية فأجابت "انني احبها كل الحب".

ولدت مارغريت روبرتس عام ١٩٢٥، وهي الابنة الثانية لرجل ميسور يملك محل بقالة في بلدة غرانتهام في مقاطعة لنكولنشير. لعب والدها دورا كبيرا في تكوين طباعها، وقد كان رجلا صارما لا يشرب الخمر، بل ويلقي العظات وينتمي الى الكنيسة المنهجية (الميثودية). وكان يقرأ في نهم ويهتم بالسياسة، حتى انه عين عمدة لغرانتهام بين ١٩٤٥ و١٩٤٦. كان يكره البذخ الى حد انه ظل يعيش فوق حانوت البقالة في منزل ليس فيه مرحاض داخلي الى ان بلغت مارغريت من السن التاسعة عشرة.

نشأت مارغريت على الايمان بالعمل الشاق وامساك اليد عن الانفاق والاعتماد على النفس. زميلاتها في مدرسة البنات في غرانتهام يتذكرنها بحقيبتها الملأى باستمرار بالكتب وبأنها الفتاة التي لم تحمل يوما اسما للتدليل (او الدلع) والتي كانت الاولى في فصلها على الدوام باستثناء سنة واحدة.

عندما قررت الالتحاق بجامعة اوكسفورد، استعانت بقدرتها الكبيرة على التحكم في النفس. فهي لم تكن قد درست اللغة اللاتينية التي تعد من شروط الالتحاق بهذه الجامعة، فاقنعت والدها بدفع نفقات دروس خصوصية في اللغة اللاتينية وانهت في اشهر دروسا تستغرق عادة ثلاث سنوات. وتقول عنها مديرة مدرستها: "كانت تحسب بدقة متناهية مقدار

المجهود اللازم للقيام بعمل ما".
عندما اختارت دراسة الكيمياء فعلت ذلك بناء على حسابات دقيقة ايضا. فالحرب دائرة والحاجة الى العلماء كبير. اما حبها الكبير فهو، لا شك، السياسة. فقد بهرتها منذ الطفولة المناقشات السياسية التي كانت تدور في حانوت والدها، فلما التحقت بجامعة اوكسفورد انضمت الى اتحاد الطلاب المحافظين في الجامعة وما لبثت ان اصبحت رئيسة لهذا الاتحاد. وكلفها انهماكها في السياسة غاليا، فلم تتخرج بامتياز.

ولفتت رئيس اتحاد المحافظين في بلدة دارتفورد في مقاطعة كنت عندما اشتركت في مؤتمر لحزب المحافظين عام ١٩٤٨. وبعد ذلك بسنتين اصبحت مرشحة حزب المحافظين عن دارتسفورد وهي في سن الرابعة والعشرين. وكانت اصغر امرأة في معركة الانتخابات العامة.

لم يكن ثمة امل في ان تنجح في الانتخابات العامة الاولى ولا في التالية، ولكنها كانت تتقدم دائما بشجاعة وتتحدث بطلاقة وذكاء وتعمل بحماسة ومن دون كلل وتتحلى بروح الصداقة دائما. ونجحت خلال هذه الفترة في الاحتفاظ بوظيفتها كباحثة كيميائية، كما اعلنت خطبتها الى زوج المستقبل آنذاك.

يكبر السيد دنيس تاتشر زوجته بعشر سنين وهو ايضا من اعضاء حزب المحافظين. ولقد خفف هو من عبء المسؤوليات الواقعة على كاهل زوجته، وهي تدرس القانون وتنشىء اطفالها، بينما كان يعمل مديرا لشركة الدهان التي تملكها اسرته ثم مديرا لشركة بورما لتجارة النفط.

وليس بالغريب على مارغريت تاتشر انها اختصرت مهمتها كأم بانجاب توأمين مرة واحدة، ذكر وانثى. وظلت تذاكر في كتب القانون حتى يوم الوضع، وادت امتحان الاجازة بعد الوضع باربعة اشهر.

تابعت السعي عبثا للحصول على مقعد في البرلمان. اصبحت مارغريت تاتشر محامية في مجال الضرائب يخشى جانبها، واجادت الطهي اجادة تامة كما اصبحت زوجة واما مثالية. تقول عنها جريدة الغارديان: "انها مثال المرأة العصامية التي تؤمن بان المرأة الحقيقية تستطيع الوصول الى القمة من دون مساعدة". هذا، في اختصار، ما فعلته مارغريت تاتشر على مدى العشرين سنة الماضية منذ اختارها ناخبو منطقة فنشلي، التي تقع شمال لندن، لتمثلهم في البرلمان عام ١٩٥٩.

السيدة الحديدية وقبل ان تفلح في اقتحام دوائر حزب المحافظين المغلقة، نجحت في اكتساب احترام زعماء الحزب لها ولفكرها الحاد، ولكنها نالت نصيبها من النقد والهجوم. ولما تولت وزارة التعليم، الغت وجبة اللبن المجانية في المدارس للاطفال بين سن ٨ و١١ فسميت "تاتشر - خاطفة اللبن" على رغم انها اضطرت الى اتخاذ هذه الخطوة بسبب الازمة المالية.

وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٧٦، اطلق عليها السوفييت اسم "السيدة الحديدية" التي تشعر "بكراهية فطرية للشيوعية". وكان الباعث على هذا الهجوم خطابا، لاذعا حذرت فيه من خفض ارقام موازنة الدفاع البريطانية، ومما قالت: "ان

السوفييت يضعون المدافع قبل الخبز بينما نحن نضع كل شيء قبل المدافع"·

وقد آمن معظم اعضاء حزب المحافظين بانها تستطيع قيادتهم الى النصر، وانها قادرة على المناداة من دون هوادة بالاعتماد على النفس وبالعمل الشاق والاقتصاد والرأسمالية والملكية الخاصة والارباح··

برنامج المحافظين ــ والبرنامج الحزبيالذي اعتمدته يطالب بـ:" ان نعيش في حدود امكاناتنا وان ندفع ما علينا في هذا العالم، وان نتغلب على التضخم وان نحيي النواحي الخلاقة المربحة في اقتصادنا ونشجع العناصر التي يعتمد عليها· كل ذلك يتطلب الحد من البيروقراطية والاقلال من التشريعات والضرائب والقروض وزيادة الارباح لتشجيع الاستثمار وزيادة العمالة حتى يشعر من يقوم بالعمل الشاق بانه ينال مكافأته"·

ان التأييد الذي حصلت عليه السيدة تاتشر من النساء لعب دورا مهما في الانتخابات اللاحقة· وهي، وان لم تكن تنادي بتحرير المرأة، الا انها لا تقلل من شأن العقبات التي تواجهها المرأة، ولاسيما الام، فيحياتها العملية·

وهي تحدثت بصراحة في لقاء صحافي عن المشاكل التي تواجه المرأة في مجال السياسة والمسؤوليات السياسية، من ناحية، والالتزامات العائلية من ناحية اخرى· فقالت: "انني محظوظة لاني اعيش في لندن وامثل دائرة لندنية وان زوجي يؤمن بان من حق كل امرأة ان تحقق ذاتها"· ملايين من النساء تأثرن بموقفها المتناسق الذي يتسم بالتوازن، وفضلن هذا الموقف على المواقف النسائية المتطرفة·

بعدما كسبت مارغريت تاتشر معركتها واصبحت رئيسة للوزارة، بات عليها ان تفوز في الحرب الداخلية النهائية التي تخوضها بلادها·

ان نجاحها في الانتخابات يعني ايضا ان عليها ان تواجه ديون بريطانيا الخارجية الثقيلة حتى قبل ان يتدفق المال الذي سيأتي من نفط بحر الشمال·

وقالت لي: "لم يكن في استطاعة السيد كالاغان ان يقوم باللازم بسبب العناصر اليسارية التي كانت تسعى الى اسقاط الرأسمالية· لا اعرف دولة تعيش فيها الحرية بعد سقوط الرأسمالية· وانا لا تعوزني العزيمة· نحن نرى ما يحدث للبسطاء من الناس، وسندافع عن حقوقهم· ان المسألة تتعلق بنوعية حياة معينة"·

وقد يكون هذا هو بالضبط ما يهم المواطن البريطاني في هذه المرحلة من تاريخ بلاده·

■ **كلير ستيرلينغ**



بالديموقراطية وحدها

لا أحد يزعم ان الديموقراطية نظام كلي الاتقان او الحكمة· وقد قيل فعلا ان الديموقراطية هي اسوأ اشكال الحكم، باستثناء تلك الاشكال التي جربت من وقت الى آخر·

السير ونستون تشرشل

٩ مخاوف جنسيّة منتشرة بين الرجال

الحياة الجنسية لا تزال، على رغم الوعي والانفتاح وتوافر مصادر المعرفة المختلفة، مصدر قلق لعدد كبير من الناس. وفي هذا المقال يحلل خبير بارز في شؤون الجنس تسعة من أكثر المخاوف الجنسية انتشارا بين الرجال، ويقترح وسائل للتغلب عليها

١ - خوف الرجل من أن يكون مختلفا

من بين جميع الاسئلة التي وجهت الي تكرارا، على مدى السنين، كان الأكثر تكررا هو: "هل أنا طبيعي؟". فالرجال يريدون أن يعرفوا اذا كانوا يشبهون الرجال الآخرين في سلوكهم الجنسي، واذا كان نوع نشاطهم الجنسي هو النوع "المقبول" و"الطبيعي" لممارسة الجنس. والرجال الذين يعانون هذا الخوف من الاختلاف يشعرون براحة كبيرة عندما يعلمون أن مفهوم السلوك الجنسي "الطبيعي" شيء لا معنى له اطلاقا. فبدلا من اهدار الوقت في مقارنات عديمة الفائدة، يحسن بالرجل أن يهتم بما اذا كان سلوكه الجنسي يؤدي الى الحاق ضرر أو ألم جسدي او مادي به شخصيا او بشخص آخر، واذا كان يستمتع حقا بالنشاط الجنسي الذي يمارسه.

٢ - الخوف من العنّة

اذا كان للمخاوف الجنسية لدى الذكور ان توضع في قائمة حسب ترتيب انتشارها، فان الخوف من العنة قد يحتل رأس القائمة. ومن سخرية القدر ان هذا الخوف نفسه هو أكبر أسباب العنة.

فمعظم الرجال يعانون صعوبات

جنسية عندما يفرطون في الشراب، أو يكونون في حال تعب شديد أو ارهاق، او تشغل بالهم الهموم، فهم في هذه الحالات يفتقدون الرغبة في ممارسة الجنس. ولسوء الحظ أن مشكلاتهم هذه تسفر عن أعراض مباشرة ومرئية، هي عدم القدرة على الممارسة. والأسوأ من ذلك أن الفشل في الانتصاب في مناسبة معينة، وهو أمر يحدث لكل رجل تقريبا عاجلا أم آجلا، قد يؤدي الى قلق دائم لدى الرجل مما قد يحدث في "المرة التالية"، وقد يصبح هذا القلق بمثابة نبوءة ذاتية التحقيق، اي يسعى الشخص الى تحقيقها.

ليست هناك اطلاقا وسيلة تتيح تحقق الانتصاب استجابة لقوة ارادة الرجل وحدها، غير ان هناك بالفعل امرا يمكن عمله في حال العنة الموقتة. ذلك ان تحويل الاهتمام من التركيز على الهدف المباشر، أي تحقيق الانتصاب، الى عملية المداعبة المتبادلة التي تؤدي الى الاثارة غالبا ما ينتهي بالرجل المصاب بالعنة الموقتة الى تحقيق الانتصاب الفعلي.

واذا كانت هناك حقا بعض الاسباب المؤدية الى العنة البدنية الفعلية، الا ان أسبابها النفسية كثيرة ومعقدة. غير ان السنين العشر الاخيرة قد شهدت تقدما كبيرا حققه المعالجون الجنسيون في مجال تحديد أسباب هذه الحالات وعلاجها باستخدام وسائل طبية متعددة.

٣ - الخوف من سرعة القذف

هذه المشكلة تصيب الرجال من جميع الاعمار، وكثيرا ما يصبح الخوف من تكرارها نبوءة أخرى ذاتية التحقيق. ان سرعة القذف تعود، تقريبا، الى اسباب نفسية. فالمخ يتلقى اشارة بأن القذف وشيك، لكن أسبابا عاطفية متعددة تؤدي الى اخفاق هذه العملية على نحو طبيعي.

ان تكرار عمليات الاتصال الجنسي من شأنها تمكين كثير من الرجال من تأخير القذف في المرة الثانية او الثالثة، ولكن من الطبيعي ان يكون هذا الاسلوب اسهل اتباعا لدى الشباب الذين يستطيعون العودة الى تحقيق الانتصاب بعد القذف في المرة الاولى بوقت قصير. ومع ذلك فان الرجال الاكبر سنا يمكنهم القيام بالعمل نفسه اذا أتيح لهم قليل من الوقت واعتصموا ببعض الصبر.

وقد حقق معظم المعالجين الجنسيين نجاحا ملحوظا في معاونة الرجال على حل هذه المشكلة. كما ان بعض الرجال، ولا سيما أولئك الذين يتفهمون شريكتهم، قد نجحوا في معاونة أنفسهم بتحليل الصعوبة التي يواجهونها وتحديد أسبابها النفسية بدقة، ثم تعلم ممارسة السيطرة على القذف والتحكم به الى درجة مقبولة.

٤ - الخوف من الفشل في الممارسة

قد لا تبدو على الرجل اي علامة أو نذير بالعنة ولا تعترضه صعوبة في التحكم بالقذف، ومع ذلك يكون كل اتصال جنسي بالنسبة اليه موقفا يثير القلق والمخاوف. وهنا نجد مرة أخرى أن الحواجز نفسية، اذ ان هذا الخوف من الفشل يكمن وراءه خوف آخر أساسي، هو الخوف من أن يجد الرجل نفسه مرفوضا.

والخوف من الممارسة مشكلة يصعب التغلب عليها. واذا كان الرجل

محظوظا فان شريكته ستبدي تفهما لوضعه في كل مرة تطلب هي ذلك. كما ان الرجل الذي يعاني هذا القلق يمكنه ان يساعد نفسه ايضا اذا تفهم ان الاداء لا يعني بالضرورة ايصال العملية الجنسية الى نهايتها، لان النشوة لدى الانثى يمكن تحقيقها بوسائل أخرى.

٥ - الخوف من الحجم

كثير من الرجال يتملكهم القلق في ما يتعلق بحجم عضوهم التناسلي ويعود هذا القلق الى الاعتقاد الخاطىء الشائع بأن العضو المرتخي يزداد حجمه بالنسبة نفسها لدى الانتصاب. وعلى رغم ان اعضاء الرجال تختلف في أحجامها، وهي مرتخية، الا انها تتقارب كثيرا في أحجامها لدى الانتصاب. والامر الذي يبعث على السخرية هنا هو ان معظم النساء لا يتأثرن بالحجم.

٦ - الخوف من الشيخوخة

أكبر مصدر لخوف كثير من الرجال من الشيخوخة هو أنها ستبلغ بهم مرحلة يعجزون عن الممارسة الجنسية. والذكور يبلغون قمة قدراتهم الجنسية في السن الثامنة عشرة. غير ان الباحثين قد أثبتوا منذ زمن طويل ان انحدار القوى الجنسية بعد تلك السن يسير وئيدا وطفيفا على مدى العمر كله. وعلى رغم ذلك فان ثمة امرا شائعا بين الرجال هو ان هؤلاء يوحون لأنفسهم، بالفعل وباصرار، ان حياتهم الجنسية ستتوقف عند سن معينة يحددونها لانفسهم عن وعي او من دون وعي، كأن تكون سن الـ٥٠ أو ٦٠ أو (اذا كانوا متفائلين) الـ٧٠، وهم بهذا الايحاء يصيبون أنفسهم في السن المذكورة بعنة ذات اسباب نفسية بحتة.

والواقع أن من الامور الجديرة بالدرس فرز الرجال الذين لحقتهم العنة في سن السبعين بسبب المرض الجسماني عن الذين اصيبوا بها نتيجة لحواجز نفسية، اذ ليس هناك سبب بدني يؤدي الى عجز الرجل عن تحقيق الانتصاب طالما هو حي، شريطة ان يكون صحيح البدن.

٧ - الخوف من المطالب المفرطة

ان ما نشهده ونقرأه من كتب ومجلات وأفلام سينمائية والكلام الكثير الذي يصاحب الحركات النسائية يضخم لنا امرا كان في ما مضى من المشاكل الصغيرة لدى الرجال، وأعني بذلك ما نتوهمه من صورة الانثى التي لا تشبع جنسيا. والحقيقة هي أن الحاجات الجنسية لدى النساء والرجال على السواء، تختلف اختلافا كبيرا في ما بينهم تبعا لاختلافهم هم أنفسهم عن بعضهم البعض.

ومن الحريات التي حصلت عليها النساء أنهن اصبحن يعرفن ان أجسادهن ملكهن، وليس هناك ما يرغمهن على الاستجابة لمطالب الرجل الجنسية اذا كن غير راغبات في ذلك. وسيكون التحرر مماثلا اذا اضفى نعمته على أولئك الرجال الذين يخشون من عدم قدرتهم على الوفاء بمطالب الشريكة اذا فهموا أنهم غير مرغمين على ذلك هم ايضا. وكلما تعلم الرجال والنساء ان يتقبل كل منهم الآخر كند متساو، وأدركوا ان كل فرد، ذكرا كان أم انثى، له

حاجاته الجنسية الخاصة المتميزة، كلما تناقص هذا الخوف بالتأكيد.

٨ - الخوف من الميل الشاذ الكامن

يكاد يكون كل رجل قد قرأ او سمع عن الرجال الذين يظلون على غير وعي بميولهم اللواطية حتى يطرأ حادث جوهري بعيد الاثر فيكشف لهم عن خبيئة أنفسهم. والرجال الذين يتميزون بنفور، تحريمي شديد ضد الشذوذ الجنسي يمكن ان يؤدي بهم مثل هذا الخوف الى خوف بالغ الشدة من وجود مثل هذا المجال المجهول في أنفسهم.

وحقيقة الامر ان الغالبية العظمى من الرجال الذين ينجذبون الى الجنس الاخر على نحو عادي وسوي لا ينبغي لهم أن يخافوا من تعرض نمط حياتهم الجنسية للانقلاب المفاجىء. وعليهم ان يتذكروا ان كل صبي تقريبا قد مر في طفولته الباكرة ومراهقته بنوع من أنواع الصلة التي تدخل في باب الجنسية المثلية، ولكنهم جميعا يتجاوزون ذلك في نموهم الطبيعي ويكبرون ليعيشوا حياة جنسية "سوية" لا "انحراف" فيها.

٩ - الخوف من انحراف الزوجة

ان الفكرة التقليدية الشائعة في ثقافتنا والتي يسودها الاتجاه الذكري هي ان الزوج هو الذي ينحرف والزوجة هي الشريكة التي تتألم من انحرافاته. غير أنه يحدث كثيرا هذه الايام ان يقع عبء الخوف على كاهل الرجل. فاحساس التملك الذي يؤلف جزءا مهما من عقلية "سيادة الذكر"، والغيرة التي تنبع بالضرورة من مثل هذا الاحساس، قد أديا على الدوام الى حالات لا نهاية لها من البؤس والعنف.

ولكن الرجل الميال الى السيطرة والتسيد والذي يعتقد انه يمتلك زوجته ولا يريد ان يمسها احد غيره ويشعر دائما بأن خيانتها له مسألة وقت وفرصة، هذا الرجل كثيرا ما يكون ضحية مخاوف وشكوك تساوره في مدى كفايته الشخصية. وثمة ضرورة اساسية لتغيير نظر، مثل هذا الرجل. والمرأة التي تفهم هذه الحقيقة وتعمل بهدوء لطمأنة زوجها تكون فرصتها في أن تنشىء معه علاقة سعيدة قائمة على المساواة أكبر كثيرا من فرصة المرأة التي تستجيب لغيرته بالغضب والاحساس بالمهانة.

وهناك رجال آخرون يعانون مشكلة في هذا المجال تختلف عن المشكلة السابقة ولكنها تتصل بها: فهم صادقو النية والالتزام بالوفاء لزوجاتهم ولكن لديهم تخيلات عن نساء أخريات ولا يدركون أن أمثال هذه التخيلات أمور ليس فيها أي شذوذ وانما هي طبيعية تماما. هؤلاء الرجال يخافون من الانزلاق الى تحقيق هذه التخيلات في الواقع بالدرجة نفسها التي يخاف بها الرجل الغيور من انزلاق زوجته. الا ان مخاوف هؤلاء الرجال تكون عادة بلا أساس. ولا بد للرجال والنساء جميعا من ان يدركوا ان التخيلات يمكنها ان تثري الحياة من دون ان تكون نذيرا مخيفا بالانزلاق الى ارتكاب ما فيها بالفعل.

ان الخوف والشعور بالذنب قد أحدثا من التلف والخسارة في الحياة

الجنسية للرجال والنساء مقدارا يتجاوز كل حساب وخيال. واذا كانت غالبيتنا تدرك ذلك، الا ان استخدام هذا الادراك والانتفاع به لتحسين حياتنا كثيرا ما يكون أمرا صعبا. والمرأة التي تتفهم حقا ما ينتاب الرجال من مخاوف وتدرك ما تؤدي اليه من آثار مدمرة على علاقات الحب والتعاطف يمكنها ان تحقق تقدما كبيرا في سبيل القضاء عليها. وقد تدعو الحاجة في النهاية الى التماس المشورة المهنية لكن الاستجابة لمخاوف الرجال الجنسية بالتفهم والتعاون هي أولى الخطوات وأهمها، وكثيرا ما تغني عن كل ما عداها. وليس في العالم رجل أو امرأة يعيش أو تعيش بلا مخاوف، ولكننا نستطيع ان نزيل المخاوف التي لا أساس لها في مجال الجنس والتي تعوق أو تحول دون اشباع رغبة من أهم الرغبات في حياتنا السعيدة.

■ **واردل ب. بومروي**



يشترك المتفائلون والمتشائمون في خطأ واحد: انهم يخافون الحقيقة.

تريستان برنار

عمل مشترك

سئل كاتب السير والمذكرات السير هارولد نيكلسون مرة اذا كانت له اعمال مشتركة مع زوجته الروائية فيكتوريا ساكفيل ويست، فأجاب: "نعم، لدينا ولدان".

"يوميات ورسائل"

غزل نبيل

لا شك في ان احد اكثر اشكال التودد والتعبير عن الحب فخامة ونبلا هو ما فعله دوق فيلاميديانا تجاه ملكة اسبانيا ايزابيلا. فحين طلبت منه ان يريها صورة المرأة التي يعشق، بعث اليها بمرآة.

(مجلة "اسود وابيض"، فرنسا)

بحثا عن الجديد

ذهب عروسان الى محل لبيع الاثاث، وعبّرا عن رغبتهما في شراء قطع غير مألوفة كليا لتأثيث شقتهما الجديدة. فقال الشاب: "نريد شيئا لم يجربه أحد قبلنا". فأجاب البائع: "حسنا، هناك شيء لم يجربه أحد قبلكما، وهو أن تدفعا نقدا مقابل اثاثكما".

(مجلة "لو هيريسون"، فرنسا)

الأسـرة الحقيقيـة

هناك الاسرة التي نولد فيها وهناك الاسر التي تضمنا مع الاصدقاء المقربين الى قلوبنا وليس منا من لا يحتاج الى اسرة واحدة على الاقل ولو اننا نستمد ثراء حياتنا من اسر كثيرة

في بعض الايام يشبه خطي خط امي، مائلا في امل وبشيء من الاسراف نحو الشرق. وفي ايام اخرى يبدو خطي مثل خط ابي: حاسما وعموديا. وسيظل كل من ابوي حيا في اعصابي وعضلاتي وعقلي الى يوم وفاتي كذلك ستبقى شقيقتي. ولكنهم ليسوا الوحيدين.

ان مشكلة الاسر التي ولدنا فيها هي بالنسبة الى الكثرين منا ان اسرنا تعيش بعيدة عنا جدا. فنندفع عبر القارات، في حالات الطوارىء كي نقف الى جانب افرادها، كما يندفعون هم ليقفوا الى جانبنا. ولكن اقرباء دمنا كثيرا ما يكونون ابعد من ان يتمكنوا من مواساتنا بين يوم وآخر،ومن ثم فلا بد لنا من ان نعتمد في مثل هذه الحالات على الاسر التي ننشئها عن طريق الصداقة.

وهذه الاسر الجديدة تضم اما اصدقاء الطريق الذين نقابلهم عرضا، واما اصدقاء القلب الذين نتقرب اليهم عن طريق الاصطفاء. واصدقاء الطريق اولئك الذين نزاملهم في الدراسة او في العمل او نجاورهم في السكن وهم يعرفون اين نمضي عطلة نهاية الاسبوع وما اذا كنا لا نزال نعاني الزكام الذي اصبنا به. ومجرد وجودهم بالقرب منا يضفي عليهم اهمية في حياتنا كما يضفي علينا اهمية في حياتهم ولكننا اذا انتقلنا من جوار بعضنا البعض فان ستة اشهر او عامين قد تكفي لمحو احدنا من افكار الآخر، ما لم نكن قد اصبحنا من اصدقاء القلب.

وصديق القلب يراني في صورة من افضل صوري، فاذا ما كنا معا، امكننا رجاؤه عزف الموسيقى، كذلك

الاحتفاظ بالصمت من دون ملل. واننا نتصل ببعضنا تلفونيًا في مواعيد مبكرة او متأخرة عن المواعيد التي نجرؤ فيها على ازعاج الآخرين، كما اننا لا نخلط في علاقاتنا بين الادب والكرم، ونحن نتجادل في بعض الاحيان. ونحن نسافر معا ونتنقل معا: وعندما يضيق الوقت ويشح المال فاننا نكتفي عند ذلك بنزهة قصيرة عبر المدينة ايا يكن المكان، فالمهم هو ان نكون معا.

والصداقات تترابط بعلاقات مقدسة رائعة تتيح تحقيق المعجزات، بل اكثر من ذلك اذا ما تضافرت في بوتقة جماعية عشائرية. وقد خبرت هذا الامر باعتباري انتمي الى ست او سبع جماعات غير تلك التي ولدت فيها، مما حملني على تحديد السمات المشتركة بين نوعين من الاسر: اسرة الولادة واسرة الصداقة، فانتهت محاولتي الى النتائج الآتية:

- لكل اسرة حقيقية رئيس او بطلة او مؤسس هو شخص محاط بالاعجاب والتقدير لمنجزاته او صفاته، يجتمع حوله الآخرون ويقتدون به فيكون حافزا لهم على تحقيق انجازات مماثلة لانجازاته. وبعض الاسر التي يربطها الدم تنجب امثال هؤلاء الاشخاص بانتظام، في حين ان بعضها الآخر ينجبهم على فترات متباعدة قد تبلغ خمسة اجيال.

ولا شك في ان كل جماعة تحتاج الى شخص من هذا الطراز، من وقت الى آخر، بل ان ثمة جماعات من تلك القائمة على غير رابطة الدم يتوافر لها في بعض الاحيان عدد من امثال هؤلاء الاشخاص في وقت واحد.

- لكل اسرة حقيقية شخص يقوم بدور الساهر اليقظ، هو شخص لا غرض له سوى متابعة ما يفعله الآخرون. وهذا الدور ينهض به صاحبه من تلقائه ومن دون تكليف من احد، وهناك دائما من يتطوع للنهوض به، وكثيرا ما يشعر هذا الشخص بأنه مدفوع الى الاحتفاظ بسجل للقصاصات والبومات للصور تستطيع الجماعة ان ترى فيها دليل استمرارها.

- الاسرة الحقيقية مضيافة، علما من افرادها بان المضيفين يحتاجون الى ضيوف بمقدار ما يحتاج الضيوف الى مضيفين فيحملهم سخاؤهم على اجتذاب الضيوف كأعضاء "شرف" في جماعة الاسرة. ومن مثل هذه الجماعات ينضح احساس قوي بالحلقات المحيطة بها من اقارب وجيران ومعلمين وطلبة يتسطيع اي منهم ان ينضم الى الحلقة الداخلية التي يشدها مفهوم ضمني من الاقطاع العاطفي. ومعنى ذلك انك تستطيعين كامرأة ان تطلبي مني رعاية اطفالك طوال فترة الاسبوعين التي ستقضينها في المستشفى، وانني سأتدبر هذا الامر مهما كانت المتاعب التي يسببها لي، ومعنى ذلك ايضا انني استطيع ان اتصل بك تلفونيا في عصر يوم موحش كئيب وانا اعلن انك ستدعينني الى الحضور لديك على الفور.

- الاسرة الحقيقية تواجه المحن بشجاعة. ما أبأس الجماعة التي لا تضم بين افرادها واحدا على الاقل متوهجا، خارق الاطوار، ولكنها تقدره وتعزه. كذلك ما أبأس الجماعة التي تفترض انها تستطيع ان تتفادى المحن وهي تعد جزءا لا يتجزأ من تراث البشر. ومن يدري، فقد يحل

الجنون او الافلاس او الانتحار او غيرها من الاقدار التي لا تصدق، في انبل الجماعات، عاجلا ام آجلا. وما حياة الاسرة سوى مجموعة من الاحداث وكأنها بركات وليست لعنات.

- الاسر الحقيقية، وهذا لا يقتصر على الاسر ذات الرابطة الدموية، فحسب، تحتاج الى طريقة للارتباط بالاجيال اللاحقة. فماذا عسانا نفعل نحن الذين لا اطفال لنا؟ هل نبني بيوتا؟ هل نغرس اشجارا؟ هل نؤلف كتبا او سيمفونيات؟ او نسن قوانين؟ ربما. ولكن حتى مع هذا كله، لا بد من ان يكون ثمة اطفال على الخطوط الجانبية ان لم يكن في محور حياتنا. وانه لفقر محزن ان نحرم بانتظام من ان نشاهد ونحادث ونضاحك - وندلل - اشخاصا ينتظر ان يعيشوا بعدنا بضع عشرات من السنين.

- الاسر الحقيقية تحترم كبار السن فيها. كلما اتسع مجال الاعمار المتباينة كلما اشتدت قوة الجماعة. فقد تزايد الان عدد الاجداد والجدات زيادة كبيرة عما قبل حين كان يندر الوصول الى سن الشيخوخة اكثر من اليوم. اما اذا حرمت الاسرة اجدادا حقيقيين فلن يصعب عليها الاهتداء الى اجداد بديلين تضعهم موضع التكريم والاحترام الصادقين.

كنت ذات يوم في ردهة المبنى الذي تقيم فيه صديقة لي فرأيت ممرضتين تخرجان من المصعد وهما تحيطان بسيدة ذابلة ناحلة محدقة العينين تتكىء عليهما ولا يكاد وزن جسدها الضئيل يزيد على ٣٠ كيلوغراما. وجل ما كانت السيدة العجوز تستطيع القيام به هو ان تنزل درجات ثلاثاً الى رصيف المشاة حيث تنتظرها سيارة عند حافته كي تنقلها الى احدى دور الرعاية.

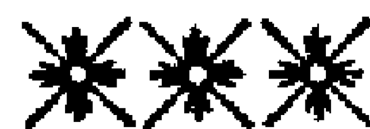
وقال بواب المبنى: "ان تلك السيدة تبلغ التسعين من عمرها وكانت تسكن المنزل منذ اربعين سنة. وقد وقعت في مسكنها ذلك الصباح واصيبت بأذى وقد توفي جميع اقاربها، واهملها اصدقاؤها القليلون الباقون على قيد الحياة."

وسألت صديقتي: "وكيف يكون ذلك؟ هل من الممكن حقا ان تبلغ بنا الوحدة الى هذا الحد؟"

فقالت صديقتي: "نعم، ذلك ممكن يا صديقي".

ولعلنا نستطيع ان نحول دون مثل هذا الوضع، بان نوجه مقدارا اكبر من المبالاة والتفكير الى الجماعات التي تضمنا وانواع الاسر المتعددة التي ننتمي اليها. فليس في نظري هدف ادعى من هذا الهدف واحرى منه بالتحقيق.

■ جين هوارد



أسرار التجارة

ضاعف بائع زهر في ساحة "تيمتر" في باريس دخله بتعليقه لافتة على نافذة المحل تقول: "ازهاري رخيصة بحيث يستطيع حتى الازواج تقديم بعض منها الى زوجاتهم".

أزمة الجوع في العالم

يهدد شبح الجوع مئات الملايين في العالم. والرد الواضح على هذا التهديد يكون بزيادة انتاج الاغذية مع كبح النمو السريع في تزايد عدد السكان. على ان كاتبي هذا المقال، وهما خبيران معروفان في مضمار الزراعة، يقولان ان ذلك ليس سوى جزء من الحقيقة، ويسوقان الادلة على ان الاعتماد على الذات في توفير الغذاء يمكن تحقيقه الان ومستقبلا في كل دول العالم.

الخرافة الاولى: ان الناس جياع بسبب قلة الاغذية المتوافرة لان حجم السكان يفوق المقدار المحدود لمصادر الطعام.

هل يصح اعتبار ندرة الاغذية سببا جديا للجوع علما بانه كانت هناك، ابان "الازمة الغذائية" في السبعينات، مقادير من الاغذية - كحبوب فقط - كافية لتزويد كل انسان بثلاثة آلاف وحدة حرارية يوميا وبالكثير من البروتيين كذلك؟

ليس لمثل هذه التقديرات العالمية اهمية كبيرة سوى انها تدحض الفكرة السائدة على نطاق واسع والقائلة باننا قد ادركنا الحد الاقصى لاستثمار الارض. والامر الذي يهمنا الان معرفته هو: هل ان المناطق التي تشكو من الجوع اكثر من غيرها تتوافر فيها مصادر مؤاتية لانتاج الاغذية.

ان تلك المصادر موجودة فعلا. ومن سبل قياسها النظر الى الفرق الشاسع ما بين الانتاج الحالي والانتاج الممكن تحقيقه. اذ لا يتجاوز نطاق الافادة من الاراضي الصالحة للزراعة في العالم حدود ٤٤ في المئة. فضلا عن ان معدل انتاج الحبوب في البلدان النامية هو ادنى من نصف انتاجها في الدول الصناعية ناهيك بان الاراضي التي تزرع مرة واحدة في السنة يمكن ان تصبح مصدرا لمحصولين أو أكثر سنويا اذا زرعت مرتين او اكثر.

والعوائق التي تحول دون المزيد من

الانتاج هي اجتماعية لا طبيعية، في اغلب الحالات، لان السيطرة غير العادلة على مصادر الانتاج هي المسؤولة عن اعاقة سبل تنميتها.

واننا لنجد في معظم الدول التي يشكو فيها الناس من الجوع مالكين كبارا يهيمنون على معظم الاراضي. وقد أظهرت الدراسات التي أجريت في ثلاثة وثمانين بلدا ان نسبة السكان الذين يملكون خمسين هكتارا فما فوق لا تزيد سوى القليل على مصادر انتاج الاغذية لا تخدم سوى مصالح القادرين على الدفع. وينقسم القادرون قسمين: الطبقة الاجتماعية المحلية العليا، والاسواق الخارجية التي تدفع اسعارا مرتفعة. من هنا فان محاصيل الارض المعدة للتصدير تتزايد وتتوسع بينما تهمل وتتناقص محاصيل الاغذية الاساسية التي من شأنها سد الحاجات المحلية. ففي دول امريكا الوسطى وجزر البحر الكاريبي مثلا يعاني ٧٠ في المئة من

قلة تغتصب مصادر الغذاء

ثلاثة في المئة. وتسيطر هذه القلة على ٨٠ في المئة من مجمل الاراضي الصالحة للزراعة، كما ان محصولها السنوي من استثمار الهكتار الواحد يقل عما يمكن ان يحصله اصغر المزارعين لو اتيح لهم استثمار الاراضي بانفسهم. على ان صغار المزارعين في العالم الثالث ليسوا منتجين بالمقدار الذي تتيحه لهم امكاناتهم. ذلك ان القروض المعفاة من الفوائد والتسهيلات والخدمات والاسواق كلها حكر على كبار مالكي الاراضي الاوسع نفوذا.

وليست الاراضي في الدول التي يشكو فيها الناس من الجوع دون المستوى من حيث حجم الانتاج. بل هي كذلك اراض يساء استثمارها. ذلك بان غالبية السكان هناك لا تملك المال الكافي لجعل حاجاتها ملموسة او ذات أهمية في الاسواق ولهذا فان الاطفال سوء التغذية، في حين تستغل نصف الاراضي الزراعية، وفي الغالب افضلها لانتاج محاصيل معدة للتصدير. والجدير بالملاحظة ان بعض الصادرات الزراعية من الاقطار الساحلية في افريقيا قد زادت في اوائل السبعينات على رغم الجفاف وانتشار المجاعة على نطاق واسع. وكانت معظم المواد الزراعية المستوردة التي دخلت اسواق الولايات المتحدة الامريكية آتية من بلدان كان يفترض انها تعاني نقصا في المواد الغذائية.

ولو كانت "كثرة الناس" سببا في الجوع لتحتم علينا توقع العثور على مزيد من الجياع في الدول ذات الكثافة السكانية الاعظم. ولكننا لم نستطع في ابحاثنا العثور على مثل هذا التناسب. ففي الصين مثلا يعيش من انتاج الهكتار الزراعي الواحد عدد

من الناس يفوق بنسبة ٥٠ في المئة عدد الذين يعتاشون في الهند من المساحة المماثلة ومع ذلك لا يجوع احد في الصين في هذه الايام. وقادتنا الاستقصاءات التي اجريناها في عدد كبير من البلدان، بما فيها البلدان "المنكوبة" مثل بنغلادش، الى الاعتقاد بانه ليس هناك في الحقيقة بلد واحد بلا مصادر زراعية مؤاتية لاطعام شعبه. فلا حجم السكان في هذه الايام ولا نسبة تكاثرهم هما

ترتفع اسعارها على نحو حاد. ومن شأن مثل هذا الارتفاع في أجور الارض جعل المستأجرين الزراعيين واولئك الذين يفلحون الارض بالحصة (اي لمصلحة المالك في مقابل جزء من المحصول) معدمين، بلا ارض. ومع تزايد الارباح يسعى الاقوياء الى شراء حصص صغار المزارعين ثم يدخل كبار الوكلاء التجاريين الآلة في المجال الزراعي لتحاشي المشاكل العمالية.

وتزيد فقر العالم النامي

السبب في الجوع الحالي. ولكن من الواضح ان مستقبل سلامتنا سيتأثر تأثرا خطيرا اذا ما استمر تزايد عدد السكان بالنسب الحالية.

الخرافة الثانية: ان حلّ مسكلة الجوع يكون بانتاج مزيد من الطعام. منذ ثلاثين سنة والحكومات والوكالات الدولية والهيئات المتعددة الجنسيات عاكفة على تشجيع زيادة انتاج الارض بالوسائل العصرية مثل توسيع نطاق الري واستخدام المخصبات والمبيدات والآلات والبذور التي تزيد الانتاجية. ولكن التقنية الزراعية الجديدة حين تدخل نظاما حافلا بعدم التكافؤ لا تعود بالفوائد الا على المتنعمين بالارض والمال والنفوذ السياسي و"استحقاق" القروض. ومتى اصبحت الزراعة مجالا لمضاربات المستثمرين زادت المنافسة على استثمار الاراضي التي

والواقع ان اقصاء المرء عن وسائل انتاج الطعام غالبا ما يعني اقصاءه ايضا عن استهلاك هذا الطعام "لأنك اذا كنت لا تملك ارضا، فلن تحصل على كفايتك من الطعام حتى وان كانت الارض تعطي غلة جيدة". هذا ما قاله عامل زراعي في ولاية بيهار الهندية لا يتجاوز أجره اليومي ٣٦ سنتا (ثلث دولار تقريبا).

ليست هذه مناقشة نظرية، فالدراسات المتعددة في هذا المجال سجلت تدهورا في حياة عدد كبير من سكان الريف وتصاعدا في نسبة الجوع حتى في الوقت الذي تنتج نسبة اعلى من الاغذية بالمقارنة مع عدد السكان.

ومع ذلك فان الذين يسيطرون على مصادرهم الخاصة بالانتاج سيتمكنون، عن طريق استخدام ايديهم ومهارتهم، لا من اطعام

الانتاج الغذائي العربي

البلدان العربية ثلاث فئات من حيث انتاج المواد الغذائية:
١ - بلدان قليلة السكان، تفوق مساحة اراضيها القاحلة السبعين في المئة، مثل المملكة العربية السعودية والخليج.
٢ - بلدان تتمتع بوفرة من الماء والارض الصالحة للزراعة، الا ان زراعتها لا تزال غير نامية وغير موجهة نحو التصدير، مثل مصر والسودان والجزائر والمغرب.
٣ - بلدان تتمتع بمقدار كاف من الماء والارض الخصبة ولكنها تفتقر الى اليد العاملة والآلات الزراعية على نطاق واسع، مثل سورية ولبنان.

والعوائق التي تحول دون تطور الانتاج الزراعي العربي مادية (الأرض والآلة) وبشرية (اليد العاملة) اكثر منها اجتماعية كما هي حال معظم بلدان العالم الثالث. ووادي النيل الذي يزود اليوم ٣٥ مليون مصري بالغذاء، لن يستطيع الاستمرار على هذا المنوال بعد عشرين سنة عندما يتضاعف عدد السكان.

وفي بلدان الخليج لا تزال الآمال معقودة على بعض المشاريع الانمائية، خصوصا ان الاستعمار كان ركز في هذه المنطقة على زراعة المحاصيل غير الغذائية وغير المعدة للتصدير. وفي امكان مصر انتاج كميات كافية من القمح اذا هي حدت من انتاج القطن بقصد التجارة الخارجية.

اما في شمال افريقيا فهناك اهتمام متزايد بمشاريع الاصلاح الزراعي والتنمية الريفية بهدف تأمين الاكتفاء الذاتي من الاغذية.

وتجدر الاشارة الى ان العرب وضعوا آمالا كبارا على تحويل السودان الى "سلة غذاء" العالم العربي. وصناديق التنمية العربية على استعداد لتمويل المشاريع الطويلة الامد في هذا البلد. لكن التحدي الكبير يكمن في تنظيم الموارد البشرية. ويقول المدير العام لمنظمة الاغذية والزراعة الدولية التابعة للامم المتحدة السيد ادوار صوما (لبناني): "ان عدم الاستقرار هي الصفة الطاغية في جزء حيوي من المجتمع السوداني. والبدو هناك رعاة وليسوا مزارعين. وبما ان الزراعة تحتاج الى مزارعين، فالسودان يستقدم اكثر من ٦٠٠ الف من العمال الزراعيين سنويا للاهتمام بانتاجه من القطن".

بناء على العوامل المذكورة وما يتعلق بها ويتبعها، يتوقع ان يظل العالم العربي مستوردا للاغذية خصوصا الحبوب التي يستورد منها حاليا ما يزيد على العشرة ملايين طن سنويا، يذهب اكثر من ثلثها الى مصر. وهذا الاتكال الغذائي العربي القوي الذي يقع ثلثاه على الغرب، يؤدي احيانا الى صعوبات سياسية واقتصادية.

انفسهم فحسب بل كذلك من جعل تلك المصادر اعظم انتاجا. وان الطاقة البشرية تستطيع، اذا ما حفزت وشجعت ونظمت تنظيما حسنا، تحويل الصحراء الى ارض خضراء معطاء.

الخرافة الثالثة: ان أفضل امل للدولة النامية في التطور والنمو هو تصدير محصول زراعي تتميز به طبيعيا ثم الافادة من العائدات المالية لاستيراد المواد الغذائية والسلع الصناعية.

ليس هناك شيء طبيعي - بل ليس هناك على المدى الطويل ميزة في التركيز على انتاج بضعة محاصيل ذات قيمة غذائية منخفضة في معظم الاحيان. فالارض التي تنتج الكاكاو او الشاي او السكر، في امكانها انتاج انواع متعددة من المحاصيل

المغذّية. والذين يفيدون من الصادرات الزراعية ليسوا هم الذين كدحوا في انتاجها. ولئن ُاستخدم جزء من العملة الاجنبية المكتسبة بالتصدير في استيراد مواد غذائية، فان ما يستورد عموما ليس بالمادة التي يحتاج اليها الناس وانما هي منتجات تخدم مصالح سكان المدن الاكثر يسرا.

وعلى سبيل المثال، ُيستخدم جزء كبير من أرض السنغال في زراعة الفول السوداني (الفستق) بغية تصديره الى اوروبا، فيما ينفق جزء من العملة الصعبة الواردة لاستيراد القمح بغيةانتاج خبز على النمط الفرنسي يوضع في متناول سكان المدن!

والادهى من ذلك ان نجاح الزراعة التصديرية قد يكون، في ذاته، عاملا يضاعف من افقار سكان الريف الفقراء أصلا، وكثيرا ما تعني زيادة السعر العالمي لسلعة ما من سلع التصدير دخلا اقل للعامل الزراعي او الفلاح المنتج. والدليل على ذلك انه حين ارتفع سعر السكر قبل بضع سنوات في السوق العالمية اضعافا عدة ساهم في تضخم الاسعار على نحو لولبي، اذ انخفض الاجر الحقيقي الذي كان يتقاضاه عامل قصب السكر في جمهورية الدومينيكان.

يضاف الى ذلك ان الحكومات تجنح احيانا الى ابطال الاصلاحات العمالية اعتقادا منها بان الاصلاح قد يفسد قدرة الصادرات على منافسة السلع الاجنبية. وفي بعض الدول كالفيليبين مثلا تعفى الارض الزراعية المخصص انتاجها للتصدير من انظمة الاصلاح الزراعي وعلى هذا الاساس فان الحكومات لا تحافظ فقط على مستوى فقر اهالي الريف الذين لا يملكون ارضا وانما تساهم كذلك في خفض مستوى انتاج الاغذية الاساسية حيث يحوّل اصحاب الارض جهودهم الى زراعة المحاصيل الصالحة للتصدير تفاديا لانظمة الاصلاح الزراعي وتوزيع الاراضي على نحو اكثر عدالة.

وبالمقارنة مع ما سبق نجد ان السياسات الرامية الى الاعتماد على النفس في انتاج الاغذية لا تقيس النجاح بميزان الدخل من الصادرات بل بمدى رفاهية الشعب وسد حاجاته. وهذا المبدأ لا يعني الانعزال عن بقية العالم وانما يعني ان التجارة مع العالم الخارجي ستكون ثمرة لنمو عضوي وتطور طبيعي لا محورا مهلهلا يتعلق على مداره وجود الامة وبقاؤها.

الخرافة الرابعة: ان الجوع هو نزاع بين عالم غني وعالم فقير.

هذا الكلام يجعل الجياع يبدون وكأنهم تهديد للغالبية من المواطنين العاديين في الدول الاخرى. على ان الجوع فيواقع الامر ُيلم بالدرجات الدنيا من الناس في الدول النامية والمتقدمة على حد سواء. والتركيز المتزايد على السيطرة والتحكم بالارض والمصادر الاخرى لانتاج الاغذية هو عملية تجري الآن في كلا العالمين، المتقدم والنامي.

ففي الولايات المتحدة مثلا، تملك ٥،٥ من المزارع اكثر من نصف الاراضي الزراعية الامريكية. واما في ما يتعلق بصناعة الاغذية فان المؤسسات الاربع الكبرى العاملة في مجالات تصنيع الطعام هي

التي تسيطر عادة على أكثر من نصف الاسواق. وقد تبين ان احتكار القلة للسوق، على هذا النحو، يؤدي الى فرض اثمان باهظة للسلع الغذائية واحداث نقص في التغذية، بالتالي بالنسبة الى الكثيرين.

وثمة عدد متزايد من كبرى الشركات المنتجة للاغذية ينقل الان مكان انتاج المواد ذات القيمة العالية مثل الخضر والفاكهة والطحين واللحوم الى دول نامية حيث تكاليف اليد العاملة منخفضة الى حد يتعدى العشرة فيالمئة من تكاليف اليد العاملة المماثلة في الولايات المتحدة. وتجد هذه الشركات في النخبة المحظية في الدول الاخرى شركاء متحمسين" لان تلك النخبة تواجه سوقا داخلية كاسدة نظرا لتزايد الفقر في قطاع كبير من السكان المحليين.

وهكذا نرى ان شركات زراعية متعددة الجنسيات تنشط حاليا لاقامة "مزرعة دولية النطاق" تموّن سوقا عالمية ايضا. ويتوجب على اكثر الناس فقرا ان يتوجهوا، الى مثل هذه السوق، لشراء طعامهم من الرفوف نفسها التي يتوجه اليها مئات الملايين من المستهلكين حول العالم. بيد ان سعر السلعة في هذه السوق هو السعر نفسه الذي يكون المستهلك الاوسع ثراء، على استعداد لدفعه وبذلك يصبح المستهلك في الدول المتقدمة، من حيث لا يدري، قوة امتصاص تحوّل مصادر الغذاء في الدول النامية بعيدا عن اهلها وحاجاتهم.

ان مثل هذه السوق العالمية النطاق هي واحد من انماط الاعتماد المتبادل الذي لا يحتاج اليه احد. ومثل هذا "الاتكال المتبادل أو اعتماد الاشياء على بعضها البعض يصبح في عالم تتباين فيه القدرات والقوى تباينا متطرفا، ستارا من الدخان يحجب عن الاعين ما هو في الحقيقة اغتصاب القلة لمصادر الاغذية ووضعها في خدمتها.

■ **فرنسيس مور لابيه**
وجوزف كولينز

يشترك الكاتبان في ادارة معهد ابحاث الاغذية والتنمية في مدينة سان فرنسيسكو وهما وضعا معا كتاب "الطعام اولا" الذي صدر عن دار "هوتون ميفلين".



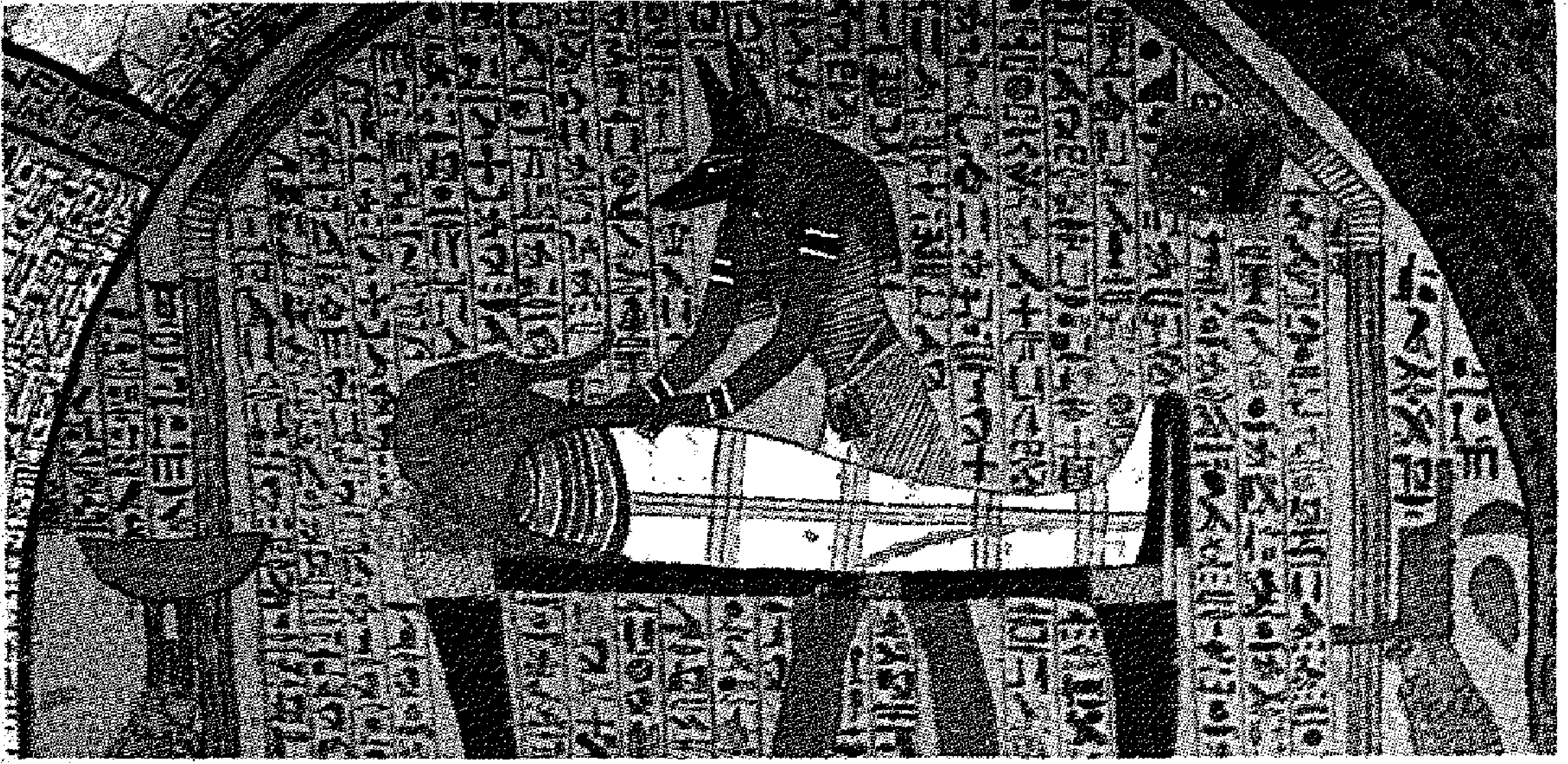
بلاغة المال

استقبل جورج كليمنصو، حين كان رئيسا لوزراء فرنسا، عمدة احدى البلديات المتواضعة، وقال له بخشونة: "ما الذي دعاك للقدوم لازعاجي؟ ليس لدي وقت اضيعه في سماع الخطب. قل لي بكلمة واحدة ماذا تريد".

اجاب العمدة: "المال".

فرد "النمر" (وهو لقب كليمنصو): "انك تعجبني". واعطاه ما اراد لبناء جسر مدينته وشق ساحة فيها.

(مجلة "لوهيريسون"، فرنسا)



يظهر المحنط منهمكا في العمل، وهو يرتدي قناعا يمثل ابن آوى· ويبدو وراءه رسم جداري من أحد مدافن طيبه يوم كانت عاصمة لمصر·

هذه الاوعية الرقيقة المعرضة للعطب تحمل في طياتها سجلات الماضي السحيق وتكشف لنا اليوم عن اسراره الدفينة

أسرار المومياءات المصرية

لقد درج الاطفال، لدى قدومهم الى اي من متاحف الآثار القديمة، على الاستعلام قبل كل شيء عن موضع المومياءات· كذلك هي الحال مع الكبار، فأنهم يتجمعون افواجا من حولها فيوقع مشهدها الدهشة في نفوسهم لما عسى الاحياء يستطيعون ان يجنوه من حفظ هذه الجثث المحنطة على مدى ألوف السنين·

فالسواد الاعظم من هذه المومياءات لم يأبه بالوف السنين، بل صمد للزمن، وكأن الزمن قد توقف عن مسيره وكأن المومياءات هي الرسل الصامتة الموفدة من عالم مفقود لتروي لنا الكثير عن الحضارة الرائعة التي انجبتها، وعن شعبها الذي يأبى التسليم بدوام الموت·

لقد كان الاهتمام بتحنيط جثث الموتى ودرء تحللها امرا خصه العالم بجهود حثيثة· فقد حنطت ، مثلا ،

جثة السيد المسيح المجرحة، حسبما ورد في انجيل يوحنا، بمزيج من "المر والعود مئة منا". وقد حفظ الاسكندر الاكبر في العسل، كما حفظ اللورد نلسون في البراندي، وحفظت في العصر الحديث جثتا لينين وماوتسي تونغ بطريقة فاتتنا معرفتها. غير ان مصر القديمة قد بلغت بفن التحنيط درجة الكمال.

فرمال مصر الدافئة من حرارة الشمس وجفاف الهواء تعد بيئة طبيعية ملائمة لحفظ المومياءات. وقد رأيت جثثا دفنت بلا كفن منذ خمسة آلاف سنة في قبوررملية سطحية. الا ان الفكرة شاعت في عهد الفراعنة لحفظ الجثث في قبور محكمة الاقفال، تفاديا لعبث الوحوش المفترسة وعوادي الزمن، فتطورت عمليات التحنيط واصبحت صناعة تنافس الطبيعة في محاولاتها العفوية الرقيقة لصون الاموات.

وكشواهد "حية" على ذلك فان اقدم المومياءات التي نعرفها تنطوي على حفنة من خليط المواد المفضلة لحفظ الجثث، ويعود تاريخها الى الاسرة الخامسة، اي قرابة السنة ٢٥٠٠ ق.م. وقد استمر فن التحنيط قرابة ثلاثة آلاف سنة من دون انقطاع، وبلغ عصره الذهبي قرابة السنة ١٠٠٠ (ق.م.

ومعظم هذه المومياءات، مع تغضن بشرتها واسودادها لا تبعث على الخوف او الاشمئزاز، وكأنها في هجوع سرمدي لم يغب عنه الطابع الانساني: فمنها المومياء المبتسمة ومنها المتجهمة والمنشدهة الفاغرة فمها والراضية المطمئنة والحالمة الهادئة. وتبدو مومياءات الذكور الملكية بذراعيها المتقاطعتين فوق صدرها بينما تحتفظ مومياءات الاناث بذراعيها منبسطتين الى جانبيها.

وكان الغرض من التحنيط المحافظة على شخصية الميت وراء عتبة الموت. وفي الواقع، اقام الفرنسيون استقبالا ملكيا لمومياء رمسيس الثاني في باريس عام ١٩٧٦ لمعالجتها من مرض خفي تسبب عن طفيليات هوائية تسربت الى الصندوق الزجاجي الذي كانت المومياء معروضة فيه في متحف الآثار المصرية. وكانت مومياء صاحب الجلالة هي المومياء الملكية الاولى التي تغادر مصر، فحيتها ثلة من الحرس الجمهوري الفرنسي لدى وصولها الى المطار. ثم عكف الاختصاصيون الفرنسيون على معالجة رمسيس الثاني ووفقوا فيها بفضل اشعة "الكوبالت ٦٠" واعادوها بعد ذلك الى موطنها في وضعها السليم.

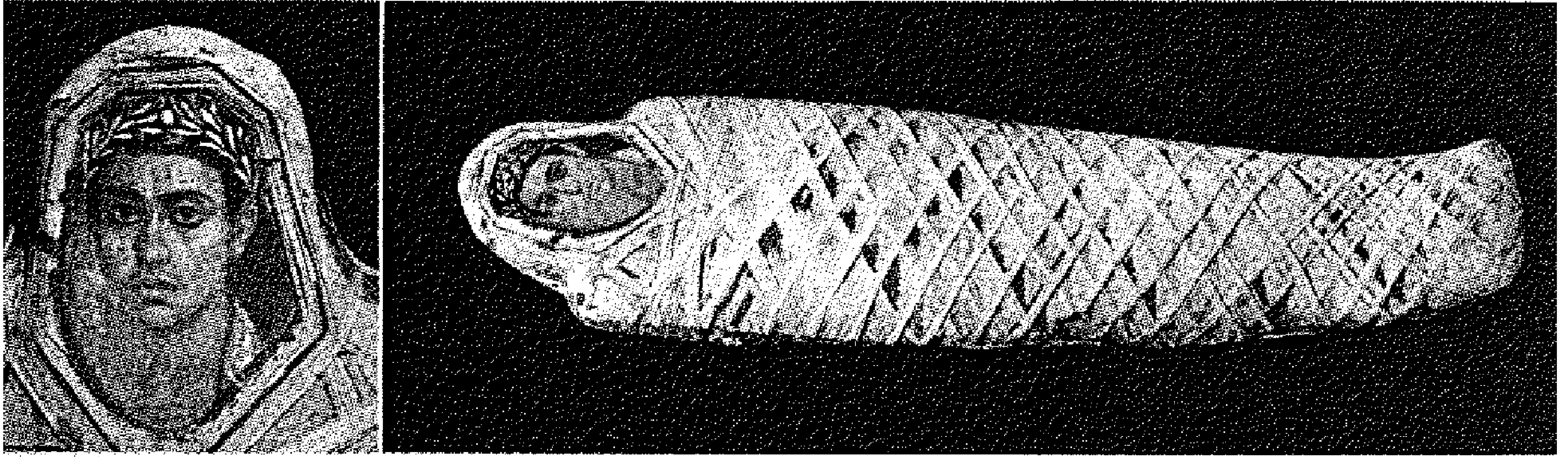
سر المهنة - يشير المؤرخ الاغريقي هيرودوت الذي عاش في القرن الخامس ق.م.، وكان شاهد عيان لعمليات التحنيط في ذلك العهد، الى ثلاث فئات من المراسم الجنائزية كانت اغلاها جنازة الدرجة الاولى حيث كان الحمالون ينقلون الجثة الى مركب في النيل يتوجه بها الى الشاطىء الغربي، فتحمل هناك في موكب يتقدمه احد الكهنة الى خيمة التحنيط.

وبعد ذلك كانت الجثة تطهر بينما يتلو الكهنة الترانيم الجنائزية ويبدأ الحرفيون عملهم. اما رئيس المحنطين فكان يضع على وجهه قناعا يمثل ابن آوى، وربما كان ذاك القناع رمزا لطواف هذه الحيوانات

حول القبور السطحية في الصحراء، ولكنه اصبح بعد ذلك صورة للاله انوبيس ذي رأس ابن آوى، الذي يتزعم ارواح الموتى.

ويضيف المؤرخ اليوناني ديودوروس: "ثم يدخل الشخص الرهيب قاطع الجثة بسكينه الحجري

بمادة النطرون الجاف، وهي مادة طبيعية تحتوي على بيكربونات الصوديوم وكلوريد الصوديوم، وتترك على هذه الحال بين ٣٥ و٤٠ يوما لاستخلاص السوائل منها. وقد أكدت التوراة ذلك فقد جاء فيها ان يوسف، عند موت يعقوب في مصر، امر خدامه



قبل ان يختفي فن التحنيط، بدأ استعمال رسوم للموتى. الى اليسار : صورة مومياء منقوشة على لوح خشب. الى اليمين: المومياء نفسها، وقد عثر عليها في مطلع القرن العشرين شمال هرم هوارد. ووجهها مغطى بالرسم الذي يمثله.

ليشق في الجانب الايسر من بطن الجثة جرحا طوله قرابة ١٥ سنتيمترا ويهرب بأقصى سرعته تلاحقه الصخور الطائرة واللعنات عقابا له لانتهاكه حرمة جسد بشري. وفي هذه الاثناء يتولى عمال آخرون استئصال معظم الامعاء وتحنيطها ثم وضعها في اربع اوان حجرية تدفن مع المومياء. وكان المخ ينزع بمهارة ويترك القلب وحده في موضعه باعتباره مأوى الضمير الذي يوزن في العالم الآخر. اما فراغات الجسد الخاوي، فكانت تغسل بنبيذ النخيل وتطلى بالزيوت وقاية لها من الجراثيم".

ان الماء في الجسم البشري يعادل ثلاثة ارباع وزنه. ويقوم فن التحنيط القديم على اخراج هذا الماء من دون اتلاف الانسجة. ويعتقد العلماء المعاصرون ان الجثة كانت تحزم

من العلماء بتحنيط جثة ابيه. وكان ذلك يلزمه ٤٠ يوما وهي الفترة الضرورية للتحنيط.

وبعد تشريح الجثة، تأتي مهمة اختصاصيي التجميل، فيحشون الجسد بلفافات الكتان او بنشارة الخشب، ليستعيد شكله الطبيعي. ثم يغطي الاختصاصي جرح البطن بصفيحة ذهبية ويطلي اظافر القدمين واليدين بالحناء ويمشط شعر النساء على شكل ضفائر ويضع في محجري العينين حجرين شبه كريمين. وقد اولى قدامى المصريين عناية كبرى لملامح الوجه لانها الدليل الاول على شخصية الميت. بعدئذ كان الجسد يفرك بالعطر والطيب الذي لا تزال رائحته نفاذة حتى الان في بعض المومياءات ثم يطلى بطبقة من الصمغ القوي.

الان وقد انتهى تحضير الجثة التي

كانت انسانا قبل ذلك، بات من الممكن الاهتمام بتغليفها. وكانت عملية التغليف تستغرق اسبوعين ولفائف الكتان المستخدمة يصل طولها الى مئة وخمسين مترا مرفقة احيانا ببعض اللفائف الخارجية الملونة الفنية التنسيق.

الرحلة السوداء - وفي نهاية اليوم السبعين من عملية التحنيط، كانت المراسم الجنائزية تتوج بفتح فم المومياء للرمز الى تمكين المتوفي من التنفس وتناول الطعام والشراب والدفاع عن نفسه امام القاضي الاعلى. وفي اثناء هذا الاحتفال كانت المومياء تحفظ واقفة بينما كان احد الكهنة يمس الوجه الملفوف بقدوم نجار قائلا: "انك حي... انك شاب". وهكذا تستطيع المومياء اخيرا، بعد ان يودعها الاقارب والاصدقاء، ان تبدأ رحلتها السوداء خلال العالم السفلي لتمثل امام محكمة اوزيريس ابن السماء والارض.

وكان من المفروض ان "تصبح" المومياء البشرية اوزيريس في ما وراء الحياة وانما كانت الرحلة شاقة، تقود الميت عبر سراديب مظلمة رهيبة تشن فيها الشياطين غارات متكررة على مركب الميت، كما كان عليه ان يجتاز بوابة يحرسها ثعبانان رهيبان، حتى اذا ما تمت الرحلة بسلام، تمكن الميت اخيرا من مواجهة اوزيريس المتجهم الوجه والذي يحيط به اثنان واربعون من المساعدين فيأمرهم بوزن قلب الميت.

وكان الميت يحمل عليه داخل اللفائف جعلا مقدسا مصنوعا من الحجار الثمينة نقش عليه التماس بعدم اداء "الشهادة ضد صاحب هذا الجعل". واما اذا كان قلب الميت مثقلا بالاعمال الاثيمة، فكان عقابه في الحال ان يفترسه التمساح، آكل الموتى، بينما يتابع صاحب القلب النقي مسيرته الى السعادة الابدية في مكان مثالي رحب كأنه ارض مصر.

ولكي يطمئن الميت الى الاقامة في دار البقاء، كانت المقابر تزين برسوم ونقوش تعكس رغد الحياة وهناءها. فكان هناك الطعام والشراب والاثاث وادوات التزيين بما فيها الامشاط وامواس الحلاقة. وكان هناك الذهب للغني والقوي كأنما شعار ذلك هو: "ان في مقدورك ان تصطحب معك هذه الاشياء". وكان حفارو القبور يشقون طريقهم تحت الارض في خنادق مستطيلة للاستيلاء على هذه الكنوز. وهذا ما حمل على الشروع قرابة سنة الف وستمئة قبل الميلاد بدفن الملوك المتوفين في الوادي الصحراوي المليء بالعقارب غرب طيبة، في قاعات سرية اقيمت بعمق مئات الاقدام داخل جروف كلسية. وحتى هذه المقابر تعرضت للسطو كما تدل على ذلك آثار العنف البادية على بعض المومياءات الموجودة حاليا في القاهرة. وقبل ان يزول عهد التحنيط، ترك وراءه مأثرة فنية رائعة تجلت في رسم صورة المومياء على لوحة خشبية رقيقة مشدودة الى الوجه المعصوب. وكثيرا ما كانت هذه الصور مطابقة تماما للوجه الحقيقي، الى حد لم تغفل معه حتى الشعيرات الاولى النابتة على ذقن الشاب اليافع. وكان الغرض من هذه الدقة ابراز الميت وكأنه بعث من

مومياته ليقول: "ها انني حي يرزق".

القراءة في كتاب الماضي - حين غزا نابليون بونابرت مصر عام ١٧٩٨، وكان لا يزال قائدا شابا يطمح الى بناء امبراطوريته، اصطحب معه عددا من العلماء اجروا اول مسح شامل لآثار مصر القديمة. وقد اذهلتهم المومياءات المخرجة من مدافنها عندما لاحظوا ان الاذن والانف والخد والشفة وجفن العين لا تزال طبيعية المظهر كما بدت لهم كل شعرة ثابتة تماما في مكانها.

وعندما اصبحت مئات المومياءات في المتاحف والاماكن الاثرية الخاصة، استولى على المجتمع شغف آسر بأولئك الموتى المصريين فراح احد الجراحين البريطانيين توماس بتيغرو المكنى بـ"المومياء" يشتري كل مومياء بمئة وخمسين دولارا وكان يخرجها من لفائفها، في مقابل رسم معين، امام جمهور المشاهدين. وقد راجت حينذاك تجارة المومياءات الزائفة حول الاماكن السياحية في مصر. اما الان فان مصر تمنع تصدير المومياءات التي لا تزال تكتشف بالمئات، فتستنير بها غوامض معلوماتنا عن الماضي. ويهتم العلماء "بقراءة" هذه المومياءات - ان جاز التعبير - بفضل اشعة اكس والمجاهر واجهزة القياس والوزن والعقول الالكترونية. وبفضل مثل هذه التقنيات امكن اكتشاف شخصية احدى المومياءات منذ ثمانين سنة، في قبر امنحوتب الثاني، فكانت هي الملكة طاي زوجة امنحوتب الثالث وجدة الفرعون توت عنخ آمون. وبعد ان تحقق المتحف المصري من صحة هذا الامر قرر نقل المومياء لكي تسجّى في نعش مكشوف الى جانب زوجها الشرعي، داخل المتحف.

وقد عثر على مومياء مدفونة مع الملكة ماكار، ظن في اول الامر انها جثة طفل، ولم يلبث ان تبين بفضل الاشعة انها مومياء قردح (نوع من القرود).

ونعلم الآن ان المصريين كانوا يعانون آلام الاسنان، ابتداء من الفرعون فما دون. فقد تمكن فريق من الباحثين من كلية طب الاسنان في جامعة ميتشيغان، في اثناء وجوده في القاهرة، من وضع قائمة حافلة بالاضراس المرصوصة والخراجات في الحنك والاسنان المتآكلة حتى قرمتها من جراء مضغ الخبز والخضر برمالها وحصاها. ولقد عانت مصر القديمة مختلف العلل التي نعرفها اليوم تقريبا، ما عدا الويلات الاخرى التي تترصد الانسان. فقد عثر، مثلا، على مومياء احد الفراعنة وعلى جبهته اثر جرح من ضربة فأس، كذلك عثر على مومياء احد الامراء وقد التوت قسمات وجهه من شدة الالم مما يدل على انه مات مسموما.

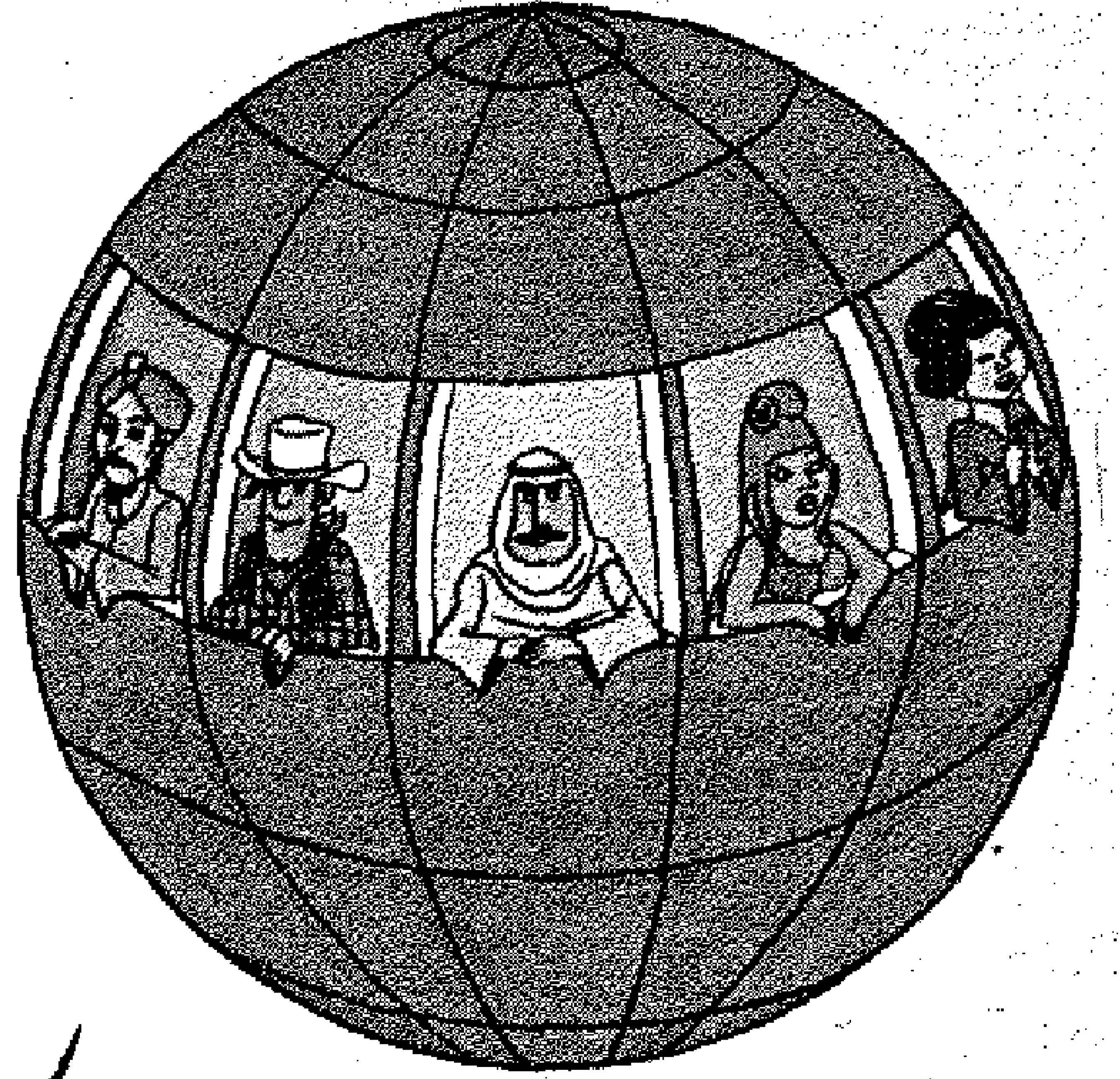
وقال البريطاني ج. ايليوت سميث، الاختصاصي في علم الانسان وعلم التشريح، عام ١٩١٢، "ان عرض المومياءات ودراستها قد يعتبران اهانة لها وتدنيسا". ولكنه اضاف: "غير ان وجود مثل هذه المستندات التاريخية القيمة، يوجب علينا العناية بدراستها بكل ما أوتينا من دقة".

■ **ارنست هاوزر**



من أقتفى اثر الآخرين لا يترك أثراً لقدميه.

جون برانون



حكايات صغيرة من العالم

مأدبة اباطرة

قبل بضع سنوات، أقام مطعم "امباسادور" في هونغ كونغ مأدبة استغرقت يومين، اطلق عليها اسم "مأدبة أباطرة الصين". ومن بين ما قدم من أطباق مترفة خرطوم فيل واقدام دببة وطبق اعد من ١٤٤ لسان من ألسنة الطير. واشرف على خدمة المدعوين الى هذه الوليمة التاريخية الجريئة اربع نادلات واربعة نادلين ارتدوا جميعا بذلات من الحرير الطبيعي. وبلغت كلفة الوليمة التي دعي اليها اثنا عشر شخصا من مشاهير اليابانيين قرابة ٤١ الف دولار.

وقد اعدت المأدبة على نسق الوجبات التي كانت تقدم الى اباطرة سلالة شينغ، واستغرق تحضيرها ثلاثة اشهر بما في ذلك الوقت اللازم للعثور على خرطوم فيل في تايلاند. وقد استغرق طهي اقدام الدببة حتى غدت صالحة للمضغ، ثلاثة ايام.

ف.ب.

الشطرنج الراقص

اذا اردت مشاهدة لعبة شطرنج كبيرة حقا، فعليك بزيارة مدينة ماروستيكا في ايطاليا. فهناك يعاد تمثيل مباراة اسطورية تعود الى القرن الخامس عشر مرة كل سنتين، حيث يقف ممثلون ارتدوا ازياء تجعلهم يشبهون قطع الشطرنج في ساحة من الرخام تتسع للعبة التنس، وهي مقسمة الى ٦٤ مربعا. وحين يعلن المنادي الحركة التالية، يتحرك الممثلون في ابهة تليق بالقرون الوسطى لتنفيذها.

وكانت المباراة الاولى من هذا النوع قد نظمت من قبل حاكم ماروستيكا كبديل لمبارزة بين شابين تقدما لطلب يد ابنته. ولكي يتمكن الناس من متابعة المباراة، لجأ الحاكم الى "قطع الشطرنج البشرية" لكي تعيد كل حركة يقوم بها احد المتباريين الفعليين على المربعات الرخامية للساحة المواجهة لقلعته.

ن.ب.

الجبل المقدس

مثلما يعتبر الامريكيون نصب الحرية رمزا قوميا، هكذا يعد اليابانيون جبل فوجي رمزا لهم، بحيث تمثل مراقبة بزوغ النور السماوي "غورايكو" عندما تشرق الشمس على الجبل، طقسا مقدسا.

لكن لليابانيين حكمة تقول:

"من لا يتسلق جبل فوجي مرة في العمر احمق، ومن يتسلقه مرتين اكثر حماقة".

(يونايتدبرس)

مركبة فضائية غير مقصودة

اختارت وكالة الطيران والفضاء الامريكية ان تستخدم في رحلاتها المأهولة آلة تصوير من طراز "هاسلبلاد"، وهي آلة التصوير التي اخترعها الاسوجي فيكتور هاسلبلاد في الاربعينات.

وخلال سير رائد الفضاء مايكل كولنز خارج مركبته عام ١٩٦٦، انفكت آلة التصوير عن رباطها ودارت فترةمن الوقت حول الارض، لتغدو بذلك الجرم الفضائي الاسوجي الوحيد.

(مجلة "تايم")

مؤشرات الطبيعة

من عادة المزارعين اليابانيين التطلع الى الجبال لمعرفة موعد حلول فصل الربيع. وفي منطقة هونشو الوسطى، الى الشمال الغربي من طوكيو، يهيئون شتلات الارز استعدادا لزراعتها حين يتخذ الثلج الذائب على جانب احدى القمم شكل شيخ يحمل سلة من الخيزران. وفي منطقة اخرى ينتظر الفلاحون ظهور شكل حصان اسود على سفح احد الجبال (من جراء تراكم تلقائي لكتل الصخور) يقف الى جانب بقايا حقل جليدي يتخذ شكل مهر حديث الولادة.

روث كيرك، في كتاب "الثلج"

القمامة الملكية

خلال الحرب العالمية الثانية، ساهمت ملكة بريطانيا العظمى بحماسة في الحملة الوطنية لجمع النفايات النافعة. فحيثما عثرت على قطعة عظم خبأها ثعلب او على شظية حديد قديمة، كانت تلتقطها وتعطيها لاحدى وصيفاتها، فتنقلها هذه الى البيت على مضض.

ويروى انها ذات نهار ربيعي رائق، عادت غانمة من نزهة على الاقدام وهي تجر وراءها قطعة حديد قديمة صدئة لكي تضيفها الى "القمامة الملكية". وبعد دقائق قليلة، حمل اليها الحاجب رسالة مستعجلة من مزارع يسكن قريبا تقول: "ارجوك يا صاحبة الجلالة - لقد عاد المدعو هودج الى حقله، فوجد ان صاحبة الجلالة اخذت محراثه. فهل تتكرمين، يا صاحبة الجلالة، باعادته اليه فورا، لانه لا يستطيع الاستغناء عنه؟"

ا. سيتويل

النساء اولا

نشرت صحيفة سوفييتية اخيرا نتائج "استفتاء" طريف اجرته على مئة عائلة. فمن بين هذه العائلات، وصفت تسعون زوجة انفسهن كربات للعائلة ووافق الازواج على ذلك، ووصف تسعة ازواج انفسهم كأرباب للعائلة، لكن الزوجات لم يوافقن. اما الزوج الوحيد الذي اعتبرته زوجته رب العائلة، فقد ابلغته الصحيفة انه نال جائزة، وحين طلب منه اختيارها، التفت الى زوجته وسألها: "ماريا، اي جائزة اختار؟".

(صحيفة "يو. اس. نيوز اند وورلد ريبورت")

بوصلة لمعرفة القبلة

اخترع ايراني اداة تشبه البوصلة، طبع عليها اسم ١٥٠ مدينة باللغة العربية. وما على المسلم سوى تحريك هذه الاداة حتى تشير الابرة نحو الشمال، ومن ثم توجيه القرص حتى يستقر على اسم المدينة التي يكون فيها. وعند ذاك سيشير سهم الى موقع مكة المكرمة التي تتجه نحوها ابصار المسلمين عند الصلاة.

م. س.

حظر الحظر

فرضت حكومة تاسمانيا حظرا على نشر قائمة المطبوعات المحظورة. واعلن المدعي العام انه اوقف نشر قائمة تضم اسماء الفي صحيفة، لانه وجد الاسماء فاضحة الى حد مقرف.

(مجلة "العصر"، اوستراليا)

خلف ايرنست طومسون سيتون، المتخصص في دراسة البيئة الطبيعية للحيوان والنبات، تركة لا تقدر بثمن من حكايات البراري وصور المخلوقات التي أغدق عليها حبه

العالم الأليف

قبل وقت طويل من شيوع عبارات مثل "عالم بيئة الاحياء" و"المتخصص في البيئة"، كان ايرنست طومسون سيتون (١٨٦٠ - ١٩٤٦) مهتما اهتماما كبيرا بمصادر الحياة البرية المتضائلة· وبما انه كان صيادا فقد طالب بوضع قوانين تحدد الصيد المسموح به وتقييد مواسم الصيد·

من بين الذئاب الرائعة في حديقة النبات في باريس، كثيرا ما اتخذ ذئب الصورة الزيتية هذه وضع النائم·

الظباء البيضاء الذيل (اودوكويلوس فيرجينيانوس) بين الشجيرات والمستنقعات. وهي تذود عن حماها بنفسها وتتكاثر على رغم الصياد والذئب. ويظهر هنا قطيع منها يتوثب للابتعاد عن منطقة يحتلها حيوان القندس.



يعيش كل مرموط (مارومونا موناكس) وكأنه السيد السعيد لعرين حول بابه. ويتلخص سر حياته وحكمته بملازمة سطح الارض.

أنغام جبال روكي الكبيرة القرون (أوفيس كانا دينسيس) في "موسم الحب والحرب"، وهي طليقة الجناح. وتتلاقى، وهي منطلقة بسرعة ٣٢ كيلومترا في الساعة، وكأنها مطارق أوتاد.



▲ صورة تخيلها سيتون لقطيع ذئاب كما قد يبدو من مؤخر عربة جليد منطلقة بسرعة.

أرانب البيكة (اوكوتونا) الصغيرة في منطقة الانهيارات الصخرية في الاحراج غرب الولايات المتحدة. ▼



لم يحالفني الحظ اطلاقا لمشاهدة اسد الجبل (فيليس كونكولور)، مع اني لا اظن ان كثيرين شاهدوه. وفي هذا الرأس الرائع والرسوم الدقيقة، ابرز سيتون اهم خصال القط الكبير في مخبأه.

كان سيتون عصاميا في علمه عن الطبيعة، كما كان المؤسس المشارك للحركة الكشفية الامريكية. واصبح رساما موهوبا وباحثا وكاتبا صلب العزيمة قوي التصميم فوضع ما يزيد على اربعين كتابا وقرابة خمسة آلاف رسم وصورة. ولم تتمكن الا قلة من الطيور من النجاة من تمحيصه، كما لم تنج من عينه وقلمه سوى قلة من الحيوانات.

كان سيتون، الانكليزي المولد، في السادسة من عمره عندما ارتحل والداه الى كندا. وهناك اندفع، برغبة جامحة، الى معرفة كل ما يستطيع معرفته حول المخلوقات البرية. وتوافرت لدى ذلك الصبي مقدرة طبيعية على الرسم، كما كان شديد المثابرة على تدوين مذكرات عما كان يراه في الطبيعة. ثم درس الفن في لندن وباريس، وبلغ مستوى رفيعا جدا في علم التشريح. وكان يعرف كل عضلة وعظمة ووتر في الحيوان، كما كان شديد الحرص على التفاصيل الدقيقة التي امتاز بها عمله.

وهاجر سيتون الى الولايات المتحدة عام ١٨٨٣، واصبح مواطنا امريكيا عام ١٩٣١. وكرس بقية حياته لاستكشاف الحقول والسهول والاحراج. وتوخى في كتاباته الروائية نقل الحقائق الواقعية عن حياة الحيوان وانماط تفكيره.

وفي هذه الصفحات بعض من اروع رسوم سيتون المذيلة بتعليقات مستمدة منه.

من كتاب "عوالم ايرنست طومسون سيتون"



ليس لاي شراب آخر القدرة على التهدئة والاثارة معا، او على توفير هذا المقدار الكبير من السرور من غير ان يحدث اي اذى على الاطلاق، كما للشاي

"يشرب الانسان الشاي لينسى ضجة العالم"• هكذا كتب الحكيم الصيني تيين ييهنغ•

ويقال ان القهوة للعالم عند منتصف الليل، اما الشاي فاننا نشربه حين نريد ان نتمتع بصفاء الذهن والهدوء والطمأنينة•

كل يوم تستهلك الوف الملايين من اكواب الشاي في العالم قاطبة، فالمسافرون في القطار عبر سيبيريا يرشفون الشاي المحضر في اناء خاص اسمه "السماور"، والسكان الاصليون في اوستراليا يشربونه من ركوات سود، والكينيون يستقبلون الضيف بقولهم: "كاريبو تشاي"، اي "على الرحب والسعة، فلنتناول بعض الشاي"• وفي انكلترا اعلن عمال المصانع الاضراب مطالبين بفترات خاصة لشرب الشاي•

من أين لنا هذه الهبة التي يجب ان

نكون ممتنين لها امتنانا عميقا؟ ان نبتة الشاي صنف مدجّن من نبتة الكاميليا البرية. وهي دائمة الاخضرار، ترتفع نحو تسعة امتار حين تكون برية، لكنها تشذب عند تدجينها بحيث لا تزيد على متر واحد. وهي افضل ما تنمو في الاتربة الحمضية وعلى منحدرات التلال ذات التصريف الحسن للمياه. كما يمكن ان تنمو في منحدرات الجبال التي ترتفع قرابة ٢١٠٠ متر. ويلزمها من المطر ما لا يقل عن متر و٢٥ سنتيمترا في السنة. والمعروف ان نبتة الشاي تعمّر اكثر من مئة سنة.

ولئن كان يمكن زرع الشاي على الشواطىء الشمالية من البحر الاسود وعلى خط الاستواء، الا ان القسم الاكبر من الشاي في العالم يأتي من مناطق ارتبط اسم الشاي الفاخر بها، هي الهند والصين وسري لانكا (سيلان). اما افريقيا التي تنتج حاليا ١٢ في المئة من المحصول العالمي للشاي، فقد تصبح المصدّرة الاولى له في المستقبل.

ان العنصرين الرئيسيين اللذين يتكون منهما الشاي هما "الكافيين" و"التانين" واذا مزج هذان العنصران بـ"التيوبرومين" و"التيوفيلين" (وهما عقاران خفيفان لا يسببان الادمان) في الشاي المحضر تحضيرا جيدا، اثارا القلب والجهاز العصبي المركزي وقللا حموضة المعدة. ثم ان الشاي يحتوي على مواد نافعة من "الفلوريد" والتانين والزيوت القابلة للتبخر وفيتامينات "ب" - واربع سعرات (وحدات) حرارية فقط في كل كوب منه.

دواء كل العلل – "كان الصينيون القدماء يؤكدون ان الشاي مفيد لكل شيء – من البخَر (رائحة النفس الكريهة) حتى جعل العظام اخف".

وفي لندن، في القرن السابع عشر، كان مقهى "غاراواي" يعلن ان الشاي مفيد "لاوجاع الرأس والحصى في الكلية والاستسقاء والنعاس والارتخاء وانقباض المعدة". وقال وليم ايوارت غلادستون، السياسي البريطاني الكبير من القرن التاسع عشر: "اذا كنت تحس بالبرد، فالشاي يعطيك الدفء. واذا كنت ساخنا، فانه يعطيك البرودة. واذا كنت كئيبا، فانه يفرحك. واذا كنت ثائرا فانه يهدئك".

ويجمع مدمنو الشاي اليوم على انه ليس لاي شراب آخر مثل هذه القدرة على التهدئة والاثارة معا، وتوفير السرور الى هذا الحد من غير ان يحدث اي ضرر على الاطلاق.

ويُظَن ان الشاي زرع للمرة الاولى في الصين منذ نحو الفي عام، ثم انتقلت زراعته الى اليابان في القرن السادس للميلاد. وادخل الى اوروبا عام ١٦١٠ حين عاد تجار الشركة الهولندية للهند الشرقية من جاوا بعدد من صناديق اوراق الشاي. وفي هولندا بيع الشاي، اول ما بيع، في الصيدليات الى جانب البهارات الاجنبية.

وفي انكلترا حيث بدأ الشاي يغزو المقاهي اللندنية، كان ثمنه باهظا الى حد غير مألوف (اذ ان ثمن نصف كيلوغرام من ادنى انواع الشاي كان يبلغ نحو ثلث اجرة العامل الماهر الاسبوعية). ومع تقدم الزراعة والمواصلات، هبط الثمن في القرن التاسع عشر، وحل الشاي محل القهوة

كشراب قومي. وفي عام ١٨٤٠، بدأت دوقة بدفورد تقدم الشاي والحلوى عند الساعة الرابعة، لتخفيف "شعور بالكآبة" كان ينتابها عند تلك الساعة. وتحول الشاي بعد ذلك في انكلترا الى "وجبة طعام"، ولم يبق شرابا محضا.

وكان انتقال الشاي الى العالم الجديد في الوقت نفسه الذي انتقل فيه الى اوروبا. ففي القرن السابع عشر كانت السيدات الهولنديات يقدمن انواعا كثيرة منه، مستعملات ورق الزعفران او الدراقن كمادة منكهة. وفي مقاطعة نيو انغلاند الامريكية، حيث بلغ ثمن نصف كيلوغرام الشاي نحو ستين دولارا، كانت الزوجات يغلينه الى اقصى حد ويشربنه مرا، ثم يأكلن أوراقه - من فرط بخلهن - بالزبدة والملح.

وربما تسنى للشاي أن يصبح الشراب الامريكي القومي لو لم يفرض البريطانيون ضريبة عليه عام ١٧٧٣. وأثار ذلك الفعل غضب ابناء الجاليات، فصعد هؤلاء الى ثلاث سفن تابعة لشركة الهند الشرقية في ميناء بوسطن ورموا الى الماء ٣٤٢ صندوقا من الشاي. وفي السنوات التي اعقبت عملية بوسطن هذه، اختفى الشاي من الاسواق الامريكية.

منافع جانبية ـ وعلى رغم ذلك، فان امريكا قدمت ثلاث خدمات رئيسية في سبيل توزيع الشاي واستهلاكه. وكانت اولى تلك الخدمات تصميم السفينة الشراعية السريعة التي استخدمها البريطانيون، بعد ادخال تعديل عليها، للتجارة الصينية. وسرعان ما امتلأت الاسواق بكميات من الشاي بالسعر المعقول. وأعقب ذلك صنع اكياس صغيرة للشاي بإلهام من تاجر نيويوركي شاب اسمه توماس ساليفان، بدأ عام ١٩٠٤ يرسل نماذج من الشاي الذي لديه في اكياس حرير صغيرة مخاطة باليد. وسرعان ما اخذ زبائنه يضعون هذه الاكياس في الماء المغلي، ثم راحوا يطلبون المزيد منها. وفي السنة نفسها وجد الانكليزي ريتشارد بلتشيندن انه لا يستطيع جذب اهتمام جماهير المتصببين عرقا في معرض سانت لويس الدولي بما لديه من اقداح يتصاعد منها البخار من شاي الشرق الاقصى، فأخذ يصب الشاي في اكواب فوق قطع الثلج، وبذلك ابتكر الشاي المثلج.

ولئن كانت نباتات الشاي المعروفة في العالم تقل عن ستة انواع، الا انه يمكن القول ان هناك انواعا من الشاي بمقدار ما هناك من حقول وفصول واتربة، أو من خليط من هذه العناصر. والشاي يتأثر الى حد مدهش ببيئته بما فيها من تراب ومناخ وروائح. وهكذا، فان الشاي الصيني "لابسانغ سوشونغ" يدين بالكثير من نكهته الدخانية الى تربة منطقة فوكين الصينية، بينما يستمد شاي "دارجيلينغ" الهندي نكهته الفاكهية من التربة والاحوال المناخية في سفوح جبال حملايا. ولصنع شاي ياسميني، لا لزوم لمزج الشاي ببراعم الياسمين، وانما يكفي ان تضع اوراق الشاي قرب هذه الزهرات اياما قليلة حتى تنقل اليها نكهة الياسمين.

وخلال فترات القطاف الخمس او الست في السنة في حقول زراعة الشاي الشاسعة في آسيا، يلتقط القاطفون بعناية اعلى ورقتين في

الشاي عند العرب

من أكثر الامم عناية بشرب الشاي ونظافة آلاته وأدواته أهل ايران وتركيا والحجاز والعراق والمغرب. وهناك أكثر من كتاب عربي حول هذا الشراب.

ويسمى الشاي عند أهل المغرب "تاي" أو "أتاي". وغالبا ما يشربون الشاي الاخضر مع النعناع. ويغالي المغاربة في اتقان أدوات الشاي المعدنية والفضية. وكل يقتني منها بحسب مكانته وقدرته.

ويسمى الشاي عند أهل الجزيرة العربية "الشاهي". وهم مولعون به ويكثرون من شربه. وهناك نوع منه يسمى "الكابلي" ولا يستعمل الا هناك. وطريقة تحضيره ان يؤتى بالحليب فيغلى على النار غليا شديدا، ويوضع فيه الشاي الاسود او الاخضر او كلاهما ثم يغلى جيدا.

وهناك مربى الشاي الذي يعد بواسطة غلي مئة غرام من السكر المدقوق وعشرة غرامات من النشاء في ماء يكفي لحل المزيج حتى ينعقد مع بقائه شفافا. ويضاف الى المزيج، بعد ان يبرد، خمسون غراما من الشاي ممزوجة بخمسين غراما من السكر الناشف، فيصير لزجا ويفرغ في قوالب حيث يجمد.

نبتة الشاي وبرعما واحدا، ثم يضعون القطاف في سلال يحملونها على ظهورهم. ويستطيع القاطف الماهر ان يجمع بين ٣٠ و٣٥ كيلوغراما من الاوراق الخضر في اليوم الواحد. وتجفف الاوراق وتصنع ثم توضب اعدادا لانزالها الى الاسواق.

خبرة التذوق – ان القسم الاكبر من عملية تجارة الشاي العالمية يجري في لندن. ومنذ فترة وجيزة زرت مصنع توايننغ، والراجح انه اقدم مصانع انكلترا للشاي (١٧٠٦)، وادخلت غرفة في منتهى النظافة حيث كان ستة رجال يذوقون انواع الشاي من أجل تقييمها وتصنيفها. هنا يختبر الذائق نحو ٥٠٠ - ٦٠٠ نموذج في اليوم، وعلى حكمه تتوقف مبيعات بمئات الوف الدولارات. وهو يبدأ الاختبار بأن يشرب الشاي بملعقة، محدثا صوتا من جراء ارتشافه. ثم يدير هذا السائل في فمه بقوة، واخيرا ينفثه في مبصقة.

وفي استطاعة الذائق الخبير ان يسمي الحقل الذي نبت فيه الشاي، وحتى الوقت الذي جمع فيه. واذا اعجبه النوع الذي يذوقه، قال انه جذاب وذو زهرة جيدة التفتح ورائحة زكية وانه قوي ومنعش، اي انه شاي جيد الصنع، ذو لمعان جميل، وانه مثير للسرور وله رائحة عطرة. اما الشاي الذي يرونه غير ذي طعم أو نكهة طيبة، فانه لا يستحق ان يشترى.

ثم قادني سام توايننغ، مدير التصدير في المؤسسة، الى سوق لبيع الشاي حيث كان يقف اربعون رجلا موزعين في مجموعات، وهم يتكلمون بأصوات خافتة حذرة. ففي تجارة الشاي النبيلة تتم العمليات التجارية بكلمات قليلة يتبادلها الشاري والسمسار همسا او تمتمة. وقد يباع من الشاي في اليوم الواحد ما يبلغ ثمنه نحو خمسة ملايين دولار.

كيف نعد كوبا جيدا من الشاي؟ رد

توانينغ على ذلك بقوله: "المهم ان تعده على النحو الذي تفضله انت". لكنه مع ذلك اشار الى بعض اصول عامة:

احتفظ بالشاي في وعاء مغلق باحكام. واستعمل الماء البارد الطازج وسخنه حتى البدء بالغليان. قبل ذلك سخن ابريق الشاي (والمفضل ان يكون مصنوعا من خزف صيني). ضع الشاي فيه بين ثلاث دقائق وسبع دقائق - وهذا يتوقف على ما اذا كان الشاي الذي تستعمله صغير الورق او كبيره. واذا استعملت مصفاة عند صب الشاي، فالمصنوع منها من الفولاذ الذي لا يصدأ هو الاقل تأثيرا في طعم الشاي.

وماذا عن اكياس الشاي؟ لقد اجمع الذائقون الذين تحدثت اليهم على انه في امكانك ان تعد كوبا لذيذا من الشاي بكيس منه، شرط ان تختار صنفا جيدا.

طبق هذه الاصول البسيطة. واذا استعملت الشاي الزكي القوي الرائحة، ذا الزهرة المتفتحة تفتحا حسنا، فستحصل على ابريق من الشاي جدير بشخصية صينية كبيرة، أو قد تصبح مثل الكاتب الانكليزي الشهير ساموبل جونسون - "شاربا للشاي مدمنا، لا يخجل منه، بل يتلهى به مساء ويبتهج في نصف الليل، وبه ايضا يستقبل الصباح".

■ توماس ستيرلينغ

بهجة الحياة

تسقط الورقة الشاحبة نتيجة امتقاع لونها، بينما تتحول الورقة الخضراء الى لون الذهب. ونحن الذين وجدنا في الشباب بهجة، سنجد البهجة في الشيخوخة ايضا.

ج.ك. تشيسترتون في كتاب "أشعار مختارة"

حكمة السنين

أحب الربيع، لكنه غضّ، طري العود.
أحب الصيف، لكنه شديد الغرور.
لذا افضل الخريف على الفصول جميعا،
لان أوراقه تميل الى الصفرة،
ولهجته أدق.
وألوانه اكثر ثراء،
وتشوبه مسحة حزن.
وغناه الذهبي يحدثك
لا ببراءة الربيع
ولا بصلف الصيف،
بل بالدعة والحكمة الحانية
اللتين تميزان الشيخوخة المقتربة.
انه يعرف حدود الحياة،
وهو قانع بذلك.

لين يو تانغ

انتا على شفا قفزة كبرى الى الامام في العلوم الطبية لان هناك اعادة ضبط دوران "الساعة الاحيائية" في الانسان بحيث تمدّ ايام شبابه وتطيل عمر كهولته وتقلل من شأن فترة شيخوخته وانهياره

الشَبابُ الدائم

حدّدت التوارة أجل الانسان على الارض بسبعين او ثمانين سنة، حسب قوّته. وبعد ثلاثة آلاف سنة لم ير فرانسيس بيكون، العلاّمة الانكليزي الذي عاش في عصر الملكة اليزابيت الاولى (القرن السادس عشر) أي داع الى تبديل ذلك الرقم، وأكد على ان "أجل الانسان، منذ زمن موسى حتى هذه الايام، ظلّ في حدود الثمانين عاما".

وتجدر الاشارة الى ان أحدا - سواء أكان بيكون أو من حكماء العهد القديم - لم يخلط بين أجل الثمانين عاما وتوقعات التعمير. فقد تبلغ قلة محظوظة من الناس السبعين او الثمانين اذا استطاعت ان تصمد في وجه جيش من الامراض يهاجم الانسان طفلا وكهلا وشيخا. على ان توقعات الحياة - اي مدى تعمير الانسان على وجه الارض اذا كان متوسط الحظ - أمر مختلف تماما. وربما كان معروفا ان معدل التعمير في العصرين البرونزي والحديدي اللذين يشملان أزمنة التوراة كان في حدود ١٨ عاما فقط، وانه غدا في أيام بيكون قرابة ٣٥ عاما.

أما اليوم فان التقدم الطبي في بلدان العالم الاكثر ثراء رفع معدل توقعات الحياة ما يربو على الضعفين، حتى ان معدّل الحياة في امريكا خلال هذا القرن وحده ارتفع اكثر من ٢٠ عاما، فأصبح يراوح بين ٧٤ عاما للأناث و٧٠ عاما للذكور. ولا شك في ان الفضل كله تقريبا يعود الى القضاء على الاوبئة التي تفتك بالاطفال. ولكن على رغم هذا التقدم الباهر، فان معظم الناس يشعرون بأن أجل الانسان مسألة لا تقدم فيها لانها محددة وثابتة وستظل في منأى عن التدخل البشري او الوساطة الطبية أبدَ الدهر. غير اني شخصيا متأكد من خطل رأيهم، لان علم الشيخوخة - وهو العلم الذي يُعنى ببحوث الشيخوخة ومشكلات الشيوخ - يوحي باننا سنتمكن قريبا من الدفع بالاجل الطبيعي الى ما وراء الحدود التي اعتبرت ثابتة وغير قابلة للتغير منذ زمن سحيق.

مسألة وقت ــ لقد نظّمت شخصيا، عام ١٩٧٣، دورة في مجلس النواب الامريكي (الكونغرس)، تحدث فيها العلماء عن امكان تمتع الانسان، حتى بعد سن المئة، بصحة بدنية جيدة وحيوية ذهنية. ولدى انتهاء الدورة، أنشأ الكونغرس مؤسسة "التعمير" القومي ضمن مؤسسات الصحة الحكومية. ومنذ ذلك الحين وانا على اتصال بالتطورات في هذا المضمار، كما اتولى دوريا دعوة مجموعات من العلماء المختصين في بحوث الشيخوخة وخبراء الطب الاحيائي (البيولوجي) الى حضور دورات غير رسمية في مكتبي في مدينة واشنطن. والذي تعلمته من خلال مقابلاتي يحير العقل فعلا ويثير الدهشة. فقد بات الباحثون يسبرون، بمزيد من التعمق، اغوار تلك العملية الاحيائية الغامضة المسؤولة عن انحلال الخلايا والجزئيات وتحوّلها - اي عما نسميه نحن تقدم العمر والشيخوخة. وأخذ هؤلاء الباحثون يقنعون معظم علماء الشيخوخة بامكان اعادة بناء هذه العملية المسؤولة عن التعمير لما هو في مصلحتنا. فالمسألة لم تعد محصورة في ما اذا كنا نستطيع السيطرة على تقدم السن، وانما باتت مسألة وقت فقط، لان السؤال الحقيقي هو: متى سيتحقق ذلك؟

لقد تمكن العلم الطبي في الولايات المتحدة من الدفع بتوقعات الحياة الى حدود متاخمة كثيرا لحدود الاجل المنصوص عليها منذ القدم بعدما قضي على عدد من الامراض. وبناء عليه، لم يعد من المتعذر بلوغ تلك الحدود نفسها، اذ ارتفعت توقعات الحياة على نطاق قومي بمقدار ١٧ سنة بين ١٩٠٠ و١٩٥٠، ولم ترتفع الا بمقدار ثلاث سنوات في ربع القرن الماضي. ولكن ما ان يتمّ ترويض مرض السرطان والسيطرة على أمراض الاوعية القلبية - وهي من أفتك الامراض في الولايات المتحدة - حتى يصح لنا ان نتوقع تحقيق ذلك الفرق البسيط الباقي في عدد السنوات.

ان الطاعنين في السن، وان ارجيء أجلهم قليلا، سيستمرون في الموت حتى في عالم محرر من السرطان ومن السكتة القلبية أو الدماغية. ذلك لان تفاقم الانهيار البدني والذهني - وهو ما نسميه الشيخوخة - سيؤدي حتما الى الموت. والسؤال الذي يحضرني الان هو: ما الذي سيحدث اذا أزيلت الامراض الفتاكة، ولكن من دون ايجاد علاج لعملية التفسخ والانهيار في سن الشيخوخة؟ لربما واجهنا حينئذ انفجارا في عدد السكان الطاعنين في السن الذين يعولون على غيرهم في أمور معيشتهم.

اطالة الشباب ــ ان احتمال اطالة احلك سني حياتنا - اي الشيخوخة - من دون تحسين طبيعتها لهو احتمال مرعب حقا. ولهذا ارى من حسن الحظ ان علماء الشيخوخة يهدفون ليس الى اطالة آجالنا فحسب، وانما الى اطالة اكثر فترات حياتنا انتاجا وحيوية. وفي هذا الصدد يقول عالم الشيخوخة البريطاني أليكس كومفورت: "ان الشيخوخة ذاتها لن تكون اطول من ذي قبل، ولكنها ستجيء في مرحلة متأخرة أكثر من السابق".

والهدف من علم الشيخوخة - كما حدّده الكاتب العلمي البرت روزنفيلد، هو "ابقاء الناس فعّالين وبكامل مواهبهم حتى النهاية". واستنادا الى هذا، فانه اذا استطاع

علماء الشيخوخة التعرف على ذلك الشيء الذي يقدح زناد الشيخوخة ويتحكم في تسارعها، واستطاعوا ايضا تحديد موقعه في الجسم، باتت القدرة على تمديد حياة الانسان وسنيه الطيبة في متناول اليد.

ما هو الشوط الذي قطعه العلماء نحو تحقيق هذا الهدف؟

ان العلماء يملكون الان القدرة على اطالة سني الحياة كما يتبين من تجاربهم المخبرية على الحيوانات. لكنهم لا يزالون غير متأكدين من أمر "كيف" تسنى لهم ذلك. اي انهم، وان تمكنوا من معالجة عملية التعمير، فقد أخفقوا حتى الان في تحديدها.

الساعة البيولوجية – بيد ان نظريات الشيخوخة أخذت، على تشعبها، تتلاقى عند فكرة واحدة تقول بأن كل كائن حي يحمل في خفاياه "ساعة" بيولوجية هي التي تبرمج تسارع شيخوخته منذ الولادة. واذ تدور عقارب هذه الساعة باستمرار، تبدأ الخلايا على نحو غامض بفقد مناعتها امام شتى الهجمات والامراض، وبانحسار حيويتها شيئا فشيئا مع بقية الآلة العضوية التي هي الجسم.

ويرى بعض العلماء ان "ساعة" توقيت الشيخوخة قائمة داخل المادة الوراثية التي تنطوي عليها نواة كل خلية من خلايا الجسم. ويذهب آخرون الى القول بأن تلك "الساعة" تدق حسب نبضات ما يسمى "هورمونات الموت"، وهي الهورمونات التي تهاجم خلايا الجسم المسؤولة عن الصيانة والاصلاح، فتنهكها وتدكها من دون رحمة او هوادة. وربما كانت لتلك الساعة مراكز – او نوايا خلوية – متعددة، او ربما كانت تعمل من مركز واحد مهيمن كالغدة النخامية التي تفرز الهورمونات. ومع ان العلماء لا يعرفون بعد موقع هذه "الساعة" بالتحديد، الا انهم يجزمون بأن وجودها أمر ثبّتته التجارب مرة تلو الاخرى في كل محاولة ناجحة أجروها لكبح جماح الشيخوخة في خلايا الجسم.

ويظن دينام هارمان، العالم الكيميائي الاحيائي في جامعة نبراسكا الامريكية، ان الشيخوخة تحدث من جرّاء عوامل التلف والتمزق التي يسببها "الراديكاليون الاحرار" – اي قطع الحُطَام الخلوي المنفصلة التي تحتشد حول الخلايا فتسدها أو "تصدّئها"، وبالتالي تعطلها عن اداء وظائفها. وقد دلت تجارب هارمان على ان الحمية والمركبات المقاومة للتأكسد، مثل فيتامين "هـ" E، تنجّي الخلايا من التلف الذي تحدثه قطع الحطام الخلوي. واستطاع هارمان، بتجاربه على الفئران في المختبر، اطالة اعمارها الى حد كبير.

محاولات ناجحة – ويعتدّ انصار نظرية المركز الهورموني المسيطر على عملية التعمير بالنجاح الذي حققوه في تبديل نسبة سرعة الشيخوخة تبديلا مذهلا في كثير من الحيوانات عبر ازالة مفعول بعض الغدد او اعاقتها. فقد أزيلت، مثلا، الدورة السريعة لوضع البيض والتعمير لدى سمك السلمون في المحيط الهادىء بعد استئصال الغدّة الكظرية، وهي فوق الكلية، لدى هذه الاسماك. كما عمد و. دونر دينكلا، وهو عالم شيخوخة، الى استئصال الغدة النخامية من ادمغة الفئران الطاعنة في السن، ثم حقنها

بهورمون الغدة الدرقية ("تايروكسين") وهورمونات حيوية أخرى. وتبين له خلال رصدها عن كثب ان عددا من وظائف الجسم لديها عاد الى كفايته المعهودة في سني الحداثة، وان جلود تلك الفئران بدأت تنمو حتى اصبحت كثيفة وناعمة مرة أخرى، كما غدت حركاتها سريعة ومفعمة بالحيوية ولم تظهر عليها اعراض الهرم والعجز الا قبل وقت قصير من موتها.

ربما بدت هذه الاساليب التي يتبعها روّاد البحوث الطبية الاحيائية بدائية او مضحكة في المستقبل. لكن ما حققته هذه الخطوات الاولية، من وسائل معالجة فعّالة وعقاقير، لا يستهان به، اذ انه يستخدم مع البشر حاليا - وان على نطاق محدود - لمعالجة الخرف المتقدم وبعض الاضطرابات الوراثية التي لا علاج آخر لها.

ان كل تقدم يحرزه علماء الشيخوخة في تطوير الاساليب العلمية وتحديد اهدافها انما هو فتح سيمكنهم، في آخر الامر، من اعادة ضبط حركة "الساعة" البيولوجية لدى البشر بدقة اعظم، مما قد يطيل فترتي الشباب والكهولة ويقلل من شأن فترة الانهيار التي تفضي الى الموت. واننا الان على شفا قفزة كبرى في علوم الطب، أقلّ ما فيها انها ستؤدي الى اعادة تحديد الحياة البشرية عينها.

المفتاح في أيدينا - متى يتمّ ذلك؟ يظن بعض المتفائلين ان مفاتيح طول العمر هي الان بين ايدينا، وان الهدف المنشود قد يتحقق في نهاية القرن الحالي. بينما يتكهن آخرون بانه - وان فاتنا علم جميع اسرار الشيخوخة - فاننا سنتعلم على الاقل ما يؤهلنا لتحقيق انجازات طبية رئيسية خلال بضعة عقود من الزمن على غرار ما حدث حين أقدمنا على استخدام عمليات التطعيم او التلقيح قبل ان نعرف اسباب الحصانة ضد الامراض وعللها. ومن هذه الانجازات الكبرى المتوقعة ازالة اسباب الشيخوخة التي تهدم الجسم بلا رحمة. ومتى تمّ ذلك فسيعيش الناس متحررين من المرض او العجز الى ان تدنو ساعة اجلهم فيتوفون من دون اجتياز مرحلة طويلة من الانذار بدنو الموت.

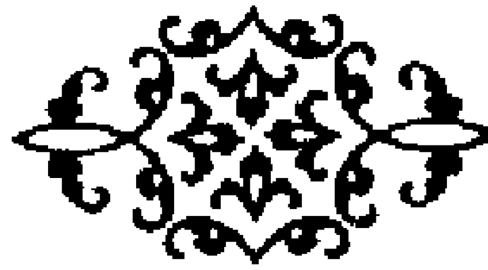
هل سنرث، نحن أو اطفالنا، مثل هذا الانجاز الثوري في حياة البشر؟ هذا ما سيقرره الحظ وكذلك التصرف البارع من قبل الافراد والجماعات. ذلك لان نسبة التقدم في هذا العلم منوطة بتوفر المال ومدى البرامج التي ننظمها من أجل تحقيق ما ننشده. ويقول اليكس كومفورت، العالم الذي سبق ذكره: "ان السيطرة على سرعة الشيخوخة عند البشر أمر محتم. اما متى سيتم تحقيقها، فهذا يعتمد على الضغوط الاجتماعية من أجل المباشرة بالبحوث، وعلى الحكمة والذكاء في تطبيقها".

ان كثيرا من الادلة الواعدة والتجارب الناجحة تهمل او توضع جانبا نظرا الى ضآلة الاعتمادات المالية واهتمام الناس بها. ومن اسباب هذا الضعف الهوّة التي تفصل بين الاختبارات الطبية وعدم التصديق العام الذي يكتنف التفكير في اطالة العمر، وكذلك عزوف المؤسسات العامة عن تشجيع الافكار التي تتحدى أيا من المعتقدات الراسخة او التي لا تكفل للمستثمرين فوائد مادية واضحة.

وتجدر الاشارة الى ان حكومة الولايات المتحدة خصصت هذا العام قرابة ٩٠٠ مليون دولار لبحوث السرطان و٥٠٠ مليون دولار لبحوث امراض القلب والرئتين. ومن حسن الحظ اننا لسنا جميعا نشكو من هذه الامراض. ولكننا جميعا بلا استثناء سنواجه الشيخوخة كلما امتد بنا العمر. ومع ذلك، لم يخصص لها سوى ٣٧ مليون دولار تصرف على البحوث التي ستشرف عليها الحكومة، ومنها جزء كبير يقتصر على الدراسات الاجتماعية والنفسية والاحصائية على المسنين. وهكذا يتضح ان نصيب الدراسات الاحيائية في عملية الشيخوخة ذاتها ليس الا جزءا طفيفا من هذه المخصصات التي سيقتطع قسم صغير منها لتمويل البحوث الرامية الى اطالة العمر.

ترى هل الخوف هو السبب في تحركنا البطيء نحو الغاية؟ أترانا نفكر بالاعباء التي سترهق كاهل الخدمات الاجتماعية والصحية في حال اضافة عشر سنين اخرى الى اعمارنا؟ كم ينبغي علينا ان نفكر من جديد! لانه اذا كانت سني انتاجنا هي التي ستدوم فترة اطول، فمعنى هذا ان مشكلة اعتماد الشيوخ اجتماعيا واقتصاديا ستتقلص وتنكمش مع مرور الايام. فالشيخوخة، اذا تحررت من وصمتها الحالية ومن ظواهر عجزها واصبحت على جانب من القوة يؤهلها لرفض الاجحاف بحقها الذي تقبل به الان، فان المجتمع بأكمله سيفيد من الحكمة التي نهدرها دونما تفكير ومن التجارب التي نبددها هباء منثورا.

■ **الان كرانستون**
عضو مجلس الشيوخ الامريكي



سر التناسل

حين اقترب موعد ولادة الهرة، اغتنم الاب الفرصة لكي يفسر لطفلته سر التناسل. وبدأ بالنحل، متدرجا الى الحيوانات الاخرى. واخيرا شعر بالارتياح لكفايته فسأل ابنته: "والآن هل فهمت لماذا ستنجب الهرة صغارا؟" فأجابت الطفلة: "بالطبع، لقد لسعتها نحلة".

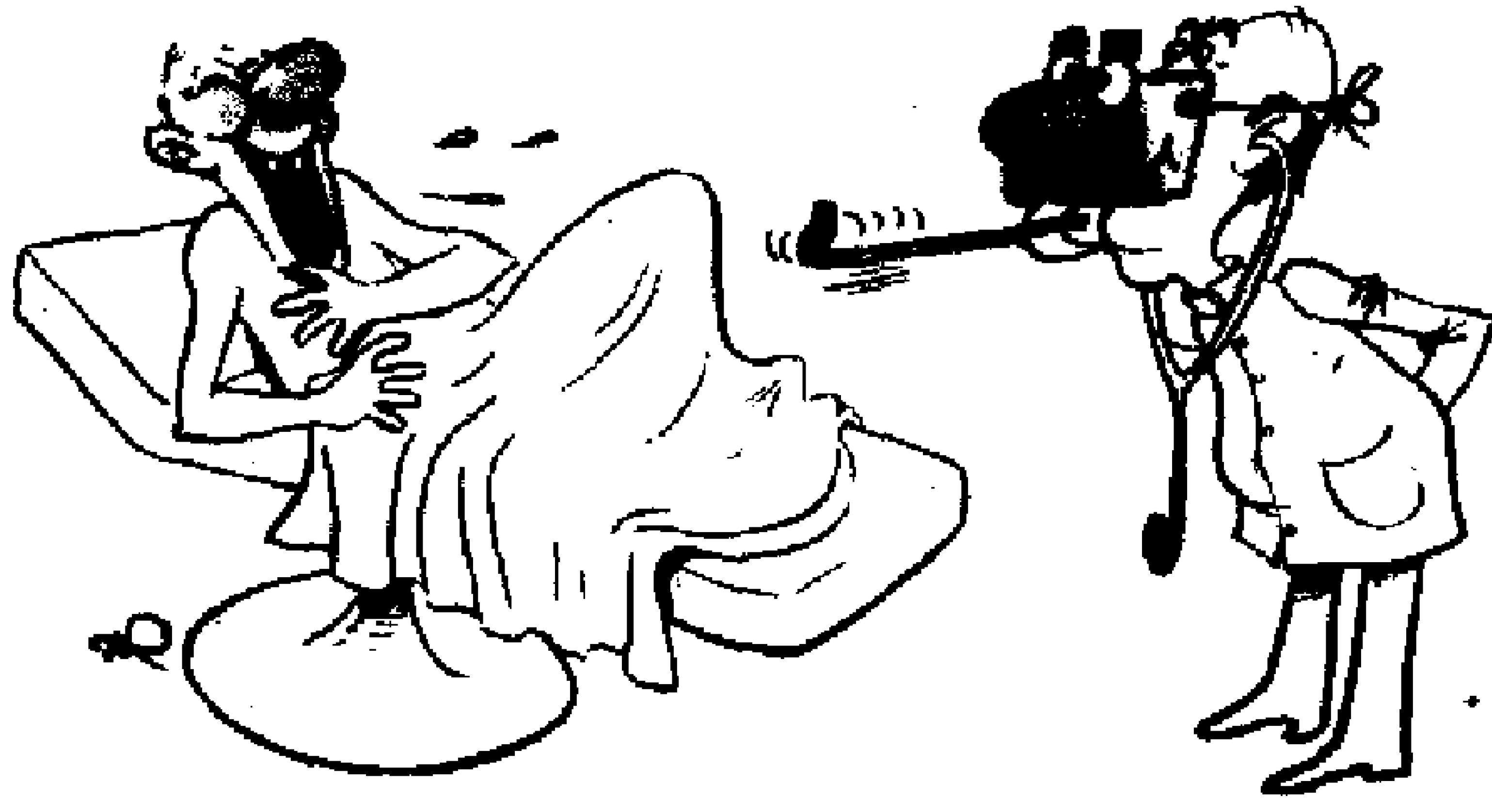
مينا واندريه جيلوا، في كتاب "٣٣٣ حكاية".

لتخفيف العبء

صوتت عضوات "نادي البيوت السعيدة" في المانيا لمصلحة الاحتفال بيوم للحموات، وذلك لاضفاء مزيد من السعادة على العلاقات العائلية. ولكي يكون للازواج رأي في الموضوع، اختيرت لجنة منهم لتحديد تاريخ العطلة الجديدة، فأختار الرجال اليوم التاسع والعشرين من شباط (فبراير)!

ن.هـ.

الضحك خير دواء



طرائف البخلاء

حين اعلنا خطوبتنا، حددنا موعد الزفاف بعد سبعة عشر شهرا بحيث يكون وضعنا المالي افضل. وبعد اربعة اسابيع اهدى الي خطيبي ست عشرة وردة تمثل كل منها ما تبقى من أشهر.
وطغى علي الفرح وأنا أقول: "ما اروع ذلك. في الشهر المقبل أستلم خمس عشرة وردة". لكنه اجاب: "كلا، ما عليك سوى التخلص من احداها كل شهر".

ن.ل.ت.

الغاية والنتيجة

لكي يبرهن على حبه لزوجته، قطع رجل اعمق الانهار اقفر الصحاري وتسلق اعلى الجبال. لكنها طلقته، اذ كان دائما خارج البيت!

ر.س.

حادث عرضي

تشاركني غرفتي في القسم الداخلي في الجامعة زميلة دائبة الحركة. فبالاضافة الى انهماكها في الدراسة تراها منتمية الى عدد من التجمعات الطالبية والى فريق العاب الساحة والميدان النسائي، كما تشارك في التزحلق على الجليد خلال كل عطلة نهاية اسبوع في الشتاء.

من هنا كانت دهشتي كبيرة حين عدت بعد ظهر ذات يوم الى غرفتنا، فوجدتها في الفراش. وحين سألتها عما حدث، تمتمت بضع كلمات فهمت منها ان هناك حادثا. وسألتها قلقة: "حادث؟ ما الذي حصل؟ فاجابت: "كنت ارتب الفراش، فسقطت فيه عرضا".

ا.م.

تواضع

بوب هوب: كم اكره قراءة اسمي في الصحف، وكم ابذل من جهد لتجنب المقابلات. واذا كان لا بد من بعض الدعاية، فلتأت في شكل طبيعي، هذا ما اقوله على الاقل لوكلاء دعايتي الثمانية.

م.ز.

رهان رابح

كان رجلان يحتسيان الخمر في حانة، فالتفت احدهما الى الآخر، وقال:
"اتراهن بمئة دولار على اني استطيع ان اعض عيني اليسرى؟ فوافق رفيقه. واذا بالاول يقتلع عينه الزجاج ويعضها.
وعاد الاول يقول: "والان سامنحك الفرصة لاسترداد مالك، واراهنك بمئة دولار اخرى على استطاعتي ان اعض عيني اليمنى".
ففكر الاخر: "لا يعقل ان يكون بعينين زجاجيتين". واخرج قطعة النقد وبسطها بقوة على الطاولة. فما كان من الاول الا ان

اخرج اسنانه الاصطناعية وعض بها عينه اليمنى.

ب.م.

مهارة الاغنياء

كان اثنان من رجال الاعمال يقضيان اجازتيهما على ساحل ميامي المترف، فأخذا يقارنان اوضاعهما.
قال الاول: "جئت الى هنا بفضل تعويضات التأمين، اذ حصلت على ٥٠ الف دولار عن اضرار حريق".
فرد الثاني: "وانا كذلك. لكني حصلت على مئة الف دولار تعويضا عن اضرار فيضان".
وبعد صمت طويل سأل الاول: "قل لي، كيف يمكنك احداث فيضان؟"

ج.م.

ما زاد عن لا ونعم

ذهب الرجل الى الكاهن ليعترف له بأنه يجد الحياة خاوية. وحين سأله الكاهن عن السبب، اجاب:
- لان المرأة التي احب رفضت عرضي للزواج منها.
فقال الكاهن بابتهاج:
- لا تدع الامر يثبط همتك. فحين تقول المرأة: "لا" فانها تعني غالبا "نعم".
فرد الرجل مكتئبا:
- لكنها لم تقل: "لا"، بل قالت: "هذا هراء يا أبله!"

د.م.ل.

وفاء!

قال الثري العجوز بشجاعة لزوجته الشابة: "حين أموت، اريد ان تتزوجي ثانية".
فاجابت الزوجة: "لا تقل هذا الكلام يا عزيزي".
- بل اريدك ان تهدي الى زوجك الجديد كل ملابسي بحيث يبدو عظيما حين يرافقك.
فشهقت الزوجة مقاطعة: "ارجوك الا تقول مثل هذا الكلام، فذلك مستحيل".
- ولماذا؟
- لان قياس ملابسك ٤٠ وقياسه ٤٤ من الصنف الطويل.

ا.ث.

اشغال الدولة

كان موظفان بيروقراطيان يراقبان مستخدما وهو يترنح حاملا اكداس الورق، فعلق احدهما: "اما وأن الدولة قررت حرق النفايات لتوليد الطاقة، فلعل احدا يقدر اخيرا قيمة عملنا وأوراقنا".

ت.ب.

حل معقول

يروي الممثل الكوميدي غروشو ماركس ان اباه دخل مرة احد مطاعم نيويورك وأراد ان يظهر بمظهر المتأنق، فطلب فنجانا من القهوة. لكن النادل لم يبال بهذا التكلف، واحضر القهوة في كوب كبير. فانفجر الاب صائحا: "لقد طلبت فنجانا صغيرا، وها أنت تقدم لي القهوة في كوب كبير". واذا بالنادل يجيب بعدم اكتراث "اذا اشرب قليلا منها فحسب".

س.هـ.

اقدم مهنة

كان ثلاثة رجال يتجادلون حول اي المهن ظهرت اولا على الارض، فقال الجراح: "مهنتي كانت الاولى، لان الكتاب المقدس ينص على ان حواء خلقت من ضلع آدم".
ورد المهندس بحزم: "ابدا. لقد خلقت الارض من الفوضى في ستة ايام، وذاك عمل المهندس.
اذا، فمهنتي اسبق".
وهنا اجاب السياسي بفخر: "اجل. ولكن من خلق الفوضى؟"

م.هـ.و.

اينشتاين (في مئويته الأولى): أنا جزءٌ مِن الطبيعة

قبل ١٠٠ عام، في ١٤ مارس (آذار) عام ١٨٧٩، ولد ألبرت أينشتاين في مدينة أولم في المانيا. وقد عرف في أثناء حياته بأنه من أكبر العقول التي عرفتها البشرية في تاريخها، وأحدث ثورة في الفكر العلمي بنظريته العامة عن النسبية التي نشرها في برلين عام ١٩١٦. وكان أينشتاين يتلقى رسائل كثيرة من جمهور كبير يعجب به ويجله، ومن عديد من أصدقائه وزملائه. في ما يأتي مقتطفات منها اختارتها وأعدتها وأعدتها هيلين دوكاس، سكرتيرة أينشتاين، والاختصاصي في الفيزياء النظرية بانيش هوفمان، من كلية كونيز كوليج في نيويورك، وهو من معاوني أينشتاين السابقين.

كتب أينشتاين الى قريبة له شابة فاتتها فرصة لقائه في أثناء زيارة لمدينة شتوتغارت عام ١٩٢٠:

"عزيزتي الآنسة لي، لقد سمعت أنك غير راضية لأنك لم تقابلي عمك. دعيني اصف لك هيئتي: وجه شاحب وشعر طويل ومبادىء كرسن صغير ومشية تفتقر الى الرشاقة وسيجار في الفم - اذا كان لدى عمك سيجار - وقلم في اليد أو في الجيب. ولكن عمك ليست له ساقان مقوستان ولا شامات مقززة، ومن ثم فانه على خط لا بأس به من الوسامة. ومن المؤسف حقا أنك لم تريني.

مع التحيات الحارة من عمك ألبرت أينشتاين".

وكتب أينشتاين الى صديقه الفيزيائي بول ايهرنفيست في ١٩٢٢:

"ما أتعس عجز الاختصاصي في الفيزياء النظرية وهو يقف أمام الطبيعة، وأمام طلبته!"

وكان أينشتاين يكره "سباق الفئران" من أجل الترقية. وفي مايو (ايار) ١٩٢٧، بينما كانت الدوائر العلمية في العالم تتساءل عمن سيخلف ماكس بلانك في كرسي الاستاذية في جامعة برلين، كتب أينشتاين الى ايهرنفيست:

"أحمد الله على ان لا علاقة لي بهذا الامر ولم أعد احتاج الى دخول حلبة المنافسة بين



العقول الكبيرة. ان المشاركة في هذا السباق كانت تبدو لي على الدوام نوعا من العبودية لا يقل شرا عن شهوة المال او السلطان".

اسمعوا... واصمتوا - وكان أينشتاين عازفا متحمسا على الكمان ويضايقه في بعض الاحيان ما يبدو من اهتمام الاخرين الشديد بجميع جوانب حياته. وفي ١٩٢٨ شاكسته احدى المجلات الالمانية طالبة أن تعرف أفكاره عن باخ، فرد عليها في اقتضاب صارم:

"اليكم ما لدي من كلمات عن أعمال باخ كلها: اسمعوا، واعزفوا، وبجّلوا وأغلقوا أفواهكم".

وفي العام نفسه، وجه مراسل صحافي الى العالم الكبير سؤالا عما اذا كان لنشاطه الموسيقي تأثير على مجال عمله الرئيسي، فأجاب أينشتاين

"ان الموسيقى لا تؤثر على العمل في البحث العلمي، لكن كليهما يتغذيان من نبع حنين واحد، وهما يكملان بعضهما بعضا بما يحققانه من انفراج للنفس".

وفي ١٩٢٩ وصلته تهنئة بعيد ميلاده من سيغموند فرويد الذي خاطب أينشتاين بقوله "أنت أيها المحظوظ"، فكتب اليه أينشتاين:

"لماذا تؤكد على حظي؟ لقد تسللت أنت تحت جلد أناس لا حصر لهم، ومع ذلك فلم تسنح لك الفرصة كي تتسلل تحت جلدي أنا".

وفي ١٩٣٠ جاءه خطاب من انكلترا يطرح السؤال الآتي: "اذ حدث لك على فراش الموت أن تأملت حياتك، فما هي الحقائق التي تستند اليها كي تحدد ما اذا كانت تلك الحياة ناجحة أو فاشلة؟"

فرد أينشتاين: "لن أطرح على نفسي مثل

هذا السؤال، لا على فراش الموت ولا قبل ذلك. ان الطبيعة ليست مهندسا او مقاولا، وأنا نفسي جزء من الطبيعة".

وغادر أينشتاين المانيا الى الابد عندما تولى هتلر السلطة فيها. وبعد وصوله بقليل الى جامعة برينستون في ولاية نيوجيرسي عام ١٩٣٣، سألته مجلة "ذي دينك" التي يصدرها الطلبة الجدد أن يكتب لها كلمة، فوافق وكتب ما يأتي:

"انني سعيد بالحياة بينكم أيها الشباب السعداء. واذا كان لطالب قديم أن يقول لكم بضع كلمات فهي ما يأتي: لا تنظروا الى دراستكم أبدا على انها واجب ولكن باعتبارها فرصة نادرة كي تتعلموا فيها معرفة أثر الجمال في المجال الروحي على تحرير الانسان، من أجل ابتهاجكم الشخصي ومن أجل نفع المجتمع الذي ينتمي اليه عملكم اللاحق".

وفي العام نفسه، تلقى رسالة من موسيقي محترف في ميونيخ تنوشه المتاعب والاكتئاب ويعاني البطالة، فأرسل اليه أينشتاين النصيحة الآتية:

"لا تقرأ الصحف، وحاول أن تجد بعض الاصدقاء الذين يفكرون كما تفكر، واقرأ للكتاب الرائعين من الازمنة الماضية، كانت وغوته وليسينغ، والاعمال الكلاسيكية في آداب البلاد الاخرى، واستمتع بروائع جمال الطبيعة حول ميونيخ، واعقد أواصر الصداقة مع بعض الحيوانات. عندئذ ستعود رجلا بشوشا ولن يستطيع شيء أن يعكر عليك صفوك".

رسالة الى المستقبل — وفي عام ١٩٣٦ كتب اليه ناشر أمريكي مشهور يطلب خدمة. فهو مهد الارض استعدادا لبناء جناح لمكتبة جديدة ملحقة ببيته الريفي، وأراد ان يضع داخل حجر الاساس صندوقا معدنيا محكما ضد تسرب الهواء يحتوي على أشياء يمكن أن تهم الاجيال المقبلة، ومن بينها رسالة من أينشتاين. وقد كتب العالم هذه الرسالة:

"أعزائي ابناء الاجيال المقبلة: اذا لم تكونوا قد أصبحتم أكثر انصافا ومسالمة، وأعقل منا (أو مما كنا عليه) عموما، اذاً فليتخطفكم الشيطان. واذ أعربت لكم، بكل احترام، عن هذه الرغبة التقية فانني (أو كنت) لكم المخلص، ألبرت أينشتاين".

وفي ١٩٣٦، كتب تلميذ في السنة الابتدائية السادسة يسأل اذا كان العلماء يصلّون، واذا كانوا يفعلون ذلك، فلمن يوجهون صلاتهم؟

ورد أينشتاين: "لقد حاولت أن أرد على سؤالك بأكبر مقدار استطيعه من البساطة. واليك ردي.

"أساس البحث العلمي هو الفكرة القائلة بأن كل شيء يحدث خاضع لقوانين الطبيعة، ومن ثم فان هذا ينطبق على أفعال الناس أيضا. ولهذا السبب فان عالم البحوث لا يميل الى الاعتقاد بأن الاحداث يمكن ان تتأثر بالصلوات، أي بأمنية او رغبة او دعاء موجه الى كائن فوق الطبيعة.

"على أننا يجب أن نعترف بأن درايتنا الحالية بقوانين الطبيعة هذه دراية ناقصة جدا وجزئية ومبعثرة، بحيث ان الاعتقاد بوجود قوانين اساسية شاملة في الطبيعة ينهض هو الآخر بالفعل على نوع من الايمان، وان كان هذا الايمان في الوقت نفسه قد وجد له حتى الان مبررات كافية جدا في ما حققه البحث العلمي من نجاح بيد أننا نجد من ناحية أخرى أن كل من مارس العلم ممارسة جادة لا يلبث ان يقتنع بأن هناك روحا سامية تبدو آياتها في قوانين الكون، روحا أسمى بمراحل هائلة من روح الانسان ولا نملك نحن

ازاءها، بقوانا المتواضعة، سوى الشعور بالضآلة".

وفي ١٩٤٣ كتبت اليه طالبة من واشنطن تقول ان مستواها في الرياضيات هو دون المتوسط مما يضطرها الى بذل جهد شاق في دراسة هذه المادة يفوق الجهد الذي يبذله زملاؤها.

فرد عليها أينشتاين: "لا تبتئسي لما تعانينه من صعوبات في الرياضيات، فأنا أؤكد لك ان الصعوبات التي أعانيها أنا في هذه المادة تفوق بكثير ما تعانين انت".

كيس بطاطا ـ وكتب اليه مزارع من ولاية ايداهو في ١٩٤٧ يخبره أنه قد أطلق على ابنه اسم ألبرت، ويتمنى لو أن العالم الكبير كتب بضع كلمات يمكنه أن يحتفظ بها بمثابة "حجاب" يستمد منه الطفل التشجيع في أثناء نموه. ورد أينشتاين بالكلمات الآتية:

"ان الاشياء والافعال الثمينة حقا لا يمكن أن تكون ثمرة الطموح أو الشعور بالواجب فحسب، وانما هي تنبع من الحب والاخلاص نحو البشر والاشياء الموضوعية".

ورد الاب المبتهج برسالة ضمنها صورة لألبرت الصغير وقال انه، على سبيل التقدير لكرم العالم العظيم، سيرسل اليه كيسا من بطاطا ايداهو.

وفي ١٩٤٨ كان أحد الناشرين يعد كلمة ليلقيها في مؤتمر الجمعية الامريكية للمكتبات، فكتب يشكو مما هو منتشر بين الناس على نطاق واسع من عدم الاكتراث بكتب العلوم المبسطة التي تنشر للقارئ العادي. فرد عليه أينشتاين:

"ان معظم الكتب التي تنشر عن العلم بزعم انها كتبت للقارئ العادي ترمي الى التأثير عليه أكثر مما تسعى الى ان تشرح له ببساطة ووضوح أهداف العلم ومناهجه الاولية. وبعد ان يحاول القارئ العادي الذكي قراءة بضعة كتب من هذا النوع ينتهي به الامر الى حال من التثبيط التام ويخرج بالنتيجة الآتية: انني أغبى من أن استطيع فهم هذه الامور ويحسن بي أن اتوقف عن المحاولة. يضاف الى ذلك ان كل الاوصاف والشروح التي تقدمها هذه الكتب غالبا، تصاغ بلغة مثيرة متحذلقة تنفر القارئ العادي الذكي.

"وليس الخطأ هنا خطأ القراء، وانما هو خطأ المؤلفين والناشرين. والذي ينبغي اتباعه هو ألا ينشر أبدا أي كتاب "شعبي" في مجال العلوم الا اذا ثبت ان في وسع القارئ العادي والذكي فهمه وتقديره".

وفي ١٩٥١، كتب أحد طلبة الدراسات العليا الى أينشتاين يسأله نصيحة. وكان الطالب يهودي المذهب أحب فتاة مسيحية من طائفة المعمدانيين، وقد نزلت الفتاة من نفس والدي الطالب منزلة طيبة، لكنهما عارضا زواجه منها باعتبارها مسيحية. ووجد الشاب نفسه ممزق النفس بين حبه للفتاة ورغبته في الاحتفاظ برضاء والديه وعدم ايلامهما. وقد كتب اليه أينشتاين الرد الآتي:

"يجب علي ان أقول لك صراحة أني لا أؤيد تدخل الوالدين للتأثير على قرارات أبنائهما التي ستحدد شكل حياة أولئك الابناء والبنات، لان مثل هذه المشكلات لا بد ان يحلها الانسان بنفسه ولنفسه.

"غير انك يجب أن تسأل نفسك: هل أنا اتمتع حقا في أعماقي بمقدار كاف من استقلال الشخصية يتيح لي أن اتصرف ضد رغبات والدي من دون أن أفقد اتزاني الداخلي؟ فاذا لم تكن واثقا من ذلك، فان

الخطوة التي تعتزمها تصبح أمرا لا يمكن اقراره، حرصا على مصلحة الفتاة نفسها، لان هذا الاعتبار وحده هو الذي ينبغي أن يتوقف عليه قرارك"٠

نصيحة الى هندي – وكتب اليه هندي من دلهي عام ١٩٥٣ يخبره بأنه يبلغ من العمر ٣٢ سنة، وأعزب وفقير، وبأنه على رغم ضعفه في العلوم مصمم على متابعة دراسة الفيزياء والرياضيات. وهو ينفر من الاضطرار الى كسب رزقه بالعمل، لان هذا يتناقض مع "طبيعته الداخلية"٠

فكتب اليه أينشتاين: "لقد تأثرت كثيرا برغبتك الحارة في مواصلة دراسة الفيزياء٠ لكنني يجب أن أعترف بأني لا إستطيع في أي حال الموافقة على موقفك٠ فنحن جميعا نحصل على الغذاء والمأوى بفضل عمل اخوان لنا، وعلينا ان نقدم بأمانة وشرف ما يقابل ذلك٠ وهذا المقابل لا يتحقق بعمل نختاره لمجرد ارضاء نوازعنا الداخلية فحسب، وانما أيضا بالعمل الذي تتفق آراء اخواننا هؤلاء، عموما، على أنه يخدمهم وينفعهم، والا فان الانسان يصبح طفيليا مهما تواضعت مطالبه وقلت حاجاته٠ وهذا يصدق خصوصا في بلادك حيث تتضاعف الحاجة الى جهد الاشخاص المتعلمين في هذه الفترة من الكفاح في سبيل التقدم الاقتصادي٠

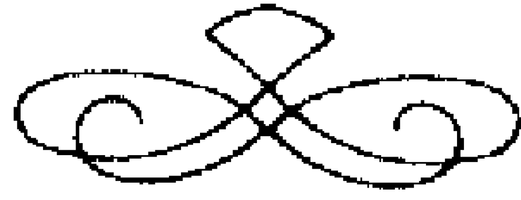
"هذا جانب من الموضوع، وهناك جانب آخر٠ ان السعي الجاهد في مجال العلم لا يحمل الا فرصة ضئيلة لتحقيق انجاز له قيمة حقيقية، حتى بالنسبة الى الموهوبين جدا، ولذا فان هناك على الدوام احتمالا كبيرا لان تجد نفسك فريسة لمشاعر الاحباط عندما تتجاوز السن التي ترتفع فيها الطاقة على العمل الى الذروة٠

"وليس هناك الا سبيل واحد للخروج من هذا المأزق: خصص الجانب الاكبر من وقتك لنشاط عملي يوافق طبيعتك، ثم أنفق بقية وقتك في الدراسة، فيمكنك بذلك ان تعيش حياة سوية منسجمة من دون ان تحتاج الى البركات الخاصة لربات العلم والفن"٠

"ومتى سينتهي الامر كله؟" وجهت طفلة هذا السؤال شفويا ونقلته أمها الى أينشتاين، فكتب الرد الآتي:

"لقد ظلت الارض موجودة لمدة تزيد قليلا على مليار سنة٠ أما التساؤل عن موعد حلول نهايتها فان عندي في شأنه نصيحة واحدة: لننتظر حتى نرى!

"ملاحظة: ارسل لك طيه بضعة طوابع بريد لمجموعتك"٠



الشعر هو اللغة التي يستكشف بها المرء دهشته الذاتية٠

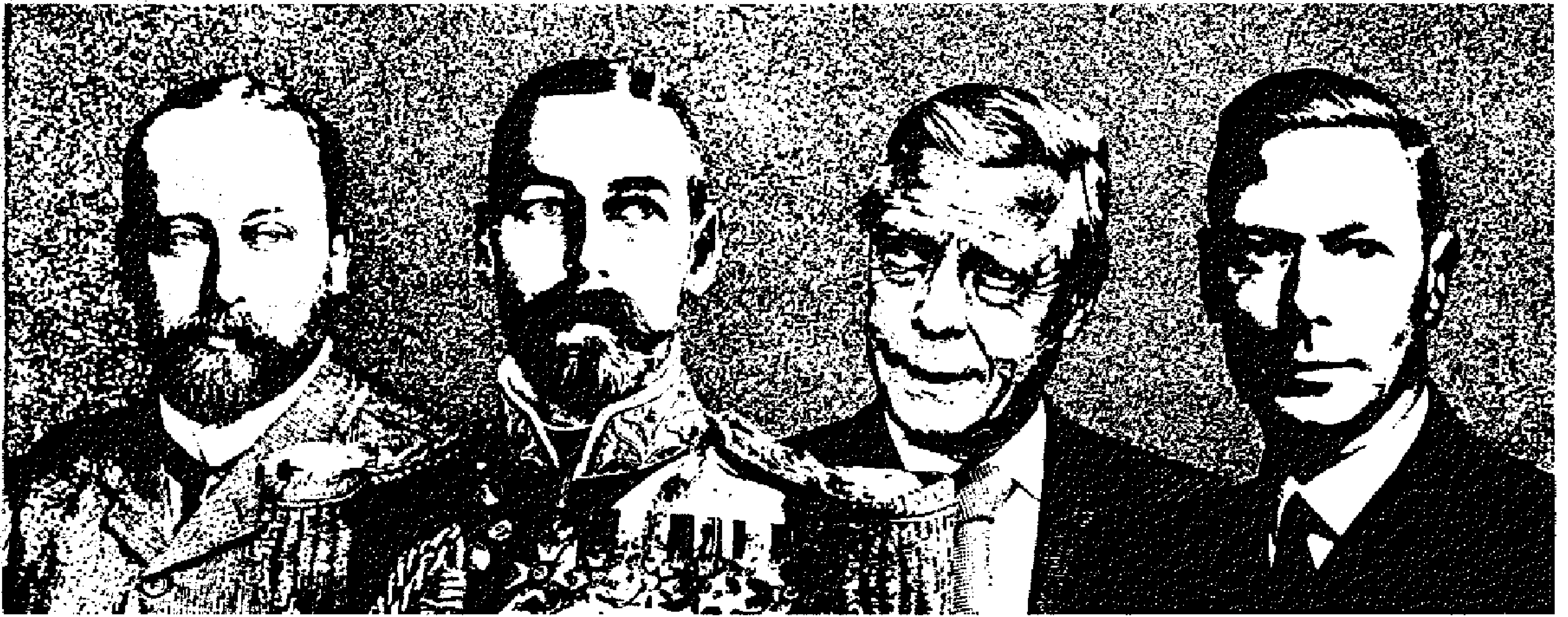
كريستوفر فراي

التفكير بالايطالية

كان كاتب السيناريو الفرنسي هنري جانسون يقضي اجازته في نابولي، فأرسل البطاقة البريدية الآتية الى الكاتب المسرحي مارسيل آشار، علما بأن الاثنين كانا على خلاف: "اني لا أفكر فيك٠ واذا صدف ان فعلت فسأحرص على التفكير بالايطالية لأني لا افهمها"٠

(صحيفة "إل ماتينو"، نابولي)

لولا التدخين لتغير مجرى التاريخ؟



... والملوك ايضا يدخنون ويقعون ضحايا ولا تشفع بهم التيجان

ان آخر اربعة ملوك لانكلترا كانوا مدخنين مدمنين. ومع ان ما يتسرب عن صحة الملوك الانكليز لا يتعدى النذر اليسير، فان ثمة ادلة قاطعة على مساهمة التدخين في القضاء عليهم.

■ ادوارد السابع، كأمير على ويلز وكملك لانكلترا في ما بعد، فعل، على الارجح، ما فعله اي شخص آخر لجعل التدخين عادة شعبية محترمة اجتماعيا. وبصفته سيد الزي الدارج في مختلف انحاء اوروبا، فهو اجاز عادة التدخين "بعد العشاء مباشرة". ويقول كاتب سيرته فيليب ماغنوس: "قبل الفطور، كان يتناول سيجارا صغيرا وسيجارتين حصرا، الا انه كان يدخن بعد ذلك ما معدله يوميا ١٢ سيجارا كبيرا و٢٠ سيجارة".

بدأ يعاني التهاب شعاب الصدر في الاربعينات من عمره. وقد نصحه

CONDENSED FROM HOW TO STOP SMOKING PAN BOOKS (c) OLIVER GILLIE 1977

اطباؤه بالتقليل من التدخين فلم يأبه لذلك· وفي الستينات بدأ يعاني ضيقا في التنفس· وبدلا من مطاردة الغزلان في حدائق قصر بالمورال صار عليه الان انتظار مجيئها نحو بندقيته·

وظهر ٦ مايو (ايار) ١٩٦٠، استقبل الملك في قصر باكنغهام، السير ارنست كاسل احد مستشاريه الماليين، ودخن سيجارا كبيرا· وبعد تناوله الغذاء في غرفة نومه انهار على شباكه المفتوح· وتلت ذلك سلسلة نوبات كان يكافح فيها لالتقاط انفاسه، الا ان رئتيه كانتا تضررتا على نحو لم يعد معه امل في شفائهما· وقد حقنه الاطباء بالمورفين لتخفيف آلامه· لكن الملك رحل تلك الليلة وهو في الثامنة والستين من عمره·

الثامنة والستون عمر معقول، ولكن، الم يكن ممكنا ان يعمر الملك عشر سنين اخرى من دون تدخين ومن دون معاناة تلك الالام؟

■ الملك جورج الخامس كان كوالده مدخنا مدمنا· وفي سن متقدمة المت به نوبات متكررة من التهاب الشعاب الصدرية، المرض الاكثر شيوعا نتيجة للتدخين وهو فتاك في اكثر الاحيان· وبحلول عام ١٩٣١ اصبح الالتهاب مرضا مزمنا ملازما له بقية حياته·

وفي فبراير (شباط) ١٩٣٥ ازداد الالتهاب حدة وامضى الملك معظم ايام السنة في حال صحية سيئة·

وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٣٦ اضطر الى ملازمة فراشه مرة اخرى·

وفي ٢٠ يناير (كانون الثاني) عقد آخر اجتماع لمجلس الدولة لكنه لم يكد يقوى على توقيع اسمه، وتوفي تلك الليلة قبل منتصف الليل بخمس دقائق، عن سبعين سنة·

ويحتمل ان يكون السبب المباشر لموت جورج الخامس جرثومة التهاب كالانفلونزا، الامر الذي كان في المستطاع التغلب عليه بسهولة لو لم تكن رئتاه في مثل ذلك الضيق نتيجة سنوات التدخين الطويلة·

ان الرشوح الشتوية المعدية التي تسبب للشخص المعافى آلاما وضعفا، لايام قليلة، يمكن ان تودي بحياة من يعانون الالتهاب المزمن في الشعاب الصدرية·

■ اما جورج السادس واخوه ادوارد الثامن، دوق وندسور، فقد بدآ التدخين عندما كانا مرشحين في البحرية في مدرسة التدريب في اوزبورن في جزيرة وايت· كان ذلك في الثانية عشرة او الثالثة عشرة من عمرهما، ولكن تدخينهما بدا مقبولا في عائلة كان الاب والجد فيها مدخنين مدمنين·

وفي الثانية والخمسين من عمره، كان جورج السادس الذي اشتهر بتدخين ٤٠ او ٥٠ سيجارة في اليوم، يعاني انسدادا خطيرا في شرايينه، وهي حال مرتبطة على نحو وثيق بالتدخين· وبعد ثلاث سنوات، في سبتمبر (ايلول) ١٩٥١، اجريت له جراحة لعلاج سرطان الرئة وازال الجراحون رئته اليسرى المصابة باكملها· وعلى رغم ان استعادة الملك عافيته بدت مرضية، فان حظه في الحياة الطويلة كان ضئيلا· فقليلون هم الذين يعيشون اكثر من سنة او سنتين بعد السرطان الرئوي·

واعلن اطباء الملك ان صحته تتحسن على نحو مرض في نهاية يناير (كانون الثاني) ١٩٥٢، غير انه توفي في الصباح الباكر يوم ٦ فبراير (شباط) وهو على فراشه في قصر ساندرنغهام. ومن شبه المؤكد ان السبب المباشر لوفاته كان نوبة قلبية تاجية.

وللتدخين دور رئيسي في امراض القلب التاجية، كما انه السبب الرئيس لسرطان الرئة. ولو لم يكن الملك مدمنا التدخين لكان بقي حيا، على الارجح حتى اليوم.

ومثل هؤلاء كان دوق وندسور المدخن المدمن معظم ايام حياته. ففي مايو (آيار) ١٩٧٢، وبعيد قيام الملكة (التي لا تدخن) بزيارته في منزله في باريس، توفي بسرطان الحلق الذي يرجح ان تكون وراءه سنوات التدخين الطويلة.

لا يلام احد على كونه السبب في وفاة الملوك الاربعة. فالواقع ان اخطار التدخين على الحياة لم تكن مؤكدة على نطاق واسع يوم توفي جورج السادس عام ١٩٥٢. ومع ذلك فان مرض هؤلاء الملوك يبين كيف يمكن عائلة ان تتألم لثلاثة اجيال نتيجة شغفها بالتبغ. ولعل التاريخ كان تغير لو لم يدمن هؤلاء التدخين او لم يشجعوا على الترويج لعادته.

■ اوليفر جيلي

المراسل الطبي لـ"الصنداي تايمس"

تعليق شعري

ان الاعتقاد القديم القائل بأن الزوائد الشبيهة بثمرة الفريز (الفراولة) التي تظهر على اجسام الاطفال عند الولادة اذا كانت امهاتهم محرومات من هذه الثمرة، ما هو الا خرافة.

وحين رويت قصة حول هذا الموضوع على الكاتب اناتول فرانس، علق قائلا: "لا ازال انتظر رؤية طفل مولود بعقد لؤلؤ".

ج.ب.

(مجلة "بلانيت"، فرنسا)

الشبه المزعج

كان ملك بلجيكا البرت الاول يحب السفر متنكرا، كما يتمتع بالنهوض عند الفجر والتجول عبر المناطق المزدحمة في المدينة. وذات يوم وهو مسافر الى سويسرا في حافلة الدرجة الثالثة في القطار، حيث يمكنه الاستماع على نحو افضل الى احاديث عامة الناس ونكاتهم، قال له احد المزارعين: "انك تشبه الملك البرت الى حد مدهش".

فأجاب الملك: "حقا، لقد سمعت هذا من قبل، ولو كنت تعلم كم اوعجني ذلك".

ك.ب.

عاش اوغست رودان حياة مأسوية عاصفة، الا انه ترك للعالم بعضا من أعظم الروائع الخالدة

رودان:

باعث الحيَاة في البرونز

يتقلب الذوق في الفنون من حال الى حال في سرعة مذهلة. وكان اصحاب الذوق الرفيع قبل ٢٥ سنة فقط يأنفون من اعمال اوغست رودان ويعدونه منمّقا، مبتذلا، خارجا على التقاليد المتبعة في النحت. ودونما ظهور اسباب واضحة، انقلب ميزان الرأي اليوم رأسا على عقب، واصبح رودان، الذى ولد عام ١٨٤٠، يعتبر اليوم علما بين الفنانين ووريثا اخيرا لعظماء الرومنطيقيين في مطلع القرن التاسع عشر. بل لعله بات أعظم نحّات عرفه الفن منذ ميكال آنجلو.



هاتان اليدان سماهما رودان: "الكاتدرائية".

لقد كانت اصابع رودان اداته في القوة والطاقة على التعبير. وكانت يداه كيدي الشافي او مجبّر العظام، قادرتين على بعث الحياة بمجرد اللمس. وانبثقت عظمة اعماله وغناها الفني من اهتمامه بجسد الانسان اهتماما ملك عليه امره. ورأى ذلك الجسد كما لم تره سوى قلة من الفنانين عبر العصور. وكان، كلما استرعت انتباهه ايماءة او اثارته حركة، يبادر بسرعة جنونية الى رسمها او نحتها خشية ان تفلت منه فجأة. وتسنى له بهذا الاسلوب ان يكتشف، اكثر من اى مثّال آخر منذ روبنس، امكانات الجسم على التعبير.

وعلى رغم ان قلة من اكتشافاته حظيت بالقبول لدى الاوساط الفنية في عصره، الا ان رودان لم تضلله ابدا الاستجابات العامة او التيارات الشعبية. ولو شاء لكان من اليسير عليه ان يستغل الاسلوب الذي انتهجه في تمثاله الشهير "المفكر" (١٨٨٠) الذي قصد به ان يكون صورة رمزية للشاعر دانتي متأملا مبتكرات خياله. لكنه، بدلا من ذلك، حرص كلّ الحرص على اتباع ما يمليه عليه ضميره، مما أدى الى اثارة الاستنكار العام حيال اعماله الرئيسية باستثناء منحوتة "مواطني كاليه" التي يسهل فهمها على الجميع لان العنصر الدرامي فيها ينبع من واقع هؤلاء المواطنين أنفسهم وليس من خيال الفنان (★) .كما ان "مواطني كاليه" يجسدون، في كل حركة من حركاتهم، مشاعر الناس المشتركة. وفي لحظة من الفطنة والبصيرة، طلب رودان ان يقام نصب "مواطني كاليه" وسط الساحة العامة في بلدة كاليه الفرنسية، وعلى مستوى أرضي يبدو "المواطنون" منه مثل سائر الاهالي الذين يطوفون حولهم، وبذلك يحس المارة احساسا حيا بمأثرة "المواطنين" البطولية.

قصة "بلزاك" ـ اما تمثاله الجبّار الآخر "بلزاك" فلم يحظ بالشعبية مطلقا، وكانت جمعية "أهل القلم" الادبية هي التي كلفته، عام ١٨٩٢، صنع تمثال لبلزاك، على أن ينتهي عام ١٨٩٤ لنصبه وسط القصر الملكي تخليدا لذكرى الروائي الفرنسي الكبير. غير ان رودان وجد صعوبة بالغة في عمله نظرا الى ان رؤآه السابقة كانت تستند الى امثلة حية. أما بلزاك فقد مضى على وفاته أربعون عاما، فضلا عن انه كان قصيرا وبدينا في الوقت نفسه، ولم يكن مظهره يدل على النبل او البطولة. ومع ذلك، توجب على رودان ان يقيم له تمثالا عملاقا يبلغ طوله مترين و٧٥ سنتيمترا. فأضحت هذه المهمة بمثابة امتحان له ولمبادئه في الصدق.

وما كان من رودان الا ان صنع سبعة نماذج كبيرة وعارية لبلزاك ووزعها في ارجاء مشغله للتأمل فيها ملياً. وعلى رغم انها كانت كلها تصور بلزاك بصدق وأمانة، الا ان اعضاء جميعة أهل القلم كانوا سيرفضونها حتما لو أتيحت لهم فرصة مشاهدتها في مشغل الفنان. لكن رودان لم يسمح لهم بزيارة مشغله. وبحلول عام ١٨٩٤ وانتهاء مهلة العامين لنحت التمثال، راح عدد كبير من اعضاء الجمعية يهاجمون رودان ويتهمونه بانه محتال ودجّال. ولم يأبه رودان لذلك، بل استمر على مدى سنوات يتأمل في تماثيل بلزاك السبعة العارية، وأخيرا قرّ رأيه على أن يكسو كلا منها بدُثُر مسبوكة على شكل معطف النوم البيتي. واختار واحدا من تماثيله وأرسله عام ١٨٩٨ الى الصالون الفني في باريس، وهو الصالون الذي أسس في القرن السابع عشر وكان افخم معرض للرسوم والتماثيل في البلاد واكثرها هيبة، اضافة الى ان هيئة المحكمين فيه

(★) تتلخص القصة في ان الملك الانكليزي ادوارد الثالث، عندما استولى على بلدة كاليه الفرنسية عام ١٣٤٧، تعهد بأن يصون حماها شرط ان يفتديها ستة من أبرز رجالاتها بأرواحهم. وبعدما تطوّع رئيس البلدية وخمسة آخرون لافتداء البلدة، لان قلب ادوارد الثالث وتراجع عن حكمه.



"اذا كان الحق لا يموت،
فاني أتنبأ بأن تمثالي سيشق
طريقه وحده" -
هذا ما قاله رودان عن تمثاله الرائع
"بلزاك" الذي كان موضع سخرية وازدراء في حينه.

تتألف من المحافظين والمتعصبين ضد الافكار الجديدة. وكان في امكان هؤلاء ان يبنوا الفنان او يحطموه.

وفاق التمثال غير العادي ابعد التصورات والاماني التي كانت تراود اعداء رودان، فلم يجدوا، بعد مشاهدته، صعوبة في اقناع الجمعية وغالبية الناس بأن رودان معتوه وبأنه تعمد اهانة فرنسا بتمثاله هذا. وبالطبع، رفضت الجمعية تمثال "بلزاك" وأجمع المتفرجون في الصالون على نقطة واحدة، وهي ان وقفة التمثال مستحيلة، وانه لا يعقل ان يكمن تحت تلك الدثُر جسم انسان. وما كان على رودان الا ان يضرب تمثاله ضربة واحدة حتى تسقط الدثُر وينكشف الجسم من تحتها. لكنه آثر ان يسحب تمثاله من الصالون وينصبه وسط حديقة منزله في بلدة مودون.

وقال رودان في وقت لاحق: "اذا قضي على الحق بأن يموت، فان الاجيال القادمة ستمزّق "بلزاكي" إربا إربا. اما اذا كان الحق لا يموت، فاني أتنبأ بان تمثالي سيشق طريقه وحده. ان هذا العمل الفني هو تاج حياتي ومحور نظراتي الجمالية الفنية. انه بمثابة خطوة جذرية في تطوري أقمت بواسطتها رابطة بين التقاليد العظيمة المفقودة وهذا الزمن الذي اعيش فيه. وستنمو تلك الرابطة وتتعزز يوما بعد يوم".

والواقع ان تمثال "بلزاك" يحقق، في نظري، كل ما قاله رودان بالضبط. ففيه ينجز الفنان، بعد مغامراته في الاساليب الفنية الاخرى، شيئا فذاً يتفرد به على سواه، وان كان يبدو منبثقا من صميم تقليد عالمي في النحت. كما ان التمثال، في الوقت ذاته، هو احدث اعمال رودان من حيث ان محاكاة المظهر فيه خاضعة كليا لفكرة نحتية مسبقة.



"مواطنو كاليه" منحوتة رودان التي يقف فيها المواطنون أمام دار بلدية كاليه، مجسدين بالنحت مشاعر الناس المشتركة.

لكن تصريح رودان بأن "بلزاك"

بداية مرحلة جديدة في تطوره يكشف عن سخرية مأسوية. ذلك لان "بلزاك" كان خاتمة اعماله العظيمة. فهو، وان ظل ينتج اعمالا ثانوية جميلة بعد "بلزاك" الا ان معين حياته الخلاقة نضب على ما يبدو. والراجح، حسب ظني، ان تكون مأساته الشخصية التي رافقت تلك المرحلة السبب في جفاف نبعه.

حياة عاصفة ـ أقام رودان، في وقت مبكر من حياته، مع امرأة عنيفة الطباع وشبه امية، اسمها روز بيريه. وكانت تساعده في سكب القوالب والعناية بها، وتخدمه خلال تناوله وجبات طعامه. الا ان رودان كان يخونها باستمرار. وفي ١٨٨٧ غرق حتى اذنيه في حب جارف مع احدى تلميذاته، وهي كاميل كلوديل شقيقة الشاعر بول كلوديل وقبلت كاميل بدور "مدام روز" في حياة رودان طوال عشر سنوات، ثم طالبته عام ١٨٩٧ بأن يتخلى عن روز ويتزوجها. وحين رفض رودان الاستجابة لمطلبها، أصيبت كاميل باختلال عقلي.

وأفضى به فقدانه لذلك الحب الجارف الى مغامرات حطت كثيرا من قدره ومقامه. واصبح رودان ضحية امرأة امريكية، تدعى دوقة شوازيل، دأبت على التطواف به في انحاء اوروبا داخل سيارة ليموزين مترفة سوداء. وكانت تلبسه قبعة حريرية ومعطفا اسود ينتهي عند الركبتين، فكان يبدو مثل دب راقص للفرجة والتسلية. وفي نهاية الامر أقنعه اصدقاؤه بالتخلص من "الدوقة المخيفة". لكن التخلص منها أدى الى هبوب موجة جديدة من المتطفلات اللائي اخذن يطرقن باب بيته واحدة بعد الاخرى. وأخيرا، في عام ١٩١٧، اي قبل اشهر من وفاته، أقنع رودان بالزواج من مدام روز، ففعل. ولكن من المؤسف ان يكون كلاهما بلغ من الخرف مبلغا لم يدرك معه الا القليل مما حل به.

وهذه القصة المحزنة تفسر عدم ظهور اعمال رئيسية في أواخر سني رودان. كما انها تنبئنا بشيء عن تدهور سمعته بعد وفاته. ذلك لان النقاد الذين تناولوا حياة رودان كانوا متحاملين عليه وفي ذاكرتهم صورة ذلك الرجل المتبرم، المستبد برأيه، المتدثر بمعطف ينتهي عند الركبتين والذي يتقبل أشنع انواع الاطراء بافتخار وخيلاء. وهكذا طغت على سيد قوالب السبك والنحت وعاشق المرئيات وحركاتها سمات الفيلسوف الزائف. ولكن في اعادة النظر من جديد الى "مواطني كاليه" و"بلزاك"، يحس المرء بأن التقاليد الرومنطيقية في النحت وجدت في رودان خاتمة طيبة حقا.

■ **كينيث كلارك**



يقول الرسام الفرنسي الشهير ادغار دوغا، متحدثا عن هواة الفن الذين يشترون اللوحات باثمان باهظة:

"عندما يدفع المرء ثلاثة آلاف فرنك ثمنا للوحة، فهذا يعني انه يحبها واما اذا دفع ثمنها ثلاثمئة الف فرنك، فذلك لأن اللوحة تستهوي الآخرين".

("لو هيريسون" - فرنسا)

دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد ذات علاقة اشتقاقية ببعض المقاييس: كبير، صغير، قريب، بعيد، طويل، قصير، واسع، ضيق.

وقد وضعت امام كل كلمة اربعة معان، واحد منها فقط صحيح. والمطلوب من القارىء ان يختار المرادف او المعنى الذي يعتبره صحيحا، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة.

٠١ كَبُرَ: فاق غيره سناً – طعن في السنّ – عَظُمَ – ارتفع.

٠٢ طائلٌ: وقت – معنى – قدرة – شوق.

٠٣ الصِّغْرَة: حداثة السنّ – أصغر الاولاد – العمل الوضيع – الضيم.

٠٤ تَقاصَرَ: تساهَل – تكاسَل – أحجَم – عجز.

٠٥ وَسِعَ: ضدّ ضاقَ – اغتنى – امتلأ – وهَبَ.

٠٦ الكِبَر: الشرَف – العناد – المشقة – التقدّم في السنّ.

٠٧ القُرابة: القرب المكاني – النسَب – الخاصرة – القريب او النسيب.

٠٨ الطَّوْل: الشوق – القدرة – الرفعة – العمر.

٠٩ صاغِراً: صغير السنّ – مطيع – خاشع – مُهان.

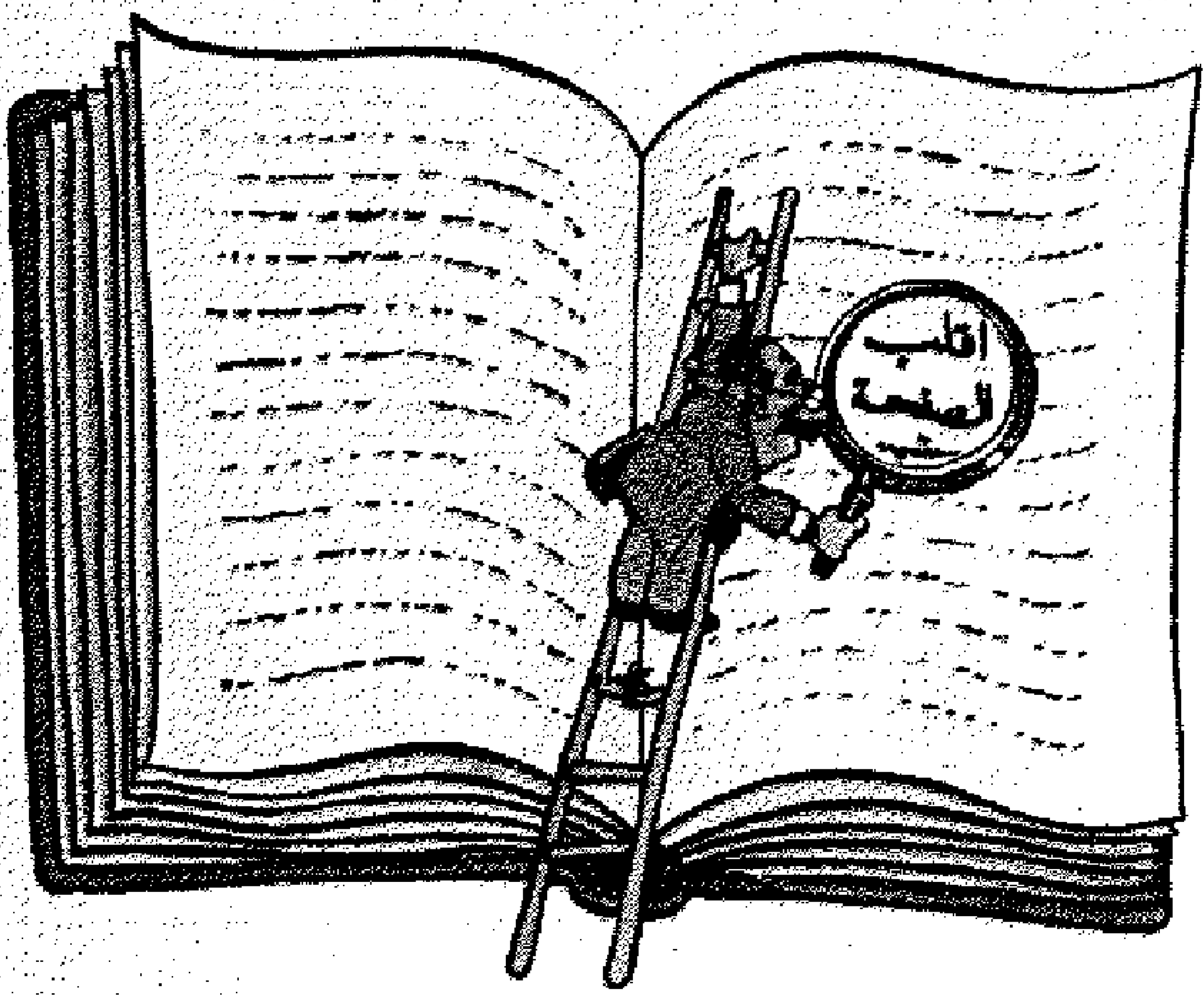
١٠ القُصارى: الجهد والغاية – الكسَل – صغر السنّ – العجز.

١١ كَبِرَ: عظمَ – ارتفع – طعن في السنّ – فاق غيره سناً.

١٢ أطالتْ: اتّخذَتْ أعداء – وَلَدَتْ اولاداً طوالا – أعطت – اشتاقت.

١٣ سِعَةٌ: ضدّ ضيق – غنى – عَطاء – قدرة.

١٤ القَصَرَة: التساهل – الجهد – الكسَل – القَصير.



١٥ الصَّغار: الصغيرة – العداوة – الذلّ – تَوافه الامور.

١٦ الكِبْرُ: التقدّم في السنّ – المشقة – الخطيئة – الشرَف.

١٧ المَضيق: قطعة من البحر – الفاقه – الحزن – الخطَر.

١٨ باعِدٌ: مشتاق – معتزل – معاد – هالك.

١٩ وَسَعَ: طفحَ – كثّر – وشى – ضدّ ضاق.

٢٠ قاصِرٌ: كسول – لم يبلغ سنّ الرشد – قصير – محجم.

٢١ كَبُرَ: عَظُمَ وجَسُمَ – تقدّم في السنّ – فاق غيره سناً – تكبّر.

٢٢ الضِّيقَة: الموت – الحزن – المكان الضيق – سوء الحال.

٢٣ الوُسْع: العطاء – الكثرة – القدرة – الترَف.

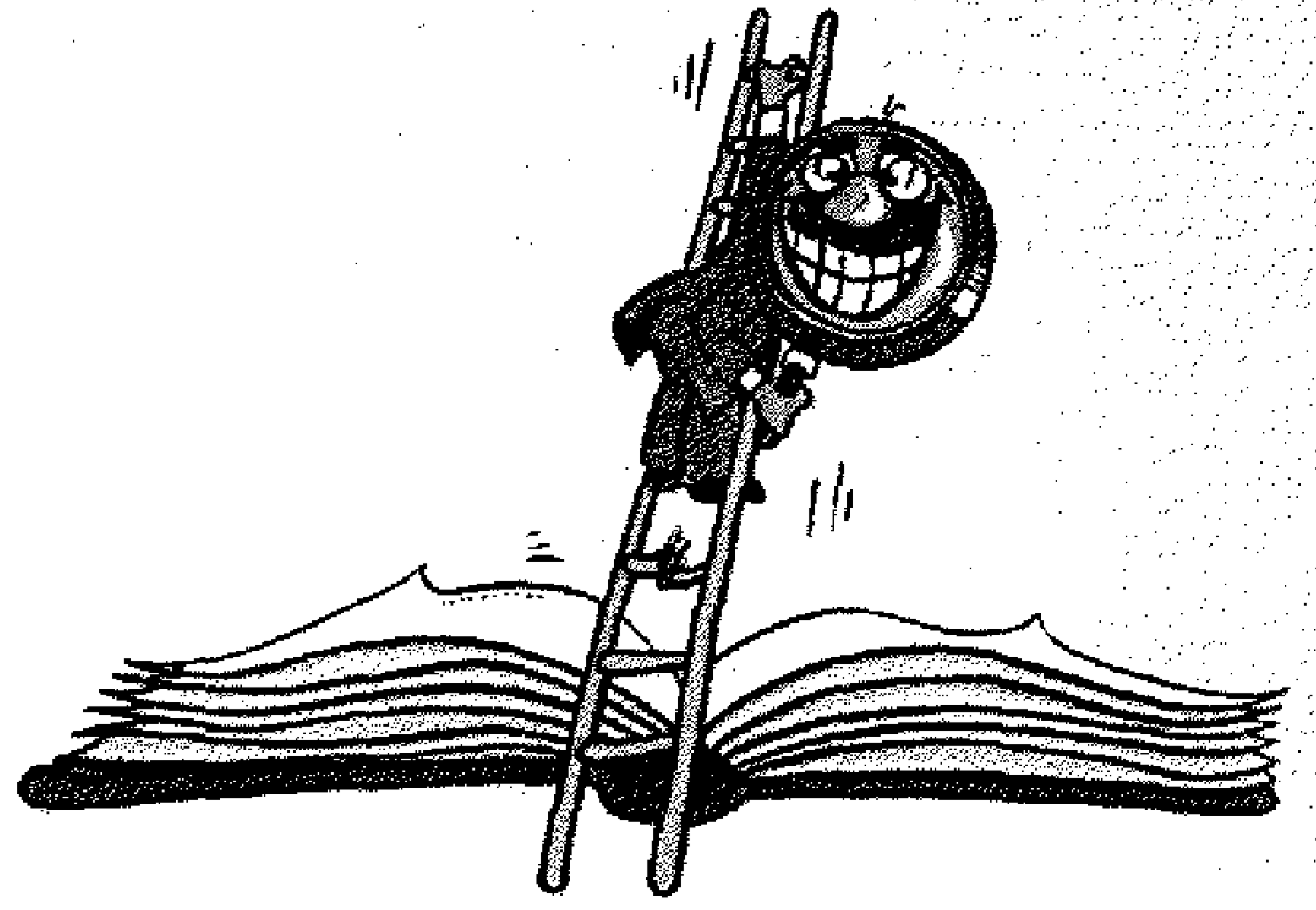
٢٤ القَصارة: صغر السنّ – المرأة القصيرة – الجهد والغاية – العجز.

٢٥ القُرْبان: جَليس الملك – الذبيحة لله – القريب في المكان – ذو القربى.

٢٦ الطُّولى: الحال الرفيعة – القدرة – العمر – الفراق.

٢٧ قَصَرَ: بَلَغَ الغاية – تَرَكَ الشيء عن عجز – تساهل – أحجم.

٢٨ الكبيرة: المشقّة – العناد – الشرَف – الاثم الكبير.



الأجوبة الصحيحة

١٠ **كَبَرَ**: فاق غيره في السن كَبَرَ يكْبُرُ كَبْراً.
٠٢ **طائل**: قدرة، غنى، فضل، نفع. يقال ايضا طائلة، وجمع الكلمتين طوائل.
٠٣ **الصغْرَة**: أصغر الأولاد او القوم. "هو صغْرَة أبويه"، أي أصغر اولادهما.
٠٤ **تقاصر**: أحجَمَ عن أمر: أمسك عنه مع القدرة عليه.
٠٥ **وسِعَ**: ضد ضاق. يَسَعُ سَعَةً ويسع سعة.
٠٦ **الكِبَر**: التقدم في اسن. أيضاً الكبْرَة.
٠٧ **القرابة**: القريب او النسيب.
٠٨ **الطَّوْل**: القدرة، الغنى الفضل العطاء.
٠٩ **صاغِر**: مهان، راض بالذل والضيم.
١٠ **القُصارى**: الجهد والغاية. أيضاً القُصار والقَصار.
١١ **كَبِرَ**: طعن في السن. يكْبَرُ كِبَراً ومكْبِراً.
١٢ **أطالت (المرأة)**: وَلَدَت أولاداً طوالاً.
١٣ **سعة**: ضد ضيق.
١٤ **القَصَرَة**: الكسل.
١٥ **الصَّغار**: الذل، الضيم. أيضاً الصُّغْر.
١٦ **الكِبْر**: الشرف، الرفعة. معظم الشيء. أيضاً الكُبْر.
١٧ **المَضيق**: قطعة ضيقة من البحر بين أرضين. ما ضاق من الأماكن او الامور.
١٨ **باعد**: هالك، ميت. بَعَدَ (يَبْعُدُ) وبَعِدَ (يَبْعَدُ) بَعَداً: هلك ومات.
١٩ **وَسَعَ**: كَثُرَ. وَسَعَ عليه: أغناه. وَسَعَ يَوْسَعُ وَسْعاً.
٢٠ **قاصر**: لم يبلغ سن الرشد.
٢١ **كَبُرَ**: نقيض صغر: عَظُمَ وجَسُمَ. كَبُرَ يكْبُرُ كِبَرا وكُبْراً وكُبارة في القَدْر.
٢٢ **الضِّيقة**: سوء الحال، الفقر. أيضاً الضَّيْقة.
٢٣ **الوُسْع**: القدرة، الطاقة. أيضاً: الوسْع والوَسْع.
٢٤ **القَصارة**: المرأة القصيرة.
٢٥ **القُرْبان**: جليس الملك. القَرْبان من الآنية: ما قارب الامتلاء.
٢٦ **الطُّولى**: الحال الرفيعة.
٢٧ **قَصَرَ**: كف عن الشيء وتركه مع العجز. قَصَرَ السهم عن الهدف: لم يبلغه. قَصَرَ نفسه على امر: لم يطمح الى سواه. قَصَرَ يَقْصُرُ قُصوراً.
٢٨ **الكبيرة**: الاثم الكبير.

المستوى

٢٣ – ٢٨ : ممتاز
١٧ – ٢٢ : جيد
١١ – ١٦ : مقبول



المدينة الدفينة - وبركان فيزوف - كما يبدوان اليوم٠

بومبي تنهض من الرماد

منذ ١٩٠٠ عام تجمد الزمن في هذه المدينة الرومانية، وها هي تتلألأ اليوم بما تضمه من كنوز نفيسة ومن شواهد الحياة والفن

يخيل الى الزائر الذي يرود بومبيي انه يطوف في جنبات حلم أخاذ او ان الحياة تعود به الى اعماق الزمن السحيق٠ فقد اختنقت معالم هذه المدينة فجأة عام ٧٩ الميلادي بسبب انفجار بركان فيزوف، واندثرت محنطة تحت ستة امتار من ركام الخفاف والرماد البركاني وتحجرت مع الوقت واكتست قشرة صلدة٠ ولم يلبث الزمن ان اسدل على هذا "الرمس" في بعض المواضع غطاء ترابيا يعلو مترين آخرين٠ واستمرت المدينة دفينة طوال ١٧ قرنا وكأن الحياة توقفت فيها فجأة وظلت معلقة

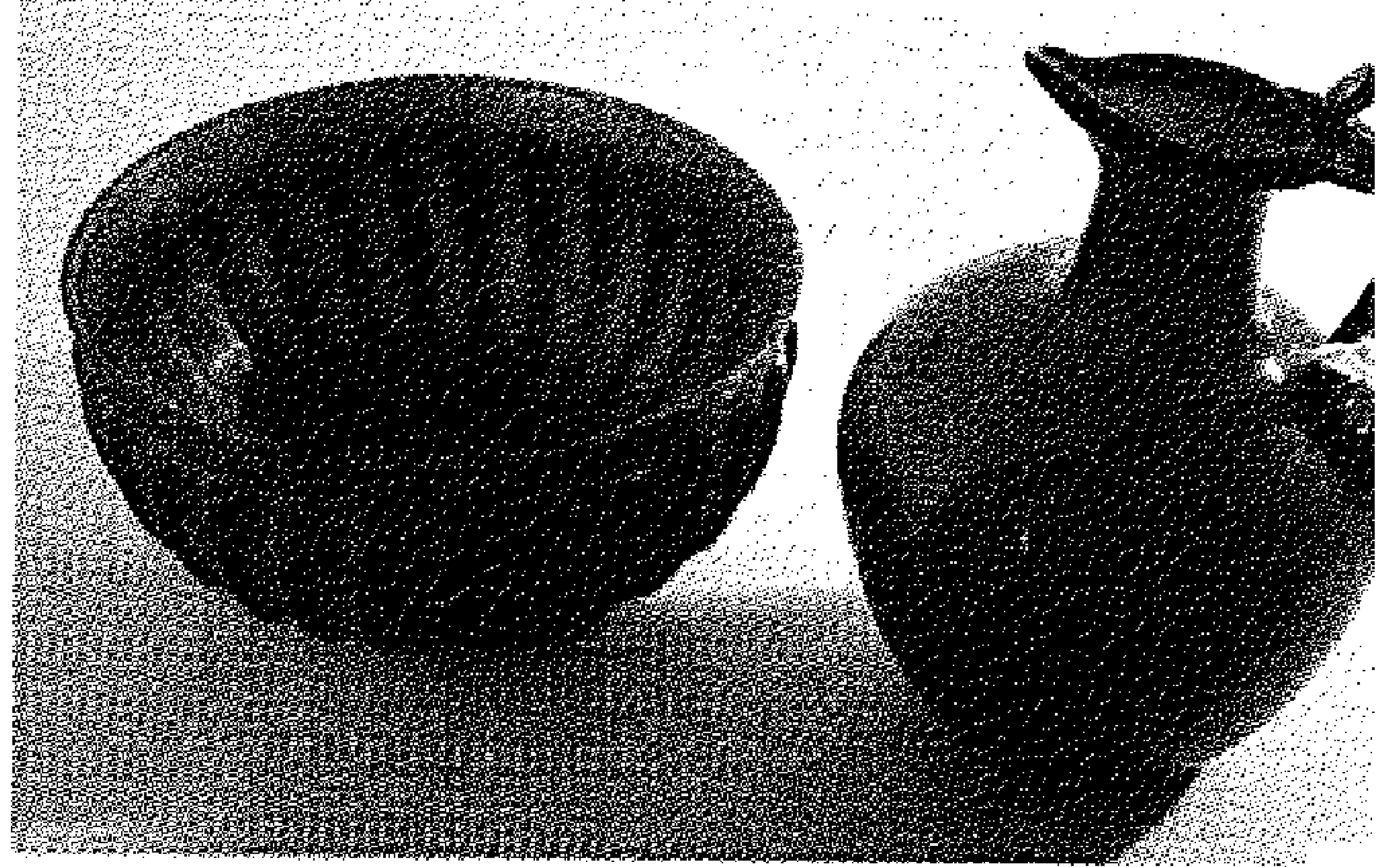
لم يطلها الفناء: فهناك الصحاف على الموائد لا تزال فيها وجبات الطعام وقد توقف اصحابها عن تناولها في منتصفها، وهناك البيض لا يزال سليما لم يقشر، وهناك ارغفة الخبز باقية داخل الافران، وهناك قطع النقود الصغيرة مودعه ادراج الدكاكين.

وقد بدأت الحفريات، في القرن الثامن عشر، لازاحة النقاب عن هذه الدفينة القديمة العهد، وهي لا تزال مستمرة حتى اليوم. وقد افضت الاعمال الى ابراز ثلاثة اخماس المدينة فبدت بومبيي بحلتها الرائعة المدهشة شاهدا من شواهد الحياة في المدن الرومانية الاقليمية، الى جانب ما تزخر به من كنوز فنية نفيسة لا تقدر بثمن، واصبحت في طليعة الاماكن السياحية الايطالية واكثرها استقطابا للزائرين وقد تزايد عددهم في عام ١٩٧٨ وحده على مليوني زائر.

وتقع هذه المدينة الرائعة الصغيرة على مسافة ٢٤٠ كيلومترا الى الجنوب الشرقي من روما، قرب خليج نابولي، وبلصق بركان فيزوف الذي يبلغ ارتفاعه ١٢٧٧ مترا من ناحية قاعدته الجنوبية. وهي تتوسط سهلا تشرق في جنباته بساتين الليمون والبرتقال، والفاكهة والكروم. ولئن كان عدد سكانها لا يتجاوز على الارجح ٢٠،٠٠٠ نسمة عندما نزلت بها الكارثة، الا ان المدينة تمتد على رقعة رحيبة الاتساع تبلغ مساحتها ٦٦ هكتارا (١٤٠ فدانا تقريبا)، ويحيط بها سور قديم له سبع بوابات واربعة عشر برجا.

والذي يزور المدينة اليوم تطالعه في ارجائها شوارع انيقة التخطيط، حسنة التنسيق، وازقة معشبة خضراء. فهناك مثلا شارع رئيسي في المدينة اسمه "شارع الوفرة" تبدو آثار عجلات العربات الرومانية على بلاط رصيفه وتقوم على جانبيه الحانات والمقاهي والحوانيت والبيوت الجميلة البناء. ويستطيع المرء بقليل من الخيال ان يتصور الماضي من خلال نظرته الى هذا الشارع الحافل بالحركة: حيوانات الركوب والجر السريعة المتمردة وصياح الحوذيين والتجار الانيقو اللباس والسياسيون والمنتفخون عجبا وغرورا وحشود العبيد والباعة المتجولين والسيدات المعطرات المنتقلات في المحفات (كراس محمولة). ويطالع الرائي على الجدران الاعلانات عن مؤسسات التنظيف والخمور المعتقة ومزايا المرشحين السياسيين. وتقول احدى اللافتات ان "بائعي الفاكهة يؤيدون ترشيح م.هـ. بريسكوس لمنصب رئيس القضاة".

وينتهي "شارع الوفرة" الى الساحة العامة حيث تدور المناظرات والمناقشات ويؤدي المواطنون واجباتهم المدنية والدينية وتنتظم اسواق الاغذية وتشتد المساومات على اسعار السمك الطازج. وتضم الساحة ميدانا مستطيل الشكل مسيجا من ثلاثة جوانب ومزدانا بتماثيل الشخصيات الشهيرة ويقوم على جانبيه معبدان لالهين من كبار الآلهة: "جوبيتر" و"أبولو". ومن هذه الناحية كان المتقاضون يدخلون الى مبنى "البازيليكا" الذي يضم المحاكم الشرعية والذي يعد اكبر مبنى في بومبيي. ويكتمل هذا المركز الحضري البديع بمبنى البلدية وسوق الحبوب



عثر المكتشفون تحت الركام البركاني على أشياء كثيرة سريعة العطب بقيت سليمة مثل هذا الابريق والوعاء الزجاجيين·

ومعبدين آخرين صغيرين ومبنى نقابة تجار الاقمشة ومبنى الاستفتاء لتسجيل اصوات المقترعين واحصائها حول الشؤون العامة·

النار في الاحشاء - كانت بومبيي مدينة صغيرة مزدهرة يرجع عهدها الى عام ٦٠٠ قبل الميلاد على الاقل، ثم استولت عليها روما عام ٨٠ قبل الميلاد· (ولا تزال جدران المدينة تحمل الندوب التي خلفها فيها حصار الرومان) فأصبحت المنطقة مرتعا للأغنياء يروده الرومان المتقاطرون على خليج نابولي للاستجمام وقضاء عطلاتهم في بيوت فخمة في المدينة نفسها او في دارات كبيرة مترفة على شاطىء البحر·

وقد بنيت المدينة على اساس من الصهير البركاني المتصلب الذي تخلف عن انفجار قديم لبركان فيزوف· ومع ذلك فان سكانها لم يأبهوا بالنيران المضطرمة في احشاء البركان وكانت سفوحه تكسوها خضرة الاراضي المزروعة· وفي عام ٦٢، في عهد الامبراطور نيرون، اصيبت المنطقة بزلزال عنيف يرجع اليه جانب كبير من التلف اللاحق بمباني المدينة· لكن البركان لم ينفجر آنذاك واستمر اهل بومبيي في البناء بعد ذلك التاريخ بسبعة عشر عاما، حتى يوم ٢٤ اغسطس (آب) من سنة ٧٩ الميلادية حين انفجر فيزوف انفجارا هائلا اطاح قمته·

وانهالت قذائف الصهير على بومبيي وابادت اولى ضحاياها، واعقب ذلك وابل من شظايا الخفاف وامطار جارفة من الرماد· وصاحبت الانفجار عاصفة كهربائية، وامحى ضوء النهار وتقلبت الابخرة الفاتكة من احشاء الارض وامتدت عبر السهل بأجمعه·

وقد بقي لنا من ذلك العهد البعيد وصف حي للكارثة في اقوال شهود عيان نقلها بلايني الاصغر(★) في رسالتين منه موجهتين الى المؤرخ الروماني المشهور تاكيتوس· وكان بلايني الاصغر آنئذ طالبا في السابعة عشرة من عمره يقيم مع عمه بلايني الاكبر، عالم التاريخ الطبيعي المشهور في مدينة ميسينوم الواقعة عبر الخليج من بومبيي· وقد كتب الآتي: "رأينا سحابة فريدة في ضخامتها تظهر في الافق على شكل شجرة صنوبر منتشرة الرأس، وبدت لنا نيران هائلة مستعرة يزيد من وهجها الظلام الذي هبط فجأة· وتلاحقت الهزات الارضية فتأرجحت معها السقوف ولكننا خشينا الخروج الى الفلاء لئلا نتعرض للوابل المتساقط من حجار الخفاف الملتهبة"·

وقد شاء القدر ان تتم المعجزة

(★) كاتب وسياسي روماني اشتهر بكفايته وبخطاباته الممتعة· وهو ابن اخ بلايني الاكبر الذي كان من مشاهير الرومان وتميز بينهم بمؤلفه في "التاريخ الطبيعي"·

ببقاء عدد من سكان بومبيي الالفين الذين لم يتمكنوا من النجاة بأنفسهم وقد تركت اجسامهم البالية تجاويف على شاكلتها في الركام البركاني المتصلب. وجاء الاثريون فصبوا الجص السائل في تلك التجاويف التي تنتثر فيها العظام وتهيأت لهم بذلك قوالب دقيقة للضحايا. وقد وضع العديد من هذه القوالب في الاماكن نفسها حيث سقط الضحايا الاصليون، وهم لا يزالون يغطون وجوههم بأيديهم، ومن بينهم ام تحتضن ابنتها فيضمةمحكمة،ومتسول يشد قبضته على كيس صغير مليء بالنقود. ومن الصور المثيرة المشجية كلب حراسة وقد التوى جسده بالالم المميت وهو يحاول الافلات من سلسلته المشدودة. وقد رأيت في بيوت عدة، ثغرات في الركام تتحدث بأبلغ من الكلام عن اولئك السكان الذين حاولوا ان يشقوا لهم ممرا في يأس مستميت حين تلاشى املهم الاخير في النجاة بعدما تراكم الرماد على الجانب الاخر وسد عليهم سبيل الخلاص.

وقد بقيت كذلك آثار الثراء وعذوبة الحياة والتنعم باوقات الفراغ، خصوصا في البيوت الانيقة التصميم التي امكن ترميمها حيث كانت الطبقة الراقية تعيش في جو يغمره الدفء والراحة والرفاهية. فالبيت النموذجي في بومبيي يتجه الى الداخل، ويطل على ردهة كبرى هادئة معتدلة البرودة يمرح فيها الهواء ويبلغ ارتفاع سقفها حوالى عشرة امتار، وفيه فتحة مستطيلة الشكل يتساقط منها ماء المطر في حوض من الرخام. وتتحلق الغرف حول هذه الردهة، ومن اهمها غرفة تسمى "التابلينوم"، وهي ايوان فسيح يستخدم في آن واحد قاعة للجلوس يستقبل فيها الضيوف او مكتبا لاستقبال العملاء. ويلي ذلك ممر يؤدي الى مؤخر المنزل حيث يطل هذا على حديقة عطرة يحيط بها اطار من الاعمدة في بهو ظليل. وقد اعيدت بعض هذه الحدائق الى ما كانت في الماضي البعيد بنبتاتها الاصلية مثل الكرز واشجار الليمون المتعرشة (الفريز) والفراولة والورود وكانت غرف النوم تطل نوافذها المزودة بالستائر الجميلة على هذه الجنة الصغيرة الغنّاء.

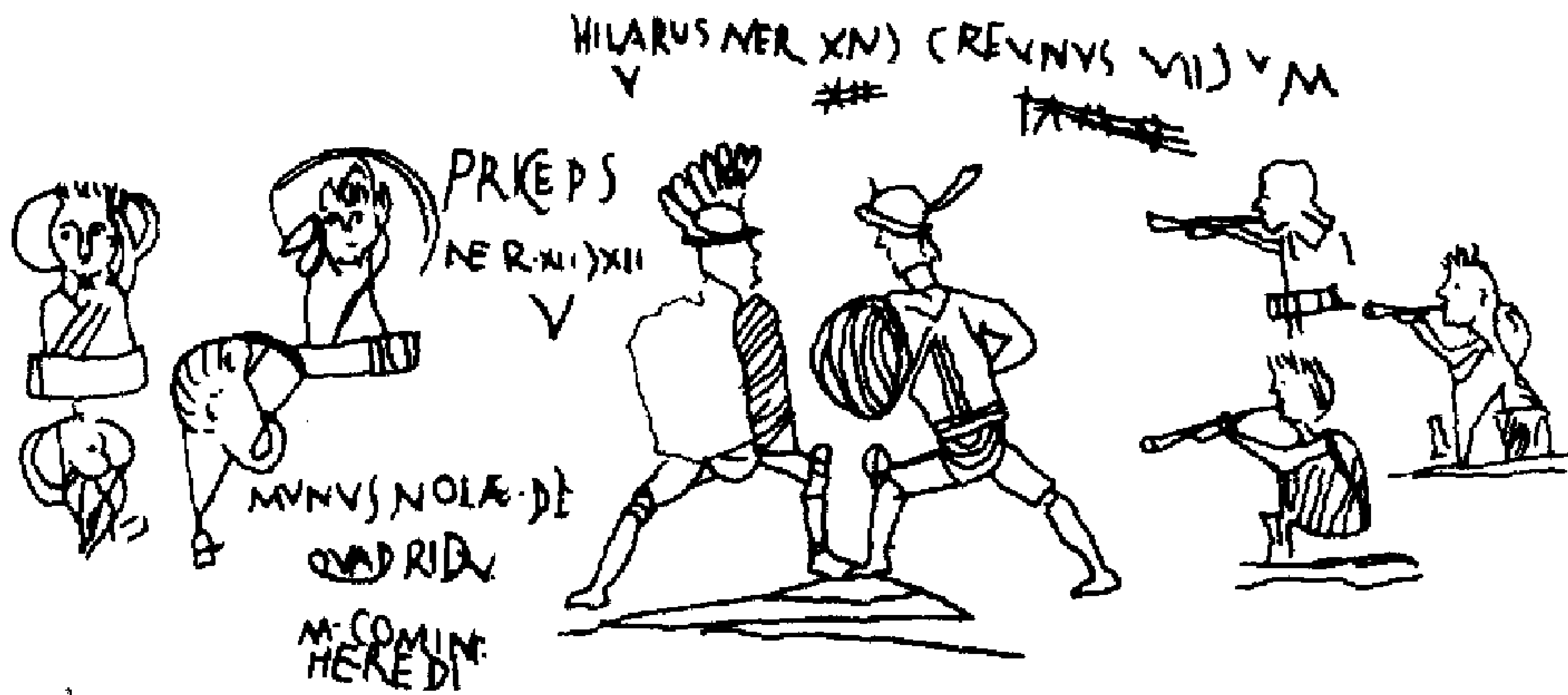
وعلى رغم فخامة بيوت بومبيي، فأن شهرة المدينة وموضع اعتزازها يقوم على الفن. فقد انفق اهلها ثروات طائلة على صنوف النحت والتماثيل البرونزية والرخامية. ولئن كان بعض الذين بقوا احياء، بعد الكارثة، عادوا يحفرون في الرماد ليستردوا عددا من التماثيل النفيسة، الا انهم عجزوا في احيان كثيرة عن الاهتداء الى التحف الرائعة، مثل ذلك التمثال البرونزي لأبولو الذي يبلغ ارتفاعه مترا ونصف متر والذي عثر عليه حديثا مدفونا في بيت رجل يدعى جوليوس بوليبيوس، وهو عبد سابق اصبح من الاعيان والسياسيين في المدينة.

غير ان اللوحات الجدارية البديعة في بومبيي هي التي اذهلت عالم الفن عندما اكتشفت في القرن الثامن عشر. وكانت الالوان، بما فيها "احمر بومبيي" الذي لا نظير له، تمزج احيانا بالشمع لكي يضفي عليها رونق البريق في شبه العتمة المنزلية.

ويلاحظ ان معظم اللوحات الرئيسية مستقاة من اصول اغريقية ضاع اثرها

منذ عهد بعيد، مما يجعل من بومبيي مفتاحا لمعرفة فن الرسم الاغريقي - الروماني. ومن الموضوعات المفضلة لدى اهل بومبيي في ذلك العهد، واحد مستمد من الميثولوجيا الاغريقية يمثل البطل برسيوس وهو ينقذ اندروميدا المقيدة بالاغلال الى صخرة يطغى عليها البحر تحت حراسة تنين

وكانت معامل المدينة تنتج المصابيح والآجر والبلاط والمنسوجات. وقد شمل الرخاء الاطباء ايضا، كما يتضح من المنزل الفخم الذي كان يسكنه الجراح في المدينة والذي عثر فيه على مجموعة كاملة من ادوات الجراحة في ذلك العهد.



رسم محفور على احد القبور في بومبيي يمثل نزال المجالدين.

هائل رهيب. بيد ان اشهر الاعمال الفنية في بومبيي هي تلك الفسيفساء الارضية التي يبلغ طولها ستة امتار وعرضها ثلاثة امتار ونصف متر تقريبا والتي تمثل الاسكندر الاكبر يهزم الجيش الفارسي. وتتألف هذه اللوحة من مليون ونصف مليون مكعب صغير من الزجاج والرخام الابيض، وقد استوردها من مصر احد سكان بومبيي الاغنياء ليزين بها منزله الفخم.

النرد والمسرح والآلهة - كانت بومبيي في القرن الاول الميلادي تزدهر بسكانها من اغنياء ملاكي الاراضي وتجار القمح والفاكهة والنبيذ وزيت الزيتون. وكانت الحركة التجارية نشطة عبر الميناء القريب الواقع عند مصب نهر سارنو. وقد خط بعضهم على احد الجدران العبارة الآتية: "الكسب بهجة الحياة".

وكانت العربات التي تجرها الخيول تعرض للايجار عند ابواب المدينة.

وعثر على مكعبات النرد في حجور خفية للعب الميسر. وكانت المقاهي والحانات تقدم المشروبات الساخنة والباردة من خلف مناضد على شكل زاوية قائمة. ولا تزال جدران بعض الحانات تحمل بيانات بأسعار المشروبات وديون الزبائن.

وكانت اسباب التسلية متاحة لجميع الاذواق، فهناك مسرحان، احدهما مكشوف لتمثيل الروايات والثاني مغطى للحفلات الشعرية والموسيقية والتمثيل الصامت بالحركات. ولكن هذين المسرحين يبدوان قزمين الى جانب ساحة الالعاب الرياضية والمنازلات الدامية بين المجالدين ومدرجها الذي يتسع لنحو ٢٠،٠٠٠ مشاهد والذي يعد اقدم بناء من هذا النوع في ايطاليا. وقد

ابرزت اعمال الترميم طائفة من السيوف والخوذ البديعة الصنع، وعددا من اسماء الابطال التي وجدت منقوشة على الجدران، مثل: "كيلاديوس البطل قاصم القلوب"، و"فيلكس مصارع الدببة".

وعلى رغم ان بومبيي بقيت حية نحو نصف قرن بعد صلب المسيح، فان آلهة الوثنية ظلت تسيطر على المدينة. وكانت الالهة فينوس على وجه الخصوص صاحبة اليد العليا، وذلك بصفتها الام الحارسة العظمى اكثر منها رمزا جنسيا ساميا (على رغم احتواء المدينة على ٢٨ بيتا للدعارة)، وقد بنى اهل المدينة معبدا لها كان ينتظر ان يصبح اجمل معابد بومبيي لو لم تفاجأ المدينة بثوران بركان فيزوف.

وتسببت الكارثة كذلك في نكبة الآلهة القدامى كآلهة الخصوبة المصرية ايزيس التي كان معبدها المنمق الغني بالزخارف يقوم على مرمى حجر من "شارع الوفرة" جاءت الكارثة وفاجأت كهنة ايزيس وهم يتناولون طعام الغداء، فتركوا البيض والسمك على المائدة واندفعوا هاربين بما استطاعوا ان يحملوه من كنوز المعبد. وقد عثر على احدهم في موضع قريب من المعبد حيث سقط وبين يديه كيس مليء بالنقود الذهبية بينما هلك الآخرون مسحوقين تحت الاعمدة المتهاوية.

على فوهة البركان – وبعد ان ودعت اطياف بومبيي، تسلقت فيزوف في مسيرة استغرقت اقل من نصف ساعة من نهاية طريق السيارات الى مشارف فوهة البركان، عبر ممر ضيق موحش من مجاري الصهير المتصلب، ووقفت عند القمة وقد تملكني صمت الرهبة اذ رأيت البركان يفغر من تحتي فاه الجبار الذي يبلغ عمقه ٢٠٠ متر وقطره ٦٠٠ متر تحف به صخور عالية كبريتية اللون. وكانت ندف البخار الابيض الزاحفة من الشقوق هي الدليل الوحيد على ان ثمة شيئا لا يزال يغلي بلا انقطاع، في مكان ما، من جوف هذا المنخفض الرهيب. وتوقفت في طريق العودة عند مرصد فيزوف الذي انشأه فرديناند الثاني ملك نابولي عام ١٨٤١، فكان اقدم مرصد بركاني في العالم. واوضح العلماء ان المجرى الرئيسي في باطن البركان قد انسد منذ انفجاره الاخير عام ١٩٤٤. وكان البركان ينفجر مرة كل ١٢ عاما في المتوسط على مدى القرون الثلاثة السابقة، ولكنه صمت صمتا مطبقا رهيبا منذ ذلك التاريخ. وعندما سألت عن مدى اقترابنا الان من نقطة الخطر، كان الرد هزة من الكتفين!

وقفلت عائدا الى نابولي على الطريق الرئيسي المزدحم بين جدران الصهير وبساتين الفاكهة، ورحت اتأمل في الموت، الموت الكامن في طيات هذا السهل المشرق السعيد المزدحم بالسكان.

ان اهل المدن الحية النشطة الممتدة على سفوح فيزوف يختلفون عن اسلافهم في انهم يعلمون انهم يقيمون على فوهة بركان، ولكنهم قد راهنوا على الحياة على رغم ذلك. وتذكرت بومبيي تلك المدينة الوسيمة التي تنتابها اشباح وتمنيت للاحفاد ان يكسبوا الرهان.

■ ارنست ا. هاوزر

قالت الفتاة للبائعة في محل العطور: "اليس لديك عطر اسمه: "الى اللقاء القريب"!

تمنى ان يمهله الزمن اسبوعين قبل ان تلد زوجته، لكي يبلغ حالة اعلى من النضوج تؤهله لاستقبال الحدث

... لقد صرتُ أبًا!



عندما علمنا باننا سنصبح أبوين، ذهبت الى المكتبة وبحثت عن كلمة "جنين" في الموسوعة، وطالعت تلك الرسوم نفسها التي طعالتها في الماضي الى جانب رسوم أخرى مطبوعة على صفحات شفافة من مادة "الاسيتات" توضع تباعا بعضها فوق بعض لتوضح شتى مراحل الحياة في الرحم.

كنت في الثامنة والعشرين من عمري، وقد اعتدت تصفح تلك الصور من دون اكتراث، مثل شخص يتفحص خريطة بلد لا ينوي زيارته اطلاقا. لكن الوضع الآن يختلف عما كان عليه، لان احد تلك الاجنة بدأ يتكون في احشاء زوجتي.

ولا شك ان الجنين في رحمها لا يزال ضئيلا في حجم سمكة القريدس او الروبيان الصغيرة، فأنما هو كائن مجرد غير حقيقي. ومع ذلك، فان المسافة الذهنية التي كنت اشعر بانها تفصلني عن مثل هذا الواقع، تقلصت فجأة وتلاشت. فانا لم اعد رجلا من المحتمل ان يصبح ابا، بل غدوت ابا فعليا لكائن حي يدأب على التجمع والنشوء بجد ونشاط عظيمين

الى حد يكاد يؤلمني على نحو لا يطاق.

والحق ان كوني ابا يحس بابوته بطريقة او أخرى، بدا لي احتمالا غير مرجح، خصوصا لاني لم اشعر بان ما قطعته من العمر يؤهلني لابوة الاطفال، بل شعرت بأني لم آلف بعد حتى كوني راشدا. واذكر اني، منذ زمن بعيد، اقسمت على الا ابلغ سن الرشد او النضج. ولذا رحت استرجع بشوق كبير، ذلك العهد الذي قطعته على نفسي وأنا شبه مصدق ان في الامكان المحافظة عليه.

ان الجنين الذي يعيش في احشاء زوجتي سو-الن يغذي الان ويعزز سرا تلك المادة التي تمكنه من الانطلاق الى الخارج بسرعة خاطفة. انه شيء لا نستطيع رؤيته. ومع ذلك، فانه يمد جذوره في كياننا، ولا بد من ان يبدل الحياة التي نحياها تبديلا ابديا حالما يأتي وقته ويخرج الى النور.

دروس الابوة والامومة - وبحلول الشهر الثامن، توجب علينا ان نحزم البطانيات والوسائد ونذهب لحضور اول درس عملي من شأنه ان يعدنا للولادة حسب طريقة "لاميز" Lamaze التي تستهدف تخفيف اوجاع الولادة وتمكين النسوة من الحفاظ على اكبر مقدار ممكن من الوعي في اثناء المخاض واللجوء الى استخدام ادنى كمية ممكنة من العقاقير الطبية. وفعلا، بدت لنا هذه الطريقة في الولادة معقولة ويجب اتباعها بكل تأكيد. غير ان آمالنا خابت قليلا بعد الحصة الاولى من الدورة العملية، لا لشيء سوى ادراكنا ان هذه التجربة التي نمر فيها لم تكن فذة او بلا مثيل.

وفي احد الدروس اتيحت لنا مشاهدة فيلم سينمائي قوامه ما يأتي: امرأة تلهث كالكلب، ويقول لها زوجها الذي يقوم بدور المدرب: "ادفعي يا حبيبتي، ادفعي". ويعلن الطبيب: "اني ارى رأسه الان". ثم يندفع رأس الوليد خارجا مع دفق كبير من السائل. وحين اضيئت انوار الصالة، كانت دموعنا تنهمر بغزارة. ورحنا نحاول كبح شهقاتنا والابتسام بوهن، كما لو اننا فرغنا لتونا من احدى حلقات التقابل التي يحدد فيها كل شخص نظره في عيني الشخص المقابل له الى ان تتعالى صيحة جماعية اولى تخلف في نفوس المشتركين جميعا شيئا من الانبهار.

ان للزوج في الولادة دورا حاولت تلك الحلقة الدراسية العملية ابرازه من غير تحفظ، وهو ان لنا - معشر الرجال - اهمية لا غنى للامهات عنها، ان من حيث المعنويات وان من حيث التوقيت او المراقبة. غير أني شعرت بان منحنا هذه الاهمية لا يعدو المجاملة التي تجنبنا الشعور بعدم علاقتنا بالموضوع. فقد احس معظمنا بان زوجاتنا ماضيات الى مكان ما وحدهن، وان الولادة ما هي الا بوتقة يتعذر على الازواج دخولها، واننا نطوف مجرد تطواف فقط على حواشيها حيث نراقب زوجاتنا وهن ينجذبن الى مركز تلك البوتقة وعلى محياهن ملامح التجهم حينا والغموض والبهاء حينا آخر.

وبينما استلقت النسوة على ظهورهن فوق الوسائد ليتدربن على التحكم بعملية التنفس التي يقصد بها ان تستأثر بانتباههن لتنسيهن اوجاع الولادة، اخذنا نحن الرجال

نضغط ببطء على سيقانهن فوق الركبتين مباشرة لتنشيط عملية التقلص، بينما كان صوت المدرب يرتفع آمرا بان: "الهثن.. ازفرن...".

نظرت في اطراف الغرفة بعد انتهاء هذا التمرين، فابصرت نساء اخريات منبطحات وقد تكورت بطونهن وانتفخت فوقهن، بينما الازواج من حولهن يبدون اشبه بحيوانات اليفة، ودودة، متفانية، بلهاء، هيابة في الوقت نفسه مما طلب اليها ان تفعله. وهي تجهل طبيعة المغامرة التي ستخوضها الزوجات جهلا مطبقا، على رغم جميع المحاضرات والافلام. ومع ذلك، فاننا جميعا سنمشي في غضون شهرين فقط وراء زوجاتنا، حاملين احواضا فولاذية يمكن طيها واكياسا ملؤها اقمطة الطفل المشبعة بالبول ورائحته. ولهذا قلت في نفسي ان من الخير ان تكون التجربة حرية بكل هذه المشقة والعذاب والا...

الآلام المباركة – ولعله من الغريب انني غبطت زوجتي سو – الن حتى على آلامها، ولكن لم اقدر على التصريح بذلك. لقد كنا كل ليلة نتمرن معا كالرياضيين الذين يستعدون لميدان السباق. الا اني كنت ادري انها هي وحدها ستخوض، ذلك السباق، وستفوز بمفردها بذلك الالم الحلو حين تدرك خط النهاية. اما انا فلست سوى المصفق المشجع لها، الممسك بين يديه كأسا من العصير تطفىء عطش العد"ء.

وقع الحدث قبل موعده المرتقب بثلاثة اسابيع وقبل انتهاء دورة "لاميز" بيومين. ففي تمام الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين من صباح احد الايام احسست بقبضة ناعمة على كتفي، فاستيقظت من نومي لاجد سو – الن تحدق الي وعلى وجهها ملامح القلق وتعبير يدل على العزم.

وقلت لها كالمدرب المتمرس: "هيا، باشري التنفس". وما ان انتابتها، النوبة الاولى من اوجاع المخاض حتى هرعت الى مذكرتي وحاولت توقيت تواتر النوبات، فوجدت انها تحدث بانتظام دقيق. ولهذا اتصلت بطبيب التوليد فورا، فأكد لي بصوته الناعس والواثق معا ان الساعة قد أزفت، وان طفلا سيولد. وكنت اريد سماع صوت يقول: "لا تخف يا هذا! فما هو الا مخاض زائف" – لاني شعرت بانه لو ارجىء الحدث اسبوعين آخرين مثلا، لاستطعت ان اكبر وانضج بمقدار يؤهلني للابوة!

دقائق الشوق – وما ان وصلنا الى المستشفى حتى غدت انقباضات المخاض تتواتر كل خمس دقائق. ولكم احسنت سو – الن التصرف اذ تجاوزت تلك المرحلة الاولى من المخاض التي تمتد عادة طوال ثماني ساعات او تسع ساعات، ودخلت مباشرة في قمة المخاض. وسرعان ما اجلسوها على كرسي ذات عجلات وانطلقوا بها بعيدا عني، بينما بقيت انا في ردهة المستشفى لأوقع على بعض الاوراق الرسمية. ولما وصلت الى قسم الولادة اخيرا، قالت لي احدى الممرضات: "انهم يعدونها الان للولادة، ولا يمكنك الدخول. وعليك ان تنتظر عشرين دقيقة".

وانقضت الدقائق العشرون وانا اذرع ردهات المستشفى وقد تملكني

شوق عظيم الى زوجتي· ذلك لان وجودي لم يعد - كما كان يبدو لي في السابق - عديم النفع وغايته التشجيع لا اكثر، بل احسست بان سو - الن بحاجة الي في هذا الوقت·

وأخيرا سمح لي بدخول غرفة الولادة حيث كانت الامور تسير بسرعة فائقة، وسو - الن مستلقية على جنبها وانفاسها تتسارع لاهثة· وللتو الصقت صورة كركدن على الحائط مقابلها لان هذه الصورة ستكون، حسب التدريب السابق، "مركز توجيه نظرها"· وحددت سو - الن نظرها فعلا الى الصورة، بانصياع كلي الى الواجب· غير ان حدقتي عينها اتسعتا أسى وحزنا·

وبعد قليل اطل الطبيب من الباب ببشاشة وهدوء، كانه بائع حليب متجول، وقال بدعابة: "يبدو اننا سنرزق طفلا هذا الصباح"· لكن سو - الن رفعت عينيها عن الصورة لترمقه بنظرة غاضبة· فقد كان ألمها يأبى المؤاساة لانه كان نابعا من مصدر لا يستطيع احد منا ان يلمسه·

وسرعان ما وجدت نفسي واقفا وراء رأس زوجتي، مرتديا المئزر الجراحي الاخضر وممسكا بكتفي سو - الن التي بدأت لتوها عملية دفع الطفل الى الخارج· وكنت اقول لها من خلف قناعي الجراحي ما قاله ذلك الزوج القلق الذي شاهدناه في الفيلم: "تنفسي... تنفسي... اي، نعم، هكذا...".

وصاحت سو - الن: "كم·· كم من الوقت ستستغرق الولادة؟" وكان صوتها آتيا من مصدر وعي قصي لا يدرك· فأجابها الطبيب: "لن يطول الوقت· بضع دفعات اخرى ناجحة فالاخيرة، وسينتهي كل شي"·

ثم صوب الطبيب نظراته، الى انحاء اخرى من الغرفة وراح يهتز على كرسيه الدوارة· وخلت انه لن يلبث طويلا حتى يأخذ بالصفير او الدندنة· لكنه اردف بعد هنيهة: "يمكنني ان احقن ابرة مخدر في اسفل عمودك الفقري، وسينتهي كل شيء للحال!"·

وبرزت على وجه سو - الن مشاعر متضاربة... ما هذا الذي يقدمه لها الطبيب؟ يا له من رجل قاس يتلذذ بالتعذيب· بل يا له من أبليس جاء يغريها بازالة الالم مقابل سلبها الوعي المبارك!

- كلا، كلا، لا أريد· في امكاني ان الد من دون مساعدة·

الى العالم الكبير - وبعد خمس عشرة دقيقة، ابصرنا في صفحة المرآة على الحائط المقابل رأس الوليد مطلا على العالم الخارجي، فصحنا بها جميعا: "ادفعي، ادفعي، ادفعي"· وأخذ العرق يبلل ملابسي·

وفجأة كانت ابنتنا تبكي فوق بطن امها، ولونها في لون الطين وعلى جسمها آثار البيت الذي انهدم من حولها· انها الان لاجئة فقدت ديارها بعدما كانت في الرحم مواطنة كاملة الحقوق، يحيط بها كل ما الفته واطمأنت اليه· وها هي الان في كنفنا، تعتمد اعتمادا مطلقا على استجابات التفاني البشري لها· ونظرت الام الى وليدتها نظرة لم أرها قط على وجهها من قبل· ثم وضعت بين ذراعي، فضممتها الى مئزري الجراحي المبلل عرقا· وسأل الطبيب: "هل للطفلة اسم؟" فأجبته: "مارجوري روز"·

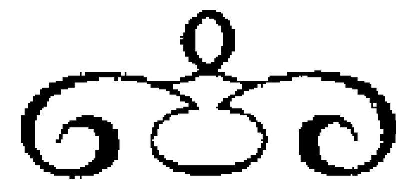
عدت ادراجي بعد ظهر ذلك اليوم الى الدار وتركت سو - الن نائمة في المستشفى، وقد اعتراني شعور بالفخر والنشوة· وكان الهدف من عودتي الى البيت تبديل ملابسي واخراج كلبتنا للتنزه· ولكن ما ان وصلت الى الدار حتى انتابني احساس قوي بان شيئا عزيزا انتزع مني· ونظرت في المرآة الطويلة مليا، فلاحظت ان ملابسي يوم مولد ابنتي لم تكن سوى سروال "بلو جينز" وحذاء مطاطي ابيض وقميص ذي اكمام قصيرة، وهي من نوع الملابس التي ارتديتها طفلا في السابعة من عمري حين اقسمت على الا اصبح راشدا··· وها انا الان اصبحت ! بيد اني، بعد الاغتسال في الحمام، بحثت في خزانة ملابسي عن افضل سروال لدي، وارتديته·

وكان يوم ١٦ مايو (ايار) يوما ملبدا بالغيوم، مشبعا بالرطوبة الخانقة· لكني لم الاحظ الطقس الا من اجلها هي· كما ان كل شيء آخر شاهدته، فانما شاهدته بعيني الرضيعة وبعيني انا، وكأني لم أكبر واتوقف عن ملاحظة الاشياء حولي: مواقف السيارات المشيدة بالاسمنت المسلح، والمنازل المزينة بالالوان، واكمة البلوط في الحديقة العامة، وهذه الكلبة تنهب الارض مطاردة السنجاب نفسه الذي طاردته طوال العام المنصرم، حتى تسلق السنجاب شجرة فعادت الكلبة الي راكضة·

وسرنا في الحديقة العامة معا كأننا كائنان راشدان تماما· وفجأة خطر لي مصطلح ورد في قاموس "لاميز" وهو "الطمس"··· ان شيئا في نفسي طمس الان· ولعل تلك الملابس التي خلعتها هي اهابي العتيق الذي انسلخ الان عن جلدي· لقد غدوت ابا· ولن تمر بضعة ايام حتى يبادر وكلاء شركات التأمين الى الاتصال هاتفيا ليقولوا: "سمعنا يا ستيف ان لديك ابنة الان· مبروك!" ومن ثم ستنهال على بيتنا عينات من مختلف مصانع صابون الاطفال وغيرها· لكن المهم في الامر الان ان كل شيء هادىء، كأنما هو في طور الانتظار···

وركبت سيارتي واتجهت الى المستشفى لانضم الى الشخصين الآخرين من اسرتنا·

■ **ستيفن هاريفان**



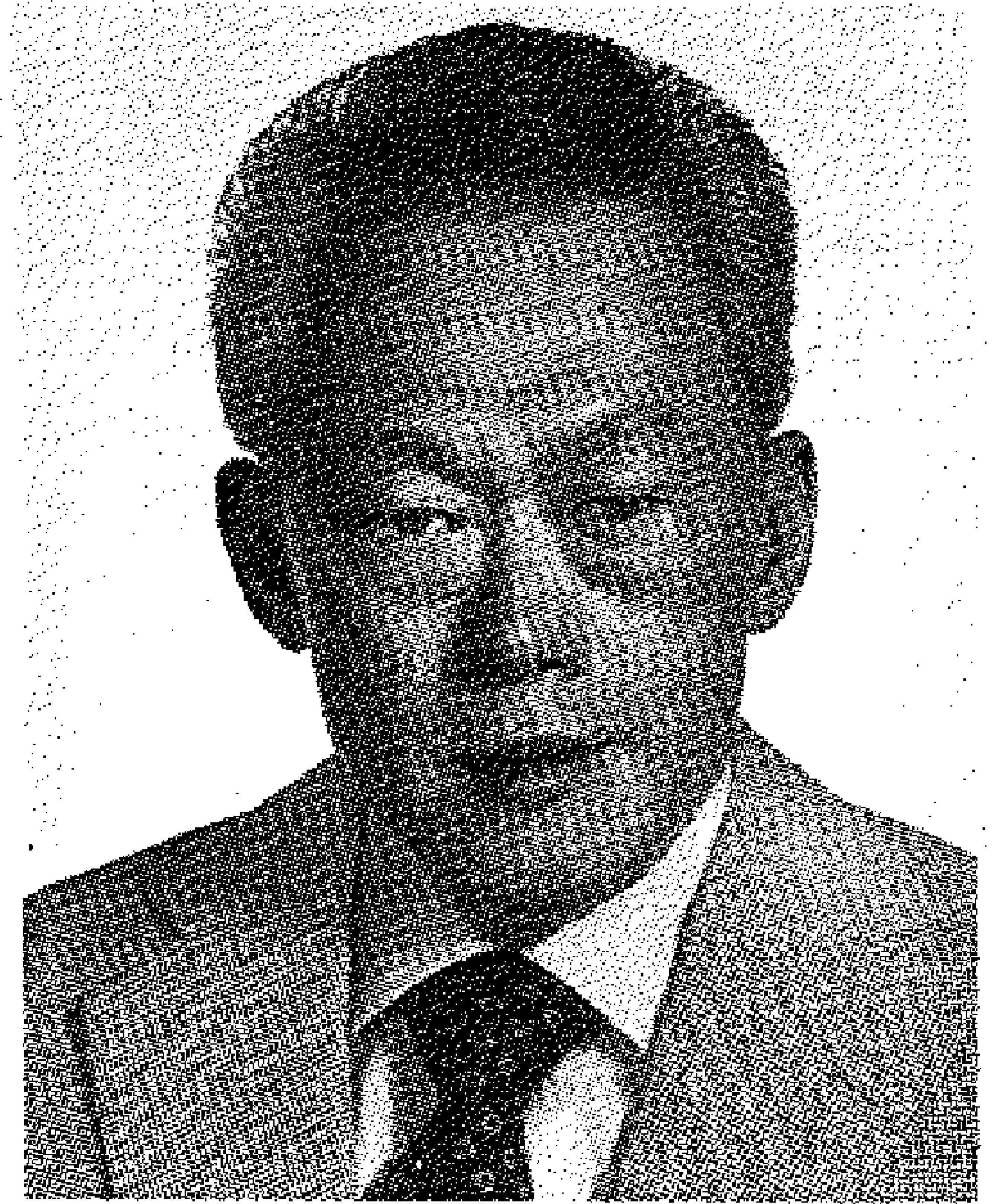
يقول برنارد شو: "للمرأة سبعة اعمار: عمر الرضيع، وعمر الطفلة، وعمر الفتاة، وعمر المرأة الشابة، وعمر المرأة الشابة، وعمر المرأة الشابة، وعمر المرأة الشابة"·

اكتفاء ذاتي·

تلاحظ الروائية ماريز كيرلان ان "الشبان لا يعرفون بالضبط ما يريدون، ولكنهم لا يسمحون لأحد البتة بأن يقترح عليهم أن يريدوا شيئا آخر"·

(مجلة "لو هيريسون"، فرنسا)

سنغافورة: واحة مزدهرة في عالم متخلّف


لي كوان يو

سنغافـــورة هي قصة نجاح كبير في آسيا حيث تمكنت دولة "المدينة الصغيرة" من تحقيق معجزة اقتصادية

ان رسالة الحظ التي يجدها لي كوان يو رئيس وزراء سنغافورة في كل قطعة حلوى يفض غلافها لا تحمل الا كلمة واحدة على الدوام: النجاح. وقد تخرج لي في جامعة كمبريدج في بريطانـيا بـدرجـة "شـرف" فـي القانون، وكانت امنيته ان يصبح رئيس حكومة سنغافورة، وهو ما فعله عام ١٩٥٩ حين بلغ السادسة والثلاثين من عمره. ثم اعلن لـي انـه سيثبـت عمليـا ان الـنظـام غـيـر الشيوعي يمكنه ان يحقق الآمال على نحو افضل كثيرا مما يمكن ان تطمح اليه العقيدة الماركسية.

وكان رأي الكثيرين من المراقبين ان في هذا القول مبالغة مشكوكا فيها. فالجزيرة لا تزيد مساحتها على ٦١٦ كيلومترا مربعا وهي تفتقر الى المواد الطبيعية الى درجة انها تستورد حاجتها من المياه العذبة من ماليزيا المجاورة. وكان عدد سكان سنغافـورة لـدى تولـي لـي رئاسـة الحكومة يتزايد بمعدل مثير للقلق، وكانـت نسبـة البطالـة مرتفـعـة، والاحياء الفقيرة القذرة في الجزيرة تعتبر من اسوأ الاحياء الآسيوسية قاطبة.

ولكن سنغافورة كانت تتمتع بعدد

من المزايا التي تبعث على الامل. مزايا تتمثل في كفاية قادتها واقبال اهلها على العمل الجاد.

ويقول الدكتور جوه كنغ نائب رئيس الوزراء: "لقد ادرك مواطنو سنغافورة ان لا احد غيرهم يتحمل مسؤولية اعالتهم".

وانطلاقا من الاقتناع بان في وسع المبادرة الفردية توفير اعمال ووظائف وثروة تفوق ما يمكن ان تحققه ملكية الدولة للاقتصاد، اتجه لي وحكومته الى البحث عن الاستثمارات الاجنبية. ويحكى انه في السنوات الاولى من هذا الاتجاه كان كلما يرسو في ميناء سنغافورة يخت سياحي يخف اليه موظفو الحكومة ليسألوا صاحبه عما اذا كان يرغب في استثمار بعض ماله في الجزيرة.

وقد ظهرت الآن النتائج بعد قرابة عشرين عاما على تلك البداية. فلسنغافورة اليوم "واحدة من ابرز قصص النجاح في العصر الاقتصادي الحديث". فقد تدفقت عليها اموال الشركات الاجنبية في سيل من التثميرات الصناعية المزدهرة بحجم اربعة مليارات دولار، وهو مبلغ يثير الذهول بالنسبة الى بلد صغير. ولما كانت الجزيرة تتمتع بميناء بحري طبيعي من الدرجة الاولى ذي مياه عميقة فانها لم تلبث ان اصبحت اهم مركز لاستقبال الشحنات العابرة واعادة تصديرها الى الجزء الاكبر من جنوب شرقي آسيا. وقد دخلت الميناء عام ١٩٧٨ اكثر من ٢١٠٠٠ سفينة، ما يجعل سنغافورة ثالث ميناء في العالم من حيث حجم نشاطه، ولا يتفوق عليها في ذلك سوى مرفأي يوكوهاما وروتردام. وهي، الى ذلك، من اكبر مراكز النفط في العالم، اذ تضم خمس مصاف كبرى للتكرير انشئت فيها منذ عام ١٩٦١.

الاكثرية صينية ـ ان اقتصاد سنغافورة قد حقق نموا، على رغم التضخم، تزيد نسبته على خمسة اضعاف، وارتفع متوسط دخل الفرد من سكان الجزيرة، الذين يبلغ عددهم ٢،٣ مليون نسمة الى ما يعادل ٢٧٠٠ دولار امريكي سنويا. وقد توارت الاحياء الفقيرة او كادت، كما ان فرص العمل متوافرة والبطالة لا وجود لها. اما مستوى التقديمات الاجتماعية فلا تتمتع بمثله الا القليل من بلاد العالم.

جزيرة سنغافورة مستعمرة بريطانية سابقة، تقع قرب الطرف الجنوبي الاقصى لجزيرة ملايو، ويربطها بها جسر طوله ١٢٠٠ متر تقريبا، ويشكل الصينيون ٧٦ في المئة من عدد سكان الجزيرة، يليهم اهل الملايو (١٥ في المئة) والهنود (٧ في المئة) فأعداد قليلة من الاوروبيين والخلاسيين. واللغة المشتركة بين الجميع هي الانكليزية.

وقد منح البريطانيون سنغافورة الاستقلال عام ١٩٦٣، واقترع سكانها على اتحاد مع ماليزيا لم يدم سوى عامين عادت سنغافورة بعدهما جمهورية صغيرة مستقلة.

والرئيس لي المولود في سنغافورة عام ١٩٢٣، هو رئيس الوزراء الوحيد الذي عرفته الجزيرة. انه رجل يتمتع

بمواهب نادرة وعزم شديد. وهناك اجماع عام، حتى بين من ينتقدونه، على انه صاحب الفضل الاكبر في ما تتمتع به سنغافورة من رخاء. ومع ان ثمة اجماعا على ان نصيبه من الجاذبية الشخصية لا يمكن ان يستحق درجات عالية، فالرأي الشائع انه متغطرس ومشاكس، كما أن ملامحه متقلصة في ما يبدو انه تعبير دائم عن عدم الرضا. ويقال انه حين رأى صورته للمرة الاولى على شاشة التلفزيون قال: "يا الهي! انني اشبه رجال العصابات".

وكان لي يعتنق افكار الديموقراطية الاجتماعية حين عاد الى سنغافورة عام ١٩٥٠ في وقت كان الحزب الشيوعي السنغافوري بالغ القوة. لذلك عمل على ادخال حزبه المسمى "حزب العمل الشعبي" في تحالف معه. وكان كل من الحزبين يأمل في ان يستغل الآخر لمصلحته. الا ان حزب العمل الشعبي استطاع، مؤيدا من الحزب الشيوعي، احراز نصر ساحق في انتخابات ١٩٥٩ التي جرت لتشكيل حكومة ما قبل الاستقلال. وبعد صراعات سياسية داخلية شديدة، استطاع لي تحطيم الحزب الشيوعي. ويتذكر واحد من اهالي سنغافورة البارزين ذلك: "لقد كان لي هو الديموقراطي الاجتماعي الوحيد في التاريخ الذي ركب النمر الشيوعي من غير ان يصبح في النهاية فريسة له".

فحزب العمل الشعبي يتميز بان تشكيلاته وثيقة التماسك الا ان جميع القرارات فيه تصدر عن القمة. ويصر لي على ان دقة الرقابة وشدة السيطرة امران ضروريان لمنع الشيوعيين من "التسرب" الى الحزب.

ان ادارة مدينة سنغافورة هي من اكثر الادارات كفاية في العالم. فاذا تعطل جهاز الهاتف او ظهرت حفرة في احد الشوارع، فما على المواطنين سوى ابلاغ السلطات التي تسارع الى اصلاحها في اليوم التالي.

ولا يخلو الامر من بعض المنتقدين غير الراضين عن الحال، وان تكن الصحافة والجامعات ونقابات العمال تعلمت كلها احترام رغبات لي. كذلك يشكو بعض المفكرين من ان احضان حزب العمل الشعبي خانقة. غير ان الامر واضح وبسيط، فما كان على الناخبين، كما يقول لهم لي في احيان كثيرة، الا الاقتراع ضده لاخراجه من الحكم اذا لم تعجبهم تصرفاته (موعد الانتخابات المقبلة العام ١٩٨٠) ففي الانتخابات السابقة فاز مرشحو حزب العمل الشعبي بجميع مقاعد البرلمان (٦٩ مقعدا)، وحصل الحزب على ٧٢٫٤ في المئة من مجموع الاصوات.

قضية الشعر الطويل — وقد طبع لي سنغافورة بطابعه في كثير من الامور الصغيرة والكبيرة. وتبلغ سيطرته على شؤون البلاد ان كل قرار، حتى اذا لم يزد على تعديل بسيط في حدود حي في المدينة، لا بد وان يمر بمكتبه. ولي لا يدخن، فالتدخين لا يلقى تشجعيا في اي مكان في سنغافورة، كما يرى ان الشعر الطويل لدى الرجال هو دليل على الكسل والاهمال وتعاطي المخدرات

والتطرف وغير ذلك من الصفات المقيتة، ولذا فانك تجد في مكاتب الحكومة لافتات تقول: "الذكور ذوو الشعر الطويل سيكونون آخر من ينظر في طلباتهم". وهذا التحذير ينفذ بدقة متناهية. وقد نشرت في نهاية عام ١٩٧٧ قائمة بضحايا "الحرب المعلنة" ضد الشعر الطويل: ثلاثة من الموظفين الرسميين فصلوا من عملهم وفرضت غرامات على عشرين وتلقى ٣٢٥ انذارات. وخلال العام نفسه، منع موظفو الهجرة ٦٢٠ رجلا ارخوا شعورهم من دخول البلاد.

وفي سنغافورة تكنس الشوارع يوميا، بناء على اصرار شخصي من لي، ويتم رفع النفايات سبع مرات في الاسبوع. والرجل مغرم بالشعارات واحبها اليه شعار: "لنحفظ سنغافورة نظيفة وخضراء". وهو يقول: "انك لا تستطيع ان تتمتع بالصحة او ان تشعر بالكبرياء اذا كنت تعيش وسط القذارة والاوساخ مع الذباب والبعوض والقمامة والامراض". ولذا فان القاء عقب سيجارة في الشارع معناه دفع غرامة تزيد على ٢٠٠ دولار امريكي.

ان سنغافورة بالنسبة الى المدن الاخرى في المعالم، هي مدينة الامن، اذ لم يحدث فيها خلال عام ١٩٧٧ سوى ٤٢ سرقة مسلحة، وهو عدد يداني عددها في العاصمة الامريكية واشنطن خلال ثلاثة ايام فقط، علما بان عدد سكان واشنطن لا يزيدون على ثلث سكان سنغافورة. وكان البريطانيون يجلدون المجرمين ابان استعمارهم لتلك البلاد التي واصلت تطبيق هذا التدبير بعد الاستقلال. فالذين تثبت ضدهم تهمة السرقة المسلحة يحكم عليهم بالسجن، اضافة الى ست جلدات على الاقل. اما تجار المخدرات فهم معرضون للاعدام شنقا.

والى التسهيلات الضريبية التي تقدمها البلاد النامية الى المستثمرين الاجانب، تلجأ سنغافورة الى اغرائهم بالكفايات البشرية، فبرامج التعليم في الجزيرة موجهة لتخريج اعداد كبيرة من التقنيين ذوي المهارات العالية. وهذه الكفايات البشرية تجتذب بدورها الصناعات المتقدمة التي يحصل المشتغلون فيها على اجور جيدة، ولذلك فان مصانع الجزيرة تنتج الكثير من السلع المتخصصة، مثل المعدات البصرية والهندسية الدقيقة، فضلا عن قطع محركات الطائرات والصواريخ.

وقد اصبحت سنغافورة ايضا مركزا ماليا رئيسيا في جنوب شرقي آسيا، وهي تضم فروعا لخمسة واربعين مصرفا من اهم مصارف العالم الخمسين.

ناقوس يقظ ـ وقد استطاعت سنغافورة، وسط جو من الرخاء هذا، ان تتحكم بالتضخم المالي فلم يزد معدل ارتفاع الاسعار فيها خلال عام ١٩٧٧ على ٣،٢ في المئة علما بان الاسعار كانت انخفضت فعلا بنسبة ٢ في المئة عام ١٩٧٦. ومن اسباب ذلك احداث "مجلس وطني للاجور" يضم ممثلين عن الحكومة وارباب العمل ونقابات العمال ويتولى اصدار توجيهات تقضي بعدم زيادة الاجور الا في الحدود التي تتفق مع زيادة

المعدلات الانتاجية. كما ان الحركة العمالية المتمثلة في "المؤتمر الوطني لنقابات العمال "تملك عشرة مخازن كبرى (سوبر ماركت) للمواد الغذائية تستخدمها كدرع واقية ضد اي زيادات لا مبرر لها في اسعار الارز او غيره من المواد الغذائية.

وكانت الاحياء الفقيرة التي تغص بالسكان، في نهاية فترة الاستعمار تغطي مساحات كبيرة من المدينة يفترش فيها آلاف السكان الارصفة، فلجأت سنغافورة منذ ذلك الحين الى اقامة اكثر من ٣٠٠٠٠٠ وحدة سكنية يقطنها ١،٣ مليون نسمة. وهناك خطط ستنشأ بموجبها قرابة ٥٠٠٠٠ وحدة سكنية اخرى قبل نهاية ١٩٨٠.

ويعيش اليوم ستة من اصل عشرة من اهل سنغافورة في مجمعات سكنية حكومية تتميز بجاذبيتها وحسن صيانتها، وتحتوي على مسابح ومدارس ومراكز تجارية. ونصف هؤلاء يملكون مساكنهم او يسددون اقساط شرائها.

اما وسط المدينة فتقوم فيه مبان حديثة شاهقة يرتفع بعضها الى ٥٢ طبقة وتشكل في مجموعها منظرا رائعا. وتخترق المدينة جنائن خضراء، كما تنتشر فيها المتنزهات الصغيرة. ويزيد من حيوية الجو وبهجته وفرة الاشجار الاستوائية والنخيل والشجيرات المزهرة.

وقد عالجت سنغافورة المشكلة السكانية فيها بجدية لافتة. فما ان يولد الطفل حتى تذهب احدى الممرضات او القابلات لزيارة الام وتشرح لها طرق العناية بالوليد واساليب تنظيم الاسرة. ويتلقى الشباب المتزوجون حديثا دعوات الى محاضرات عامة في تنظيم الاسرة. وهناك شرائح مصورة تعرض على مساحات واسعة من جدارن المباني وتعلن: "خططوا للاسرة ذات الطفلين!".

وتيسر الحكومة عمليات الاجهاض في المستشفيات العامة في مقابل مبلغ يقل عن ثلاثة دولارات امريكية اذ يمكن اجراء العملية في اي وقت خلال الاسابيع الاربعة والعشرين الاولى من فترة الحمل. وتطبق سنغافورة كذلك ما تسميه "الحوافز السلبية" على الاسر الكبيرة العدد، فاذا كانت الاسرة تضم اكثر من طفلين مثلا، حجبت الاولوية عن الاطفال الزائدين لدى الحاقهم بالمدارس الحكومية الجيدة. وقد ادى ذلك الى خفض معدل زيادة السكان الى ١،١ في المئة ويتوقع الخبراء ان يستقر عدد السكان على ما هو قبل عام ٢٠٣٠.

ان سكان سنغافورة يتمتعون برخاء لا يفوقه في شرق آسيا سوى رخاء اليابان. والرعاية الطبية والتعليم حتى المستوى الجامعي متوافران مجانا او في مقابل رسوم ضئيلة. ويتيح برنامج الضمان الاجتماعي الحالي لاهل الجزيرة فرصة التقاعد في الخامسة والخمسين مع التمتع بمدخرات تكفل لهم العيش المريح.

ان سنغافورة ناقوس يقظ يتردد صداه في انحاء العالم الثالث ليفتح عيون شعوبه المتلهفة الى النهوض بمهمة التنمية الوطنية في بلادها.

■ **ديفيد ريد**

كلاريون

رفيقك المفضل على الطرق

اثبت جهاز كلاريون انه جدير بثقتك على الطرق الاشد وعورة وفي الطقس الاشد حرارة. وهو مصمم ليكون سهل التشغيل فيساهم بالتالي في راحتك وامان سيرك. وكلاريون التي اشتهرت بجودة منتجاتها ومتانة ادائها تزودك بمجموعة كبيرة من ستيريوهات السيارات، وكلها سهلة التركيب.
فاختر منها الجهاز الذي يروقك.
كلاريون — يجعل القيادة اكثر متعة.

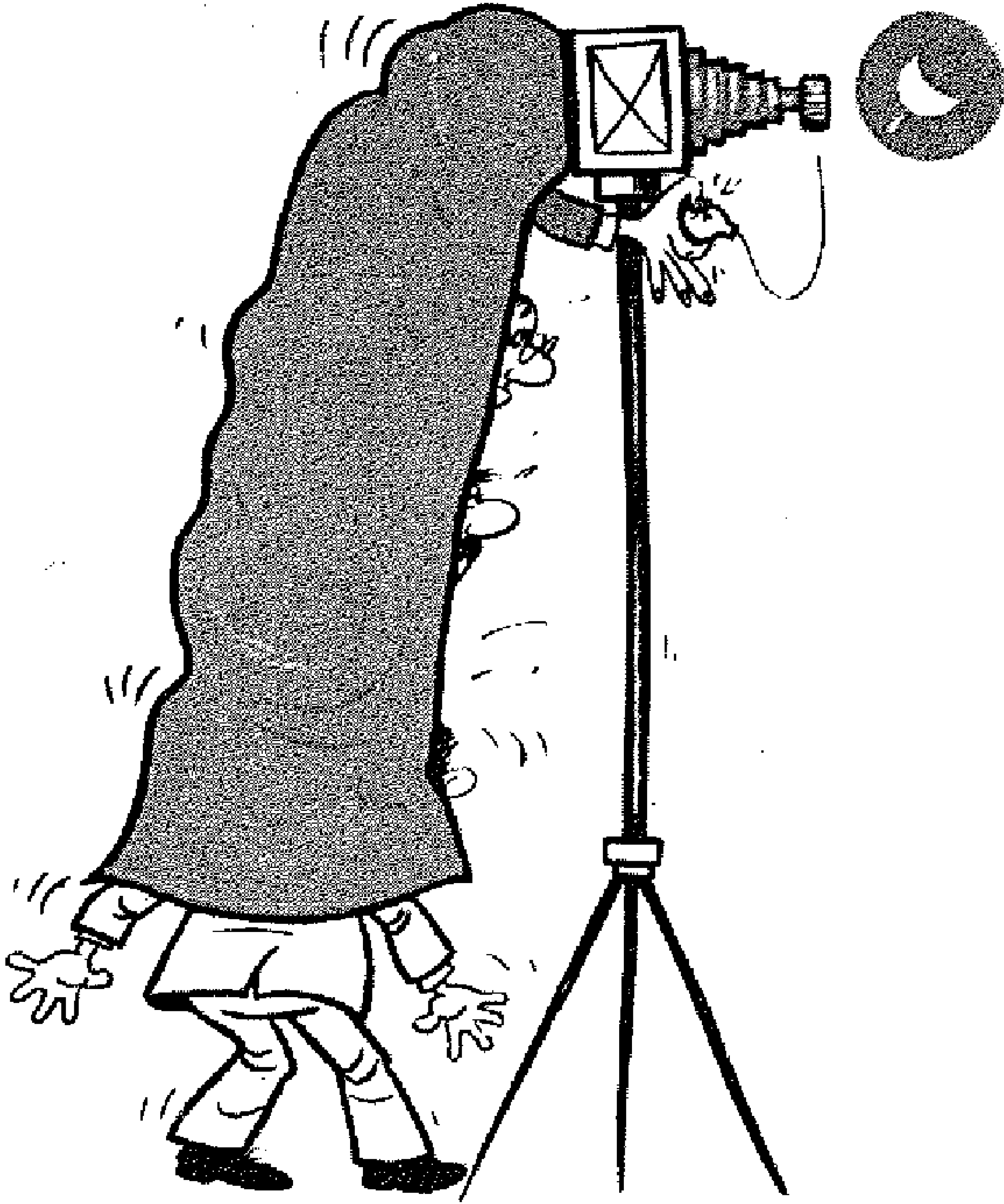


PE-663

Clarion

Clarion Co., Ltd. Tokyo, Japan

صور من الحياة



الشعور بالابوة

في مقابلة صحافية، سئل الرئيس الامريكي جيمي كارتر عما تمثله ابنته آمي ذات الاحد عشر عاما لوالديها في البيت الابيض، فأجاب : "حين ولدت آمي تملكنا احساس ما باستعادة شبابنا . انها رفيقة طيبة، ولكن يمكنها العيش في استقلال كأبنة سياسي .
"وحين ينتابني احيانا شعور بالخيبة وأشك في جدارتي وفي كيفية معالجتي للمشاكل الصعبة، اتوجه الى ردهات السكن في البيت الابيض، حتى ولو كان الوقت متأخرا في الليل، ثم اتوقف لالقي نظرة قصيرة على آمي، وهي تغط في نومها . ان الشعور بالابوة، وان لبضع دقائق، يضفي لمسة من الانسانية على حياتنا" .

ر . س .

افضل من الرئاسة

القى هنري كيسينجر خطابا في مدينة الباني في ولاية نيويورك، قال فيه انه عانى مشكلة اثرت على طموحه السياسي . فالدستور الامريكي يمنع المواطنين الذين لا يحملون الجنسية الامريكية منذ الولادة من تولي منصب رئاسة الجمهورية، وهو المنصب الذي كان وزير الخارجية السابق والالماني المولد "شغوفا بتوليه" على حد تعبيره .
الا ان كيسنجر اضاف: "وبعد بحث دؤوب، وجدت ان ليس في الدستور ما يحول بين الاجنبي المولد وبين منصب امبراطور" .

س . ب . د .

فلسفة العمارة

التقت مجموعة من طلبة تاريخ الفن في جامعة ييل المعماري الامريكي فيليب جونسون لمناقشة فن العمارة . وبعدما طاف بهم جونسون في البيت الزجاجي الذي بناه لنفسه في مدينة نيوكانان في ولاية كونيتيكات، اصطحبهم الى بيت الضيوف المجاور، وكان كله مبنيا بالاجر عدا ثلاث نوافذ شبيهة بكوة الباخرة على احد جانبيه مغطاة بستائر سميكة .
ولم يتمالك احد الطلبة من السؤال باستغراب: "ولكن يا سيد جونسون، الا تتفضل بأن تفسر لنا الاسس الفلسفية والمعمارية التي قادتك الى بناء هذين الهيكلين على هذا الشكل المتضاد: احدهما من الزجاج الخالص والآخر كله من الآجر؟"
فأجاب جونسون: "المسألة بسيطة . فضيوفي يحبون التمتع بحياتهم الخاصة، وكذلك أنا" .

م . ر . ج .

فن الدعاية

روى المخرج المسرحي جوشوا لوغان الحادثة الآتية عن المنتج ديفيد ميريك:
"غداة افتتاح احدى استعراضات ديفيد الموسيقية، اجمع النقاد في مراجعاتهم العنيفة لليلة الاولى من العرض على اعتباره ضعيفا نسبيا. ولدهشة الجميع، ظهر في اليوم التالي اعلان ضخم في الطبعة الاولى من صحيفة "نيويورك هيرالد تريبيون" يقتطف اقوال من بدا انهم كبار نقاد نيويورك وهم يتبارون في اطراء الاستعراض بحماسة.
والغريب في امر ذلك الاعلان ان صور النقاد التي ظهرت الى جانب تعليقاتهم كانت بعيدة تماما عن مظاهرهم الحقيقية. وحقيقة الامر ان ديفيد امسك بدليل الهاتف ووجد اشخاصا يحملون اسماء كبار النقاد ذاتها، مثل جون تشابمان وريتشارد واطس، فدعاهم الى مقابلة تمهيدية وافاض عليهم بكرمه في وليمة عشاء. وابلغهم انهم اذا امتدحوا الاستعراض فستنشر صورهم في الصحيفة الشهيرة.
واعترف ديفيد في ما بعد بالآتي: "كان علي الانتظار سنتين مذ توصلت الى تلك الفكرة لكي انفذها، اذ كان لا بد لتنفيذها من ان يتقاعد ناقد مجلة "تايم" بروكس اتكنسون. فلو بحثت العالم كله، لما وجدت اثنين يحملان اسم بروكس اتكنسون".

كتاب "النجوم والناس وأنا"

اللغز البشري

كان عالم الطبيعيات والانتروبولوجيا الراحل لورين ايسلي ذاهبا الى مكتبه ذات مساء حين خطا بحذائه على بقعة سائل، فتعثر وسقط على وجهه ارضا. وفيما كان ينظر الى بركة الدم القانية التي تشكلت بسرعة اثر جرح بليغ في جبهته، حدث امر غريب يصفه آيسلي كما يأتي:
تمتمت بالم واضطراب: "ارجوكم الا ترحلوا. اعتذر عما حدث". لم اكن اوجه كلماتي الى احد، بل الى جزء مني. وكنت في كامل وعيي، لكن وعيي كان متحررا على نحو عجيب. فقد خاطبت كريات الدم والاقراص الدموية، وكل تلك الاعاجيب الحية السابحة المستقلة التي كانت جزءا مني قبل ان تسببت في موتها نتيجة حماقتي وقلة احترازي. الست مكونا من ملايين هذه المخلوقات الدقيقة التي ارى بعضها يموت كالسمك الملقى على ساحل؟ الست مدينا لجهدها وتضحياتها اذ تهرع الى اصلاح اي نسيج يتشقق في هذا الكائن الضخم الذي بنته بحبها من دون ان تعرف؟ لقد كنت مجرة هذه الكائنات وكونها. ولقد احببتها بوعي للمرة الاولى. وبدا لي عند ذاك، كما يبدو لي اليوم اذ استرجع الامر، ان الضحايا التي تسببت في سقوطها (أعني الكريات) في العالم الذي اعيش فيه لا تقل عما يسببه انفجار كوكب ضخم في الكون.

(كتاب "الكون غير المتوقع")

كذبة تنقلب حقيقة

حيثما حل الظريف جيمس توربر، اشاع جوا من الفكاهة على اللقاء. ويروي دونالد اوغدين ستيوارت الطرفة الآتية عن سهرة قضوها في مقصف "توني" الذي كان يرتاده الكتاب في العشرينات:
"حوالي الثالثة صباحا، شعر توربر بقلق مصدره ان زوجته آلتيا ربما ظنت انه يقضي ليلته مخمورا. فغادرنا متجها الى البيت.
"ولم تنقض ثلاث دقائق حتى عاد الينا وعلى وجهه بريق الانفعال، وهو يعلن: "فيلة.. فيلة تتجه غربا عبر الشارع ٥٢ وقد تشابك شعر ذيلها". فضحكنا لما بدا خيالا بارعا اشاع الحماسة في جلستنا الصاخبة. ولم نغير آراءنا الا بعد تبادر الشك الى ذهن توربر من ان آلتيا لن تصدق هذا العذر منه عن تأخره. فرافقناه الى الباب مودعين. واذا بحلقة من الفيلة تشق طريقها من ساحات سكة حديد نيويورك المركزية الى حدائق ساحة ماديسون حيث كان مقررا افتتاح السيرك يوم الاثنين اللاحق".

ن.س.



عَودة سوبرمَان

نفخت هوليوود انفاس الحياة في احدى اعظم شخصيات مسلسلات الرسوم الهزلية الامريكية فاستحال سوبرمان فيلما ناجحا وصانع أرباح

انه طائر، انه طائرة، انه ... كفاك حديثا! فنحن نعلم انه سوبرمان، ولكن بحق السماء - او قل بحق كوكب كريبتون - ما الذي يفعله الرجل الفولاذي محلقا فوق المركز التجاري الدولي في نيويورك بعد مضي اربعين سنة على ظهوره للمرّة الاولى بين طيات كتب الرسوم الهزلية التي صورته محلقا في سماء امريكا وهي تعاني مضاعفات ازمة الكساد الاقتصادي عام ١٩٣٨؟ الاجابة ببساطة هي: ان على احد المتفوقين ان يتفوق في استدرار النقود! الا توافقون؟

صدر فيلم "سوبرمان"، الذي بلغت كلفته ملايين الدولارات (ويقدرها

البعض بما يراوح بين ٣٥ و٧٨ مليون دولار)، في شهر ديسمبر (كانون الاول) الماضي. ومن المؤمّل ان ينضم الى مصاف الافلام التي تعدّ صانعة أرباح، مثل "ستار وورز" (حروب النجوم) و"دجوز" (الفكّان)، ليحقق مثلهما ارباحا تحتل ارقامها تسع خانات. وقد قطع الفيلم حتى الآن شوطا بعيدا لتحقيق هذه الغاية، على رغم ما كتب عنه من نقد وتقييم يتأرجحان بين التقريظ المفرط والازدراء الجارح. ففي اسبوعه الاول بلغت ارباحه حدا لم يتحقق في اي اسبوع في تاريخ ارباح شركة "وورنر براذرز" الامريكية لصناعة الافلام.

في الطليعة – والاغرب من ذلك ان "سوبرمان" ضرب من ضروب التسلية التي تنتشر بسرعة كالوباء المعدي. فهو متزن على نحو سليم، يؤالف بين الدفء وسرعة الخاطر والمودة والبراعة المدهشة في استخدام المؤثرات البصرية الخاصة وخيال المسلسلات الهزلية وفلسفة "بوب كورن" في ما وراء الطبيعة! وبذلك ابتدع مخرج الفيلم ريتشارد دونر نمطا فذا من انماط التسلية الجماعية، مفعما بالحركة وجديرا بان يحتل الصف الأول في صناعة السينما.

والحقيقة ان قصة سوبرمان ذات ثلاثة اجزاء، لكل منها اسلوبه الخاص ومظهره الفريد وحركته المتميزة. ففي بداية الفيلم يصور المخرج دونر كوكب كريبتون كما تخيله المصمم السينمائي جون باري: كوكبا كرويا بلوري التركيب مثل زجاجة عطر مزخرفة – الا انها في حجم كوكب. ونرى في مستهل القصة احد رجالات كريبتون، ويدعى جور – إل (تمثيل مارلون براندو)، يخاطب اعضاء المجلس الحاكم محاولا اقناعهم بهجر الكوكب لان ديارهم البلورية مهددة بقوى كونية ستهشمها الى ذرات. وقبل لحظات من انفجار الكوكب، يضع جور – إل وزوجته لارا (الممثلة سوزانا يورك) طفلهما الرضيع كال – إل داخل مركبة بلورية في هيئة خوذة لتنطلق به الى كوكب الارض الأمين، بعدما ضمّن بلورات المركبة جميع المعلومات عن الكون الذي سينساب الطفل في مجراته السماوية الى ان يبلغ الارض، فيتلقى علومه الكونية مما تبثه تلك البلورات.

بين الارض والفضاء – ومن الوهج البلوري في فضاء كريبتون، تنتقل بنا الكاميرا في الجزء الثاني من الفيلم الى مشهد شامل لريف كانساس الزراعي في امريكا حيث تحط مركبة الطفل الكوكبية. واذا بالزوجين باكنت (الأب) وماكنت (الام) يقعان على ذلك الطفل الضخم الباسم. وسرعان ما يدركان ان الطفل معجزة غير مألوفة، اذ يجدانه على حين غرّة يرفع بكلتا يديه سيارة الشحن التي كان باكنت مكبا على تبديل احدى عجلاتها. وهكذا ينشأ الصبي الذي سمياه كلارك كنت (الممثل جيف ايست) في بيئة امريكية في وسط الولايات المتحدة. وما ان يتوفى والده الارضي بالتبني حتى يجد نفسه منجذبا نحو القطب الشمالي حيث ينتأ من كتل الجليد امامه جهاز كأنه دماغ الكتروني بلوري من كوكب كريبتون. وتتصدّر الجهاز صورة ضبابية لوالده الحقيقي جور – ال، كان قد بثها في الجهاز قبل انفجار الكوكب. ويتصاعد الشاب كلارك كنت لولبيا عبر الفضاء ليبدأ

دراسات عليا متفوقة تستمر ١٢ سنة.
وفي المرحلة الاخيرة من مراحل الفيلم الثلاث، يحط بنا المخرج دونر وسط مدينة كبرى هي، من دون تورية، مدينة نيويورك ذاتها، حيث نرى كلارك كنت وقد عاد من رحلته الفضائية شابا في الثلاثين (ويلعب الدور في هذه المرحلة كريستوفر ريف، وهو ممثل في السادسة والعشرين من عمره، يبلغ طوله ١٩٣ سنتيمترا). ويبدو، حين ينضم الى اسرة تحرير صحيفة "دايلي بلانيت"، حييا خلوقا، ونراه يتحرك وسط مجتمع وشخصيات تعكس الوانا وهيئات تذكرنا ببراعة فائقة بالرسوم التي ظهرت في المسلسل الهزلي قبل اربعين عاما. فها هو كلارك يوطد علاقته بالفتاة المثيرة لويس (مارغو كيدر) ويعمل مع رئيسة تحرير "دايلي بلانيت" بيري وايت (جاكي كوبر)، الصحافية المندفعة التي تتطلب الكثير من محرري صحيفتها، والصبي المصور جيمي اولسن (مارك ماكلور) ويلتقي المجرم العاتي ليكس لوثور (جين هاكمان) الذي يحاكي الشخصية الجهنمية كما ابرزتها رسوم مسلسل سوبرمان.

خوارق سوبرمان — على ان كلارك كنت يتحول الى السوبرمان المعجزة في الليلة الثانية من وصوله الى نيويورك. فتراه، بعد ان يتدثر بعباءة سوبرمان المعهودة، يطير في الهواء ليحتضن لويس وهي تسقط من طائرة هليكوبتر ارتطمت بقمة مبنى. ثم يمشي عموديا على جدار زجاجي لناطحة سحاب ليلقي القبض على لص متسلق. ويطوق سفينة بمجرميها الهاربين من وجه العدالة، وينقذ هراً لفتاة صغيرة من شجرة، كما ينقذ، في اوج اعماله الخارقة تلك الليلة، طائرة رئيس الولايات المتحدة اذ يحل هو نفسه مكان المحرك الذي انفجر فيها.

بيد ان الفيلم لا يخلو من هفوات، ان في سير حركته او في بنيانه الفني. لكنه، مع ذلك، يبقى الصرح الذي رفعه المخرج دونر مأثرة عظيمة في صناعة الافلام اذ تفادى، بكل براعة وذكاء، معاكسة تيار اللامعقولية في ظاهرة مثل سوبرمان. بل ترى المخرج يتعمد السير الى جانب هذا التيار. وهو يقول في هذا الصدد: "لم نشأ ان نفقد الاطار العام للمسلسل الهزلي كما ظهر في الرسوم لكني لم ارد كذلك ان اسخر منه فاجعل الفيلم محاكاة تهكمية".

ويؤكد على هذه الناحية روبرت بنتون، وهو كاتب سيناريو، في قوله: "لم يكن خيارنا ان نسخر من سوبرمان المعهود ومغامراته. لكن الذي اسر اهتمامنا هو ذلك الحب المثلث الاطراف في سوبرمان، حيث نجد ان طرفين من الثلاثة هما شخص واحد".

اما الكاتب الامريكي جولز فايفر فيرى، في تحليله اللامع للفيلم، ان قصة الحب ليست كالمثلث، وانما هي قصة "انفصام وعفة بين شخصيات ثلاث". ويمضي فايفر قائلا: "كلارك كنت الرجل يريد لويس. اما كلارك كنت السوبرمان فلا يريدها. وفي ذلك ما يحدد الفرق بين المخنث والرجل. فالمخنث يحب ان تهزأ به الفتيات، اما الرجل فهو الذي يهزأ بالفتيات اللائي يردنه".

العاشق — ومن العناصر الفاتنة التي يعتمدها المخرج دونر ذلك الاسلوب الذي يرأب فيه من ناحية انفصام

الشخصية ويصدع من ناحية اخرى- ولكن بغاية الرقة واللطف - تلك العفة في الحب الثلاثي. ويبرز الممثل ريف في ادائه دور كلارك كنت رجلا عاديا من ابناء البشر، يتلعثم في حديثه ويرتبك في حركاته من دون ان يكون مخنثا، بينما يبرز، من حيث هو سوبرمان، كائنا فوق البشر، وهذا يسبب لسوبرمان الما حادا حين يدرك انه متيم بحب لويس.

ولكن ما الذي يستطيع فعله كائن متفوق من كوكب كريبتون، ضخم التركيب، مع فتاة من بنات حواء ذات تركيب ضئيل؟

ان ما يفعله هو ان يأخذها في رحلة جوية شاعرية جميلة فوق ابراج نيويورك وجسورها، ثم يعود بها الى شرفة دارها في مشهد من ابدع مشاهد الفيلم وألمعها، حيث نراه يودعها ويطير الى السماء التي عادت لويس منها لتوّها وقد اسكرتها خمرة الحب. واذ تتسلط عدسة الكاميرا عليها وهي تمشي الى داخل شقتها من دون اي قطع في الفيلم، نسمع طرقا على الباب، ثم نرى الممثل ريف داخلا من جديد، ولكن بشخصية كلارك كنت البشرية وبنظارتيه المستديرتين وسترته الدكناء المعهودة، ليذكر لويس بانه على موعد معها! ان في هذا المشهد خدعة فنية مدهشة تؤكد على الجانب العذب والمضحك معا لهذا الحب الذي يكنه تجاه لويس شخصان هما، في الحقيقة، رجل واحد.

رقص في الجو ـ قلنا آنفا ان الفيلم متميز بمؤثراته البصرية المدهشة. ويعزو كولن تشيلفرز، كبير مخرجي المؤثرات السينمائية البريطاني، الفضل في تمكين الممثل كريس ريف من الطيران، الى زميليه ديريك ميدينغز وروي فيلد لما ابتكراه من اجهزة معقدة من نوع الاسلاك والبكرات والسكك التي تعتمد نظام الدورة المائية، وهو ابتكار يتجاوز تجاوزا كبيرا ما استحدث في فيلم "بيتر بان" من اجل ماري مارتن. وقد لجأ مخرجو المؤثرات البصرية في "سوبرمان" ايضا الى وصل عمود يبلغ طوله أربعة امتار بالممثل ريف في عدد من مشاهد طيرانه، خصوصا مع حبيبته لويس في ذلك المشهد الذي يقرب من رقص الباليه في الجو. لكنهم استخدموا عمودا أقصر كثيرا في اللقطات المأخوذة على مسافة قريبة. على ان احب مشاهد طيرانه الى تشيلفرز هو ذاك الذي يحلق فيه سوبرمان فوق مبنى "دايلي بلانيت" اثر انقاذه لويس من حادث طائرة الهليكوبتر حين يبدأ سلسلة من التشقلب والغوص والصعود والانقضاض في الهواء كطيار ماهر جريء اثملته بهجته في القدرة على الطيران. ويقول جون باري في هذا الصدد:

"ان لكريس ريف اعصابا من الفولاذ، اذ كان فعلا معلقا في بعض الاحيان على ارتفاع ستين مترا في الهواء. لكنه، بعد علو ١٥ مترا، لم يعد يكترث لبعد مسافته عن الارض. وظل محافظا على رباطة جأشه حتى في تينك المناسبتين اللتين اقترب فيهما من الطيران الفعلي. بجسمه، وهذا امر لم يطق احتماله اي انسان اخر من قبل.

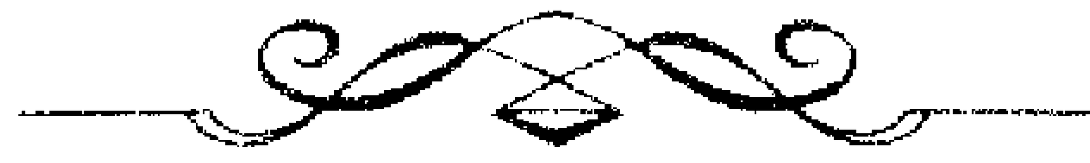
لكن جيري سيغل وجو شاستر، اللذين ابتكرا شخصية سوبرمان قبل ٤٥ عاما، لم "يحلقا" مطلقا الى علو ريف، نظرا الى انهما وقعا عقدا عاديا

مع شركة "دي· سي· كوميكس" لنشر الرسوم الهزلية، فقدا بموجبه جميع حقوقهما بالنشر واصبحا مجرد موظفين تابعين للشركة· على ان قسم الاتصالات والمراسلات التابع لشركة "وورنر براذرز" منحهما، بفضل ضغوط الرسائل والالتماسات المؤثرة، دخلا سنويا على مدى الحياة مقداره ٢٠ الف دولار لكل منهما، فضلا عن تأمين الخدمات الطبية· ويقول سيغل من وراء نظارتيه الكبيرتين، وهو الذي كان نموذجا لشخصية كلارك كنت الحيي: "الامر الوحيد المؤسف هو اني وزميلي جو لن نحصل على شيء من ارباح الفيلم"·

سوبرمان ٢ – وتخامر جو شوستر ردود فعل مختلطة اذ يقول: "اني سعيد بالفيلم، وأظن ان كريس ريف يضفي على الشخصية مسحة ملائمة من الفكاهة· وهو، في نظري، سوبرمان حقيقي· غير اني، بعد كل هذه الاعوام التي····" وتضيع كلماته مع وهن صوته·

وبينما يواصل فيلم "سوبرمان" صعوده في عالم الارباح، وصل التصوير في فيلم "سوبرمان – ٣" الى منتصف الطريق· ويبدو ان النية متجهة في هذا الفيلم اللاحق الى جعل سوبرمان يتخلى عن تفوقه على البشر ويتقبل الضعف الانساني ثمنا لحبه لويس لين، فتجيء تضحيته تمجيدا للبطولة والبراءة· ويبلغ التناقض في شخصية الرجل الفولاذي ذروته حين ينزع عن نفسه سمات تفوق السوبرمان ليصبح كائنا من لحم ودم لا طاقة له على التحليق بقفزة واحدة فوق ناطحات السحاب·

■ جاك كرول



واحدة بواحدة

حين شن الحزب الشيوعي المجري حملة لاقناع الناس بتفوق الطب السوفييتي، أثار هذا الاطراء المبالغ فيه سلسلة من الطرائف، كانت احداها حين زار طبيب عيون سوفييتي شهير بودابست والقى محاضرة جاء فيها:

"في موسكو كانت سيدة تنظف سمكة بسكين حين انزلق السكين من يدها واصاب عينها· ولحسن الحظ، كان احد مشاهير جراحي العيون السوفييت حاضرا، فنهض على الفور وأبدل عينها باحدى عيني السمكة· وبعد بضعة ايام أصبحت المرأة تبصر من دون اي مشاكل، بعدما كانت تستعين سابقا بنظارتين··· هل هناك اسئلة؟"·

وهنا نهض طبيب مجري وعلق بالآتي: "هذا انجاز مذهل حقا· لكن امراً مشابها حدث في المقاطعة التي اعمل فيها· فقد فقدت احدى العاملات في حقل لانتاج الالبان اربع اصابع في ماكينة لدرس الحنطة· وصدف ان كان هناك طبيب ريفي، لا جراح شهير، فقطع على الفور ضرع بقرة وزرعه في يدها· ولم يمض وقت طويل حتى غدت هذه الفتاة عازفة بيانو شهيرة· ثم انها صارت تتغذى على ما تنتجه يدها من حليب، فضلا عن مساهمتها في تزويد اقتصادنا الاشتراكي بثلاثة غالونات من الحليب يوميا"·

وانفعل المحاضر الروسي وسأل: "هل شاهد أحد هذا الحادث؟" فأجاب الطبيب المجري: "نعم، المرأة ذات عين السمكة"·

الطبيب زولتان كوفاكس

تغلّبْ على الغضبِ قبْل أن يغلبك

السيطرة على الغضب تبدأ بالاعتراف بانه امر طبيعي... ثم استغلاله من اجل خيرنا. هنا أربع نصائح عملية في هذا الصدد

■ هنري و.، مدير تنفيذي لاحدى الشركات، وجد ميتا في سيارته نتيجة تسممه بغاز اول اوكسيد الكربون بعدما سمع بان شركته الصغيرة ستندمج في شركة عملاقة متحدة وانه سيفصل من عمله.

■ ريتا ب.، ربة بيت، اصيبت بفتور عندما رضخت على مضض لرأي زوجها في الانتقال الى مزرعة صغيرة، علما بأنها كانت سعيدة جدا في شقتهما السكنية في المدينة.

■ فريد س.، معلم مدرسة، قاسى ارتفاعا في ضغط الدم وصداعا نصفيا متكررا حين عمد مدير المدرسة، الجديد في العامين الاخيرين الى وضع اكثر التلاميذ مشاكسة وعنادا في صفه.

هؤلاء الاشخاص الثلاثة - على تباينهم - يشتركون في مشكلة واحدة هي الغضب. وقد كانوا، على غرار عدد كبير منا، لا يقرون صراحة بمشاعر الغضب لديهم ولا يفسحون

لانفسهم مجالا للتعبير عنها على نحو سليم· لذلك كانت النتائج مؤسفة وغير ضرورية اطلاقا·

دوافع غير واعية ـ ان علماء النفس يدركون الان ان كل شخص، دونما استثناء، عرضة للغضب· لكن الاسلوب الذي يتدبر به المرء أمر غضبه.هو الفاصل بين المرض والصحة، وبين التخريب الهدام والعمل البناء، وبين السعادة واليأس· وعلينا ان نعلم بادىء الامر - وهذه نقطة مهمة في الموضوع - أننا غاضبون، لان الغيظ المكبوت وغير المعترف به قد يؤذينا ويضر كذلك بالذين نحبهم· والواقع الجلي ان عددا كبيرا من الناس لا يعرف كيف يتدبر الغضب تدبرا صحيحا· وهذا مثل على ذلك:

عالجت قبل سنوات عدة مريضا في مستهل العشرينات من عمره، اعتدى على اكثر من عشرين شخصا قبل القاء القبض عليه واحالته الى المعالجة· والغريب ان زملاءه في العمل توسموا فيه هدوء الطبع وقلة التذمر وحسن تفهم الآخرين، بل انه هو نفسه انكر ان يكون في يوم من الايام غضب على شخص آخر· ولم يدرك مدى غضبه المكبوت الا بعدما احيل الى المعالجة، فتبين انه كان غاضبا لكون أبيه قاسي الطبع لا يرحم ولكون امه استغلالية الى حد مفرط· لكن ذلك الشاب سرعان ما تعلم كيف ينتهج سبلا اقل ضررا للتفريج عن غضبه· وقد قال هو نفسه عند انتهاء فترة معالجته: "اعلم الان ان الرجل الحق هو ذاك الذي يتدبر مشكلاته بلا قتال"·

اخطار الغضب ـ ان الغضب المكبوت قد يؤدي احيانا الى تدمير سعادة الآخرين بطرق خفية وحاذقة، كأن تلجأ المرأة الغضوب الى التعبير عن عدوانيتها في كثير من الاحيان بجعل الآخرين ينتظرونها وقتا طويلا وهم على موعد معها، او ان يلجأ رجل الاعمال الذي لا يطيق اللياقات الاجتماعية، الى النوم لدى زيارة الآخرين، بينما ترتبك زوجته خجلا· وخذ مثلا آخر على الذي يحدث عندما تأنف ربة البيت من اقامة حفلات العشاء لزملاء زوجها· فانا اعرف امرأة تنجح في افساد حفلات من هذا النوع، اما بحرق اللحم المشوي واما بدلق القهوة على رئيس زوجها·

وقد اثبت علماء السلوك البشري اخيرا ان الغضب، من ناحية اخرى، قد يلعب دورا اكثر خطرا مما كان معروفا من قبل، وذلك في حوادث الاصطدامات التي نردها الى "القضاء والقدر"· وقد كشفت احدى الدراسات العلمية عن ادلة على مشاعر الغضب لدى مجموعة من السائقين كانت طرفا في وقوع اصطدامات خطرة ادت الى وفاة بعض المصابين· ولدى دراسة مجموعة اخرى من السائقين الذين لم يتعرضوا لحوادث خطرة من هذا القبيل، تبين ان مقدار الغضب لديهم كان اقل كثيرا·

والغريب في الامر، انك حين تكون غاضبا - من دون وعي او ادراك لغضبك - فأنك غالبا ما تشعر بالقلق، مثلا، بدل الغضب· وكثير من الاطباء باتوا مقتنعين بان الغضب المكبوت هو ايضا عامل مهم من عوامل ظهور اعراض مرضية مثل قرحة المعدة والتهاب غشاء القولون المخاطي

وارتفاع ضغط الدم وصداع نصف الرأس. واتضح لدى دراسة مجموعة من الاطفال المصابين بذات القولون التقرحي انهم كانوا جميعا يواجهون مشكلة التعبير عن الضغب. وهكذا نرى ان حالات كثيرة من المرض تنتج لا مما يأكله المرء، ولكن من العوامل التي تتناهشه.

وما دامت خيبة الامل وما يتمخض عنها من غضب امرا يتعذر تلافيه، فمن المهم، لسلامتك الجسدية والنفسية، ان تعرف كيف تسخر هذه الطاقة الهائلة على الغضب لكي تعمل من اجلك عوضا عن عملها لتقصير اجلك. وهنا بعض النصائح التي تساعدك للسيطرة على الغضب والتحكم به كيما تحقق اهدافك بالطرق السليمة:

١ - اعترف بان الغضب امر طبيعي.

قبل وقت ابلغني رجل في اواسط العمر انه وقف مرة في صف طويل من السيارات ينتظر دورة امام محطة بنزين. وبعد فترة خالها دهرا، قال له عامل المحطة ان البنزين نفد! ومضى الرجي يقول: "لقد بلغ بي الحنق اني فقدت زمام نفسي، فخرجت من السيارة ورحت اصرخ بأعلى صوتي كالمعتوه. واني لعلى يقين من ان بي علة مخيفة".

علينا ان ندرك ان تصرفات ذلك الرجل، وان لم تكن بناءة، انما هي ناتجة عن مشاعر طبيعية تماما لان الخيبة - اي اخفاق سعينا الى امر او شيء معين - هي "أم" الغضب كما يرى علماء النفس. لذلك يتوجب علينا، ما دمنا بشرا، ان نتقبل غضبنا في بعض الاوقات.

الا انه يعسر علينا، في كثير من الاحيان، ان نتقبل غضبنا على اولئك الذين نحبهم. وتجدر الاشارة الى اني عالجت في عيادتي اخيرا اما شابة كانت، قبل ولادة طفلها، سكرتيرة قانونية ناجحة. وحاولت لسنوات تكليل سعادتها الزوجيةبطفل من دون ان تنجح. وحين ولدت اخيرا صبيا يتمتع بصحةممتازة، بدأت تشعر بالقنوط والقلق والحزن بدل ان تفرح بوليدها. وقالت لي: "اني، ولا شك، مخلوقة شريرة الى حد انيفكرت في ايذاء طفلي!"

وقد ادركت تلك الام بعد جلسات عيادية متكررة، ان غضبها على طفلها - كحبها له - شعور طبيعي. فقد عنى وصول "تلك الباقة من البهجة" - اذا صح التكلم هكذا عن الطفل - ان تتخلى الام عن وظيفتها المهمة وان تتقيد دائما بوليدها. ولكن ما ان تقبلت حقيقة كون بعض مشاعر الاستياء امورا طبيعية معتادة حتى انقشعت تعاستها وتلاشت.

٢ - اكتشف سبب غضبك.

غالبا ما نصب جام غضبنا على غير الشخص المعني ولغير السبب الاصلي وفي الوقت غير المناسب. وترى ان الاشخاص الذين يتحاملون على غيرهم ليسوا، في كثير من الاحيان، سوى اناس تعساء في حقيقة انفسهم وغاضبين لا يجرؤون على مجابهة اسباب غضبهم وخيبتهم مما يجعلهم "يتجنون" على الآخرين. لذلك، ففي المعرفة الدقيقة لمصدر الخلاف الحقيقي ما يحول دون وقوع العواقب الوخيمة. ولاضرب مثلا على ذلك:

هناك معلمة اوكلت الي مهمة

ارشادها بعدما اصبحت تعرف في مدرستها باسم "الصارخة" لكثرة صياحها. وكان طلاب صفها الثالث الابتدائي يرتعدون خوفا من تصرفاتها. وتبين لي، بعد بضع جلسات معها، ان تصرفها كان مجرد انعكاس للغضب الذي كتمته ازاء التزامها بخدمة والدها المسن الخرف من غير مساعدة احد من الناس. ولما كانت انثى - وعزباء ايضا - فقد اوكل اخوتها، الثلاثة الاكبر منها سنا مهمة العناية بوالدهم الخرف المشاكس اليها. وحين ادركت المعلمة مصدر غضبها الحقيقي، واجهت اخوتها بصراحة تامة. وما ان بدأ اخوتها يشاركونها مشقة العناية بالوالد حتى اخذ شعورها بالحاجة الى معاقبة تلاميذها يتوارى.

٣ - لا تدع الغضب يتراكم.

كثيرون هم اولئك الذين ينسحبون من ساحة الخلاف بصمت عدائي. على ان التعبير عن الغضب بالكلمات قد يفرج عن الكربة، وربما انهى الخلاف. وغالبا ما يعلم الآباء الناجحون اولادهم - عن طريق المثل الحي عادة - كيف يعبرون عن التوتر باسلوب صريح ومباشر دونما لجوء الى العنف. فترى الاولاد يتعلمون ان التنفيس عن الغضب فورا يمكن ان يلطف الجو فيعقبه - كما يعقب العاصفة الرعدية في الصيف - انس وود وهدوء.

واذكر اني بدأت قبل حين بمعالجة رجل شديد القنوط فقد قدرته على العمل فقدا متزايدا على مر الايام. وتبين لي ان مشكلته نجمت عن فتور علاقته برئيسه الشاب الذي كان يستخف بآراء هذا الرجل المتقدم في السن اما بابتسامة ترفع واما برفض قاطع. وهكذا بدأ الرجل، من فرط غيظه ينطوي على نفسه حتى غدا قانطا ومتجهما وسلبيا.

وبعد الحاح مستمر، قبل الرجل ان يواجه رئيسه لمناقشة الامر بينهما بهدوء وصراحة. وأعرب عن تظلماته لرئيس عمله من دون مرارة. ولحسن الحظ، بدأ ذلك الرئيس الشاب بتفهم وضع موظفه المتقدم في السن، وراح يعامله باحترام جديد وقد ذكرتني تجربة هذا الرجل بالحقيقة التي عبرت عنها قصيدة للشاعر الانكليزي وليم بليك:

"كنت مع الصديق غاضبا،
وتحدثت عن غيظي فمات الغيظ في.
كنت مع العدو غاضبا،
وما تحدثت عنه فنما الغيظ في".

ان الغضب كالقنبلة الموقوتة: في امكانه اذا لم يتوافر له حل او يبطل مفعوله - ان يدمر العلاقات وحياة الافراد، وحتى الاسر بكاملها.

٤ - تخلص بالعمل من الغضب.

لقد ساعدت نار الغضب في تحقيق قضايا عدة، كبيرة وصغيرة ومن ذا الذي يقدر على ان يصرخ في وجه الظلم بلا غضب؟

ولعل في قصة الطالب الجامعي الامريكي كليفورد بيرز، التي تعود الى مطلع هذا القرن، ايضاحا لما نعنيه. لقد اصيب بيرز بمرض نفسي حاد. واستاء كثيرا وتألم من طريقة العناية الساذجة البدائية التي تلقاها، فدون بحرص كل ما لحقه من ظلم واهانة. وانطلق، فور شفائه، للعمل

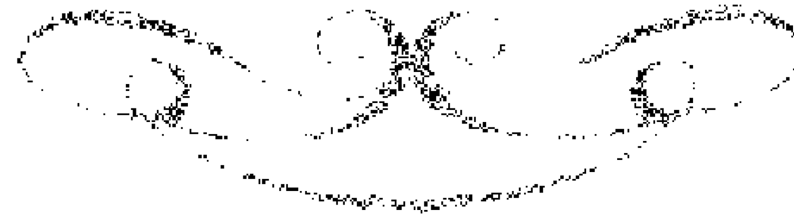
على انشاء عدد من المنظمات التي تعنى بالامراض النفسية والعقلية. وافضت مناشداته الغاضبة القوية اللهجة للهيئات التشريعية عبر الولايات المتحدة الى وضع ضمانات جديدة ضد المعاملة القاسية لجيل جديد من الافراد الذين يصابون بأمراض نفسية.

اما اذا تعذرت سبل التعبير عن الغضب فالحاجة تدعو الى وجود منافذ اخرى. وينبغي، في هذه الحال، ان ينغمس المرء انغماسا عميقا في هواية ما، لان مثل هذا الانخراط ينطوي على قيمة لا تقدر. وربما كان في اعمال كتقطيع الاخشاب او تزيين المنزل وطلائه بالالوان او تعشيب البستان وما شابهها، فائدة جلى للتخلص من التوتر واستعادة القدرة على رؤية الاشياء في ابعادها الصحيحة.

لذلك، لا تدع الغضب يلتهمك التهاما، بل جد وسيلة تستخدم بها تلك الطاقة التي يفجرها الغضب، فلعلها تكون اداة لتحسين اوضاعك ولفائدتك في شتى النشاطات البناءة.

■ **دانيال شوغرمان**

دكتور في علم النفس وطبيب نفسي ممارس في مستشفى سانت جوزيف في مدينة باترسون (ولاية نيوجيرسي الامريكية).



انقاذ عبر الهاتف

يقدم مكتب المساعدات التابع للكنيسة الانجيلية في المانيا الغربية خدمات استشارية عبر الهاتف لتهدئة الاشخاص الذين يفكرون في الاقدام على الانتحار. لكن هذا المكتب يتلقى مرتين في السنة نداءات حزينة ذات طابع استثنائي، مصدرها الطلبة الراسبون الذين يخشون العودة الى بيوتهم بعد حصولهم على نتائج الامتحانات. ويتولى المتطوعون الذين يردون على النداءات بث الثقة في نفوس التلاميذ اليائسين، وكذلك في نفوس آبائهم احيانا.

("نشرة الاعلام البروتستانتي")

حكم خبير

عصب تاجر الخمور عينيه وأخذ يظهر مهارته الفائقة في التعرف على انواع النبيذ. وعلى رغم توالي الكؤوس التي قدمت اليه، لم يجد صعوبة في تحديد نوع الخمر بمجرد رشف القليل منه. وبعدما اختبر عشرين نوعا من النبيذ، دُس بين الكؤوس قدح ماء. فرشف قليلا منه، وقطب جبينه ثم رشف ثانية وأخيرا هز رأسه وقال: "ايها السادة، لقد هزمت للمرة الاولى في حياتي. اني لا اعرف هذا الشيء ولم اذقه من قبل قط".

وبعد فترة من الانقباض، ابتسم بكبرياء وقال: "لكني اؤكد لكم شيئا واحدا: ان هذا المشروب لن يعرف الرواج".

س.ر.ب.



تأملات معاصرة

موقفان من الحياة

اعتدت قبل سنوات ان اراقب سائقي الحافلات الكهربائية على خط شارع انديانا في مدينة شيكاغو، وهو شارع تجده في الغالب مختنقا بالسيارات الواقفة فيه بغير نظام وبالشاحنات الضخمة التي تعترض العربات، وكان بعض سائقي العربات يثورون غضبا ويطلقون العنان للمنبهات ويتبادلون الصياح مع سائقي السيارات الاخرى فينتهون من عملهم هائجين محطمي الاعصاب، مما يهدد حياتهم العائلية بالخطر. لكن بعض السائقين الآخرين كانوا يؤخرون الانتظار بضع دقائق من دون ان ينفد صبرهم، فتجدهم يصفرون لحنا بهدوء او يقلمون اظافرهم او يدونون ملاحظاتهم. وهكذا، في مواجهة الظروف الموضوعية ذاتها، تجد من يعيش حياة مشحونة بالانفعالات والتوتر العصبي، بينما يتمتع آخرون بعمل مريح يؤمن لهم الكثير من الوقت للراحة.

س. هاياكاوا (شيخ امريكي)

تعريف المشكلة

قال الرجل الابيض لواحد من الاسكيمو اسمه تاغونا: "يسعدنا ان تكون اول من يرسم كاهنا من ابناء شعبك، اذ يمكنك الان ان تساعدنا على حل مشاكلهم".
فسأل تاغونا "ولكن ما المشكلة؟" فاجاب الآخر "لو امسكت بك من عقبي قدميك وتركتك معلقا خارج نافذة في الطابق الثالث، فستواجه عند ذاك مشكلة".
وفكر تاغونا مليا في الامر وقال بعد برهة: "لا اظن ذلك. فلو انقذتني لكان ذلك خيرا على خير، ولو تركتني اسقط فلا بأس، اذ ستواجه انت مشكلة.

م.ك.

الله لا يريد البؤس

ليس صعبا ان تعظ الفقراء بضرورة تقبل بؤسهم باعتباره ارادة الله حين تنعم بملابس تقيك البرد وبوفرة في الغذاء وبعناية طبية ومنزل تأوي اليه من دون ان تقلقك مشاكل الايجار. ولكن اذا اردت ان يؤمن الفقراء بما تقول، فحاول ان تشاركهم بعضا من بؤسهم، واخبرنا بعد ذلك اذا اقتنعت انت بان تلك هي ارادة الله.

اللاهوتي توماس ميرتون

اقتراح عربي لانهاء الحروب

مرة قدم سفير المملكة العربية السعودية الراحل الى الامم المتحدة جميل بارودي مجموعة اقتراحات لانهاء الحروب في العالم، اعترف بانها غير عملية، وهي الآتية:
يجب ان يعفى الرجال الذين هم دون الخامسة والثلاثين من الخدمة العسكرية، وان تكون سن المحارب ٤٥ على الاقل. وفي حال تعذر هذه الطريقة، يجب الا تبدأ الحرب الا بموافقة الامهات.

ل.ت.

شهرة سكوتلانديارد باتت عالمية. وايا يكن اوان الحادث الطارىء، ليلا او نهارا، فأن الجهاز الخاص في سكوتلانديارد يكون مستعدا على الدوام للتحرك فورا. رجال هذا الجهاز اشداء وذوو مهارة فائقة. انهم يضربون بسرعة كأفعى الكوبرا (الصل) التي اتخذوها شعارا لهم

أفعى سكوتلانديارد

الساعة التاسعة صباحا في شمال لندن. كل شيء ينذر بحدوث مشاكل. تشابتررود، في هذا الصباح من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٧ تعج بالصخب. ففيها ٨٠٠٠ محرض على الاضراب على نحو غير رسمي، وهم يرددون اناشيد خارج معمل لتحميض الصور حيث ينشب خلاف صناعي. وبصفتي صحافيا تقرر له ان يقضي اسابيع عدة مع الجهاز الخاص السريع الحركة في سكوتلانديارد، فقد كنت داخل احدى سيارات الجهاز الزرق الدكناء الواقفة في شارع جانبي مجاور.

كنا ننتظر ونصغي في آن الى ضجيج الجماهير وهو يتزايد. وفي الساعة التاسعة والربع لمعت اشارة، وهي الاشارة التي تسبق العمل مباشرة، او يعقبها الانفجار. رجال الشرطة الذين كانوا يحاولون السيطرة على الوضع يجدون انفسهم فجأة عاجزين عن صد موجة من المتظاهرين المضربين المتدفقين عبر تشابتررود لسد الطريق امام العمال الذين سلكوا هذه الطريق الى المعمل.

في مثل هذه الحال يتعين على رجال الشرطة، بصفتهم حماة القانون، القيام بواجبهم بابقاء الطريق مفتوحة. وحين تكون الهتافات السفيهة هي الرد على طلب الشرطة ابقاء الطريق مفتوحة، يدعى رجال الجهاز الخاص الى التحرك

والعمل فتتحول سياراتنا الناقلة الاثنتا عشرة الى تشابترrود· ويقول لي ضابط في الجهاز: "الشيء الوحيد الاكيد عن وضع عام كهذا هو انه غير ثابت"·

رحت اراقب اعضاء الجهاز ببزاتهم العادية وبخوذهم الفولاذية وهم ينزلون من السيارات بسرعة· مرة اخرى طلب شرطي من العمال المحرضين على الاضراب اخلاء الطريق· ومرة اخرى صرخوا في وجهه رافضين فتحرك رجال الجهاز فيما تشابكت ايدي العمال في وجههم· ثم اخذ رجال الشرطة يسرعون خطواتهم وقد كونوا تشكيلة تشبه الاسفين الموجه الى قلب الطوق العمالي· وتدافعت الاجسام، واخذت رؤوس الطماطم (البندورة) وعلب الشراب تتطاير·

وفجأة اصطدم رجال الشرطة بالمعدن· اذ كان المضربون جروا سيارتين وسدوا بهما الطريق بعدما افرغوا عجلاتهما من الهواء·ثم انهار الجدار الامامي لحديقة منزل قريب من المعمل وبدأت حجارته تنهال على رجال الشرطة· وبينما كان هؤلاء يبعدون المضربين عن مداخل المعمل، رأيت رجل شرطة بين الاقذار في حال اغماء، الدم ينزف من خده ويلطخ الارض· كثير من رجال الجهاز اصيبوا فأخذوا يعرجون بينما كسرت اصبع زميل لهم· والذين لم يصابوا صبغ معاطفهم عصير الطماطم·

وعلى رغم ذلك، عاد افراد الجهاز الى عرباتهم الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والاربعين، وقد انجزوا مهمتهم: المتظاهرون اجبروا على التراجع، والسيارتان ازيلتا والطريق اعيد فتحها ومداخل المعمل خلت الا من مجموعات صغيرة من العمال المحرضين على الاضراب·

غادرنا تشابترrود كما جئنا من دون ممانعة او مضايقة وعدنا الى الاحتياط·

ليس فرقة مكافحة

وحين يقول اللندنيون المتمسكون بالقانون ان احدا ما يجب ان يفعل امرا ما لاحتواء الانفجارات العاصفة، من متظاهرين او مشاغبين في مباريات كرة القدم، فان المقصود بذلك غالبا ما يكون الجهاز الخاص الذي يضم ٢٠٤ افراد موزعين على ست وحدات في تصرف كل منها اربع سيارات ناقلة موزعة على مراكز الشرطة المنتشرة في لندن· وفي غضون ساعة واحدة، تكون الوحدات الست على استعداد لمواجهة اي طارئ في نطاق صلاحيات شرطة العاصمة البالغة مساحته ١٢٣٥ كيلومترا مربعا· وفي الفترة الاخيرة كان رجال الجهاز في مواجهة كل اضطراب مهم في لندن، لكن رئيس الجهاز تيرنس كيغان أكد لي "ان الجهاز الخاص ليس فرقة لمكافحة التظاهرات"·

ان غالبية مهمات هذا الجهاز، وهي البالغة قرابة ٢٠٠ في السنة، تشمل عمليات متعددة مثل البحث عن الاسلحة المستعملة للاغتيالات والمساهمة في تأمين السلامة في الاحتفالات العامة واجراء التحقيقات الميدانية والتفتيش عن الاطفال المفقودين· واضافة الى القيام بادوار رئيسية في اعتقال الكثيرين من المجرمين، فان افرادا من هذا الجهاز يخفرون غالبا السجناء المهمين الى

المحكمة ومنها خلال محاكمتهم. وعلى رغم المهمات الخاصة المتعددة، فان ضباط الجهاز ينفقون قسما كبيرا من وقتهم في دوريات في مناطق تكثر فيها الجرائم، متنقلين في سيارات او على الاقدام.

ان مرافقتهم تتيح فرصة الاطلاع على عمليات رجال الشرطة البريطانيين في افضل حالاتهم. ويبلغ متوسط خبرة كل منهم السنين العشر ولديه حاسة "شم" قوية، كما يقول رجال الشرطة، تمكنه من تعيين المجرمين المحتملين في شارع مزدحم بالناس.

كنا نسير في سيارة شرطة في شمال لندن حين قال مشغّل اللاسلكي في المقعد الامامي في السيارة ان الروفر الرصينة التي تتقدمنا بسيارتين تساق على نحو عابث. ثم التقط ميكروفونا وطلب قسم الكومبيوتر في سكوتلانديارد وسأل: "هل في الامكان التثبت من سيارة مفقودة او مسروقة من طراز غولف يونيفورم ليما..." وبينما هو يتابع اعطاء مخاطبه رقم لوحة السيارة كان الموظف في قسم الكومبيوتر يحول الرقم الى شاشة ظاهرة موصولة بمركز الكومبيوتر العام التابع للشرطة في هندون. وما كاد الموظف ينهي تحويل الجزء الاخير من الرقم حتى لمع الجواب على شاشته: "ابلغ ان السيارة مفقودة او مسروقة في زولوديلتا (مركز شرطة كرويدون) في ١١ اوكتوبر (تشرين الاول) عام ١٩٧٧". ان عملية التثبت هذه استغرقت ٥٠ ثانية فقط.

في هذا الوقت كانت الروفر ابتعدت وتقدمتنا بخمس سيارات وهنا ضغط سائق سيارتنا زر الصفارة ذات الصوتين، وسحب مقبض الضوء الازرق الساطع على سطح السيارة وانتقل الى جانب الطريق الآخر متجها بعكس السير. وقاد السيارة بسرعة فائقة حتى ادرك الروفر واضطر سائقها، بتوقفه المفاجىء الذي احدث ازيزا في العجلات، الى التوجه نحو حاجز. وكان هذا السائق شابا في منتصف العشرينات من عمره يرتدي بزة بنية لامعة ولا مجال امامه لمحاولة الفرار. وفي وقت واحد تقريبا ترجل من سيارة الشرطة ثلاثة من افراد الجهاز واقبلوا على سائق الروفر ففتشوه ثم اصعدوه الى سيارتهم وقالوا له: "ابق يديك على مؤخر المقعد الامامي"، وهذا تدبير احترازي اساسي لمنع الموقوفين من رمي المخدرات او الوثائق او الادلة الثبوتية المهمة التي تكون في حوذتهم. وفي مركز الشرطة ترجل الضابط الذي اشرف على العملية وسلم السائق المعتقل الى رجال المركز الذين يجرون عادة التحقيق المفصل مع المعتقلين. ويقول المفتش في الشرطة تريغور هوبيتون: "ان اراحة افراد الجهاز الخاص من الكثير من اعمال الشرطة الروتينية تساعدهم على متابعة عمليات مكافحة الجريمة باستمرار".

اكتشاف السيارات المسروقة

ان الحدس القوي يشكل جزءا من هذه المكافحة. كانت سيارة الجهاز الخاص تتحين فرصة للتحول يسارا الى شارع مزدحم وقد اتاحت لها الانتقال الى وسط الازدحام سيارة فيها رجلان، فلوح سائق سيارة الشرطة بيده تعبيرا عن امتنانه لكنه

لاحظ، بواسطة المرآة الخلفية، ان السيارة الاخرى لا تزال متوقفة في هذا الازدحام. "انهما مجرمان"، قالها الشرطي غريزيا، ثم تبين له ولزميله ان في السيارة بطاقات ائتمان وتسليف ودفاتر شيكات وفضة مسروقة في ذلك اليوم. ولدى تفتيش منزلي الرجلين امكن استرجاع اموال بقيمة ٣٠٠٠٠ جنيه، وهي حصيلة ست سرقات.

ولعل اروع ما حققته يقظة رجال هذا الجهاز اكتشافهم عددا كبيرا من السيارات المسروقة. ففي الثامن من شهر مارس (آذار) ١٩٧٣، كان ضابطان من الجهاز يمران بجانب سيارة فورد كوريير قديمة متضررة واقفة خارج سكوتلانديارد حين جمد احدهما فجأة. كانت لوحة السيارة تحمل حرف J اضافيا يعود الى عام ١٩٧٠ او الى ١٩٧١، لكن العربة نفسها هي من طراز ١٩٦٨. وباتصاله بجهازه اللاسلكي الخاص الذي يحمله كل ضابط في الجهاز، تبين له بسرعة ان لوحة السيارة مزورة، وخلال استطلاع ما في داخل السيارة لاحظ الضابطان اشرطة ممتدة الى المقعد الخلفي. وتمكن خبراء تعطيل المتفجرات بعد ذلك من ازالة ١٤ اصبعا من الديناميت و٣٠ كيسا من مسحوق متفجر. وكان من شأن هذه المواد المتفجرة التي تزن ٨٠ كيلوغراما ان تلحق اذى كبيرا بالموظفين في مبنى سكوتلانديارد ذي الواجهة الزجاجية. واعتبرت هذه، من حيث حجمها، كبرى المحاولات التي اقدم عليها "الجيش الايرلندي الجمهوري" في الارض البريطانية.

ان كل واحدة من عربات الجهاز هي مركز شرطة صغير متحرك مجهز بشبكة اتصال عام وبجهاز ضوء كاشف عامل على البطارية، وبوسائل اخرى لمواجهة الطوارىء. وعبر عيون، كعيون الصقور، ووجوه فاحصة مدققة وسيارات سريعة، يبقى رجال الجهاز على اتصال عبر جهازين مستقلين بغرفة المعلومات في سكوتلانديارد وبالشبكة الخاصة بالجهاز.

ان نصف رجال الجهاز تقريبا يرتدون ثيابا عادية. وذات ليلة توقفت عربتنا في ريجنت ستريت ونزلت منها برفقة ضابطين يرتديان سترتين جلديتين وكنزتين من الصوف، واخذنا نتمشى على مهل في الساحة المستديرة تحت بيكاديللي سيركيس وكان رفيقاي يوحيان بالشفقة على مدمني المخدرات الشاحبي الوجوه والمتورمي العيون والمتكئين على الجدران، لكنهما لم يكونا يشفقان البتة على الذين يوفرون لهم المخدر مستغلين بؤسهم. انهما يريدان الاسماء، يريدان القبض بالجرم المشهود على محترفي هذه التجارة السرية التي تتم في اكشاك الهاتف او في مداخل المساكن المظلمة.

وقد تجيء اخباريات المخدرات غامضة تؤدي الى نتائج مؤلمة، فقد قيل ذات مرة للرقيب بيتر وينمان: "ان امرأة ستبيع الهيروين مساء يوم سبت في كوينزواي".

وراح برفقة زميل له يمعنان النظر في وجوه الناس على الارصفة المكتظة وقد لاحظا امرأة مرات عدة وهي تحمل اكياسا مليئة بالحاجات

المنزلية، كأي امرأة عادية، ومع ذلك فقد وجدا في محفظتها لفة تضم ٣٠٠ جنيه. ولما قيل لها انها ستنقل الى مركز الشرطة انفجرت باكية. وبعدما مسحت الدمع عن عينيها رمت المنديل في صندوق النفايات. فسارع وينمان الى استخراجه ووجد فيه آخر كيس من الهيروين كان في حوزتها. وفي مسكنها ضبط رجلا الشرطة صديقها وهو يعد المزيد من أكياس المخدرات، وقد قدرت قيمتها في السوق بـ ٣٢٠٠٠ جنيه.

وغالبا ما تقل الجرائم عندما يتحرك رجال الجهاز الخاص. ومنذ زمن غير بعيد كانت احدى مناطق جنوب لندن تعاني ما يزيد على خمسين حادث سلب او نشل حقائب يدوية في الاسبوع. وقال لي الشرطي ادوارد ستو: "ان تأثير وجود رجال الجهاز الخاص في المنطقة كان قطع دابر الاجرام في الشارع كليا".

تأسس الجهاز الخاص في ابريل (نيسان) ١٩٦٥ لمواجهة حوادث التخريب والسطو على المساكن في عقارات المجالس الجديدة، وسرعان ما اثبت قدرته البالغة على مواجهة المشاكل فصار يستدعى الى اي مكان يحتاج الى المزيد من الشدة. ثم انشىء جهاز مماثل في كل من بيرمينغهام ومانشستر وألستر.

ويعتقد ان مرونة الجهاز احدى الوسائل التي تمكن شرطة العاصمة (٤٣٠٠ شرطي) من التصدي لموجة الاجرام المتزايدة. ففي ١٩٢١ كانت قوة الشرطة تضم ٢١٢٣٠ لمواجهة ١٧٤٠٤ جرائم. اما في ١٩٧٦ فبات على ٢٢٤٣٠ شرطيا مواجهة ٤٧٢٤٧٤ جريمة اي بزيادة ٢٦٠٠ في المئة.

جهاز متطوعين

ان قوى الجهاز الخاص هي دائما في مستواها العالي وتضم متطوعين فحسب وعلى رغم ان هؤلاء يعملون بانتظام نحو ٦٠ ساعة اسبوعيا، مما يعتبر اطول فترة عمل في الشرطة - كما يمكن الغاء اجازاتهم في اي وقت - فان هنالك ثلاثة طلبات، لملء كل مركز يخلو في الجهاز. وقال بول ليوبولد، الرجل الثاني في قيادة الجهاز: "ان حاجتنا الاساسية هي الى الحكم الصائب والاعصاب الباردة. ليس لدينا مكان للمعاند ولا لاي شخص معرض لردات فعل مبالغ فيها في الحالات الصعبة".

وكثيرا ما الاحظ رجل الجهاز يخفف من سلطته بحيث تتحول مهمته الى عمل اجتماعي تقريبا. ففي الثانية والنصف من بعد ظهر احد الايام، شاهدنا ونحن في سيارتنا اربعة فتيان بدا واضحا انهم متخلفون عن المدرسة. تقدم منهم الرقيب توني ميتشل وهو أب لولدين وعنفهم قائلا: "اذا شئتم النجاح في الحياة لا بد لكم من تربية جيدة. انتم تعرفون ذلك، اليس كذلك؟ اصعدوا الى السيارة". فصعدوا واعدناهم الى مدرستهم.

وبينما نسبة رجال الجهاز هي دون واحد في المئة من عدد افراد شرطة العاصمة فان عملهم الثابت يزيد على نسبة عددهم الى حد كبير. وقال المفتش آلان ايفرشيد: "بالعمل المثابر والتنقل والبقاء معا باستمرار يعرف افراد كل وحدة كيف يتصرف الآخرون في وضع معين".

ان افراد الجهاز يرسخون علاقات الزمالة في اطار الفرق الخاصة بلعبة

الكريكيت والصيد والتجديف وشد الحبل.

وفي كل عام يخسر الجهاز نحو ربع عدد افراده بالترقية او بالنقل الى وحدات اختصاصية اخرى.

ان ثمة افرادا في الجهاز يتنازلون عن الترقية بملء ارادتهم لكي يبقوا مع مجموعتهم. ان المتعة هي التنوع المتواصل في عمل الجهاز. ويقول الرقيب ميتشل: "حياتنا مليئة الى ابعد الحدود. اننا لا نعرف ماذا يواجهنا". وحين طوق اربعة من رجال "الجيش الجمهوري الايرلندي" في شقة في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٥، وجد ميتشيل نفسه مضطرا الى التعلم كيف يبني سقالة. فقد اقام مع ثلاثة من رفاقه، خلال ساعة، سقالة ذات اربعة ادوار للوصول الى الشقة المحاصرة من الجهة الخلفية.

ثم ان توقيف السيارات لتفتيشها هي وسيلة فعالة لمكافحة الجريمة وقد تحققت من ذلك بنفسي حين اقام رجال الجهاز حاجزا في هورنسي: سيارة للشرطة توقف في مكان تستطيع ان تنطلق منه لمطاردة اي سيارة لا تمتثل لامر التوقف. وثلاثة من رجال الفرقة مجهزون بسيارة متمركزة عند المنعطف لاعتراض السائقين الذين يقررون الانعطاف فارين من الحاجز. بعد ذلك يبدأ الحاجز عمله، فيأمر شرطي سيارة من كل عشر تقريبا بالتوقف: "المعذرة يا سيدي تفتيش عادي للسيارة" ثم يباشر اثنان من زملائه التدقيق في اجازة السوق ولوحة السيارة وبقية الوثائق الاخرى ويليها تفتيش واجهة السيارة وجيوب ابوابها وخلفيات المقاعد وصولا الى الصندوق. وقال لي رقيب عن هذا الموضوع: "في وسعك خلال نصف دقيقة عادة معرفة ما اذا كانت هنالك اي مخالفة وما اذا كان السائق يتضايق من استيقافه.

وقد وجد راديو سيارة تحت مقعد السائق فنقل الى سيارة الشرطة للبحث عن رقمه في جدول سكوتلانديارد للمسروقات. وبعدها رافق السائق احد رجال الحاجز الى مركز مجاور للشرطة. ولما كان رجال شرطة العاصمة يملكون صلاحيات التوقيف والتفتيش، كما لا يملكها اي رجال شرطة آخرين، فان رجال الجهاز الخاص يقومون بتفتيش في منتهى الدقة للكثيرين من السائقين. وقد فسر احد السائقين الشباب وجود بطاقة اعتماد معه، بغير اسمه، فقال: "كنت في الواقع في طريقي لتسليم البطاقة للشرطة وقد عثرت عليها عندما انتقلت الى شقتي قبل يومين". وفي وقت متقدم بعد ظهر ذلك اليوم تأكد لرجال الشرطة صحة كلامه لكنهم اكتشفوا مصادفة أن بطاقة الاعتماد كانت المفتاح الاول لمعرفة المسؤولين عن سرقة ١٧٠٠٠ جنيه قبل اربعة اشهر.

وعندما تكون ثمة حاجة الى توقيت دقيق وتفكير سريع لتقرير حملات مكافحة الجرائم الخطرة او مقاومة الارهاب او مكافحة الجرائم الاقليمية، يكون اختيار الجهاز الخاص لاداء هذه المهمات امراً طبيعياً. وكثيرا ما يدعى افراد هذا الجهاز الى الاشتراك في حملات الشرطة باعداد كبيرة. ففي الحادية عشرة من ذات مساء وجدتني على اهبة مراقبة حملة كبيرة في جنوب لندن حيث كان افراد الجهاز الخاص يشكلون نحو نصف عدد اعضاء القوة البالغ ١٠٠ شرطي. وكان الهدف

اقتحام مشرب (ناد) يعمل بلا اجازة.
وفي اجتماع عقد في القاعة السفلية في مركز للشرطة وزعت التعليمات ورسوم المشرب الذي يشغل طبقتين وكلف افراد في الجهاز وشرطيون آخرون مهمات محددة في كل زاوية من المبنى. وبعد منتصف الليل بقليل خرج رجال الشرطة من المركز الى قافلة مؤلفة من ١٢ سيارة تحركت بهم في اتجاه المشرب وقبل ان تتوقف سيارتنا خارجه، وهي الثالثة في القافلة، وراء سيارة ذات ٣٠ مقعدا، كان شرطيون من السيارة الامامية قد بدأوا فتح بابين يطلان على الشارع مستعينين بمطرقة ثم اخذ رجال الشرطة يندفعون من العربة ويصعدون السلم.

كان النادي يعج بنحو ١٥٠ شخصا، وعلى الفور سدت كل المنافذ وصعد شرطي الى الطبقة العليا لمنع اخفاء الكحول وادوات الشرب فيما اندفع اثنا عشر شرطيا بين الجمهور للحصول على اثبات للشرب او لضبط المخدرات والاسلحة والمسروقات. خمس دقائق من الهرج والتدافع والتزاحم. صراع بالايدي بين ذوي بزات رسمية وغير رسمية، في حين تستمر الموسيقى عالية كأنها في مباراة ركبي. اصوات كثيرة تدعو الى وقف الموسيقى وكل شخص يعترض العملية او يسيء الى الشرطة يعتقل.

ثم يسود الهدوء تدريجا وتشع غرف النادي بمصابيح الشرطة القوية المتصلة بخط موصول عبر السلم بسيارة لاندروفر واقفة في الشارع. الشاربون الذين يثبتون هوياتهم ولا يثيرون اهتمام الشرطة يؤذن لهم بمغادرة المكان، اما الآخرون فيدون رجال الشرطة اسماءهم وعناوينهم وتواريخ ولادتهم للتأكد من انهم ليسوا مطلوبين بجرائم في سكوتلانديارد. وكان هنالك في تلك الاثناء موظفان اضافيان يدققان في الاسماء بين ثلاثة ملايين اسم في مكتب سجلات المجرمين في مركز سكوتلانديارد.

وفي الاولى والدقيقة الخامسة عشرة صباحا، جيء الى الطبقة العليا بثلاثة كلاب مدربة للبحث عن المخدرات وكان جميع الشاربين المخالفين قد خرجوا من هذه الطبقة وبلغ مجموع الموقوفين ٢٨ شخصا. واشرق وجه شرطي من فرقة مكافحة الاجرام وهو يقول: "هذا احد امكنة التقاء المجرمين في منطقتنا وقد قضينا عليه". وفي الثانية والربع عادت بنا السيارة الى المركز مسرعة في الشوارع الخالية.

عملية "دار الهند"

ان الجهاز الخاص الامين لشعاره وهو أفعى الكوبرا الملتفة نصف التفافة، كثيرا ما يتحرك بسرعة كبيرة تثير انقباض المعدة مندفعا في لندن بسرعة ٩٦ كيلومترا في الساعة او اكثر. على ان احدى اسرع عمليات هذا الجهاز وصلت الى نهاية مؤسفة، ففي التاسعة والنصف من صباح ٢٠ فبراير (شباط) ١٩٧٣، اقتحم ثلاثة شبان ارهابيين "دار الهند" في آلديتش وهم يحملون مسدسين وسكاكين وسيفا وعلبة تضخ مادة حمضية (اسيد) آملين في ان يضغطوا على الهند كي تطلق اسرى الحرب الباكستانيين. وبعد ان ضربوا احد الموظفين بالسيف احتجزوا سبع رهائن في قاعة الاستقبال الرئيسية. وفي التاسعة والدقيقة الخامسة والثلاثين، ابلغ عامل التنظيف الشرطة ما حدث فانطلقت سيارة من مركز الجهاز على بعد حوالي ٣

كيلومترات تشق طريقها وسط ازدحام السيارات والاوتوبيسات والشاحنات واشارات الضوء لتصل الى آلديتش خلال خمس دقائق. ودخل شرطيان مسلحان "دار الهند" من باب جانبي ولدى اقترابهما من قاعة الاستقبال هدد ارهابي مسلح بمسدس وسكين بقتل الرهائن. "اننا مسلحان، الق سلاحك" كان رد الشرطيين. لكن الارهابي اسرع وسط القاعة شاهرا مسدسه فأطلق الشرطيان النار فسقط الرجل قتيلا وعلى الفور انتبه احد الشرطيين الى ان المسلح الآخر يدور ويصوب مسدسه فصرعه بطلقة واحدة. وفي التاسعة والدقيقة الخامسة والاربعين اعتقل الارهابي الثالث من غير ان يصاب بأذى. ولم يتثبت الشرطيان من ان مسدسي الارهابيين كانا مزيفين بعد انتهاء العملية.

واذا كان قرابة نصف افراد الجهاز مدربين على استعمال السلاح الناري فانهم نادرا ما يحملون سلاحا. وفي كل مرة يتسلم الشرطي مسدسا من مركز الشرطة، ويوقع على تسلمه، يذكر بانه لا يجوز له اطلاق النار الا اذا تعرض للخطر هو او من هم في حمايته. ويقال له ان عليه اذا كان اخرج المسدس من قرابه ان يبلغ ذلك عند العودة من مهمته.

ويقبل افراد الجهاز هذا القيد تلقائيا على رغم الهجمات الشرسة التي تعرض لها حديثا غير المسلحين منهم. ففي تظاهرة في ابريل (نيسان) ١٩٧٧، رشق رجال الجهاز بالدقيق والبيض والصباغ وبقنابل الدخان والبالونات المليئة بالدهان. وفي اغسطس (آب) من العام نفسه هاجم المتظاهرون احد سائقي الجهاز وهو يهوي على عجلة سيارة وقعت في مكمن وقد اصابه حطام الزجاج بعمى موقت. وفي كرنفال "نوتينغ هيل" عام ١٩٧٦ جرح ٥٥ شرطيا بالقبضات والطوب والقناني وقطع المعدن، وكان هناك آنذاك ٩٠ شرطيا. وللحؤول دون تكرار ذلك في كرنفال ١٩٧٧ اعطي افراد الجهاز دروعا وادوات واقية. ومع ان هذه الدروع والادوات دفاعية بحتة فان بعض الضباط اخذوا يتساءلون سرا، وبتخوف، اذا لم تكن هذه بداية انزلاق بطيء نحو استعمال اجهزة أكثر عنفا وهجومية.

الوجه الودي للشرطة

وحدثني المراقب بول ليوبولد عن المأزق الذي تواجهه عملية الشرطة في الوقت الحاضر، فقال: "نظام القانون والامن في بريطانيا قائم كله على التعاون مع الجمهور فاذا كان افراد الجهاز واي رجال شرطة آخرين سيلجأون الى خراطيم المياه والغاز المسيل للدموع او العصي فاننا نعتقد اننا نفقد الكثير من هذا التعاون. حتى وسط اكثر التظاهرات شراسة وعنفا يجب الا يغرب عن بالنا ان رجل الشرطة سيعود الى المنطقة ذاتها في اليوم التالي للقيام بمهمة ما".

ويضيف الى ذلك ايلدون غريفيت، النائب والمستشار البرلماني لاتحاد الشرطة طوال ثماني سنوات: "ان بريطانيا لا تزال احدى اسهل الديموقراطيات المتطورة بالنسبة الى عمل رجال الشرطة، وذلك بسبب العلاقة الطيبة القائمة بين الشرطة والجمهور. اننا جميعا مدينون بالكثير الى افراد الجهاز الخاص ورجال الشرطة الآخرين الواقفين في الخط الامامي لمكافحة الفوضى العامة.

ان هذا الشعور بعرفان الجميل

شائع بين سكان لندن وعلى نطاق واسع. ففي زحمة شهر اغسطس (آب) ١٩٧٧ واجه افراد الجهاز الخاص موجة عنف عارمة خلال مسيرة "الجبهة القومية" في لويشام كما قضوا يومين يكافحون الفيضانات في هايز في غرب لندن وقد ارتدى بعضهم المعاطف الواقية. واستمر يعمل والمياه تغمره حتى الخصر، اربع ساعات راصفا اكياس الرمل على ضفتي بيدنيغ بروك.

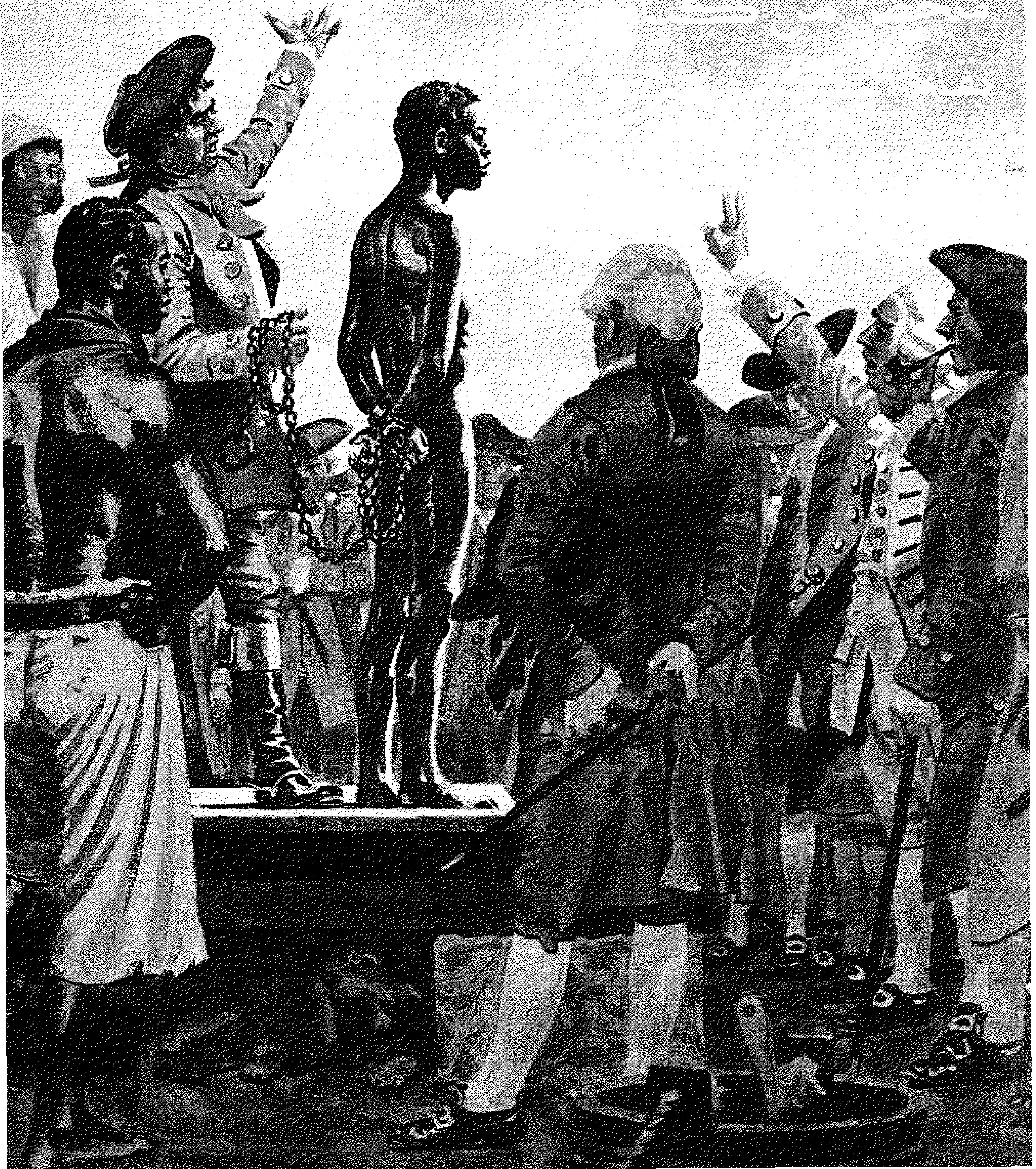
وحمل آخرون في الجهاز مواطنين على ظهورهم انقاذا لهم وساعدوا اصحاب المنازل في نقل اثاثهم الثمين الى الطبقات العليا وتأكدوا من ان المسنين يحصلون على الطعام والادوية واسعفوا الشباب في بعث الحياة في الحيوانات الغارقة في الماء. وبينما كان هؤلاء الافراد يتهيأون للرحيل تقدمت امرأة من اثنين منهم وخاطبتهما بلسان جميع اللندنيين المتقيدين بالقانون: "استمرا في هذا العمل الجيد. لا ادري ماذا كنا نعمل لولاكما".

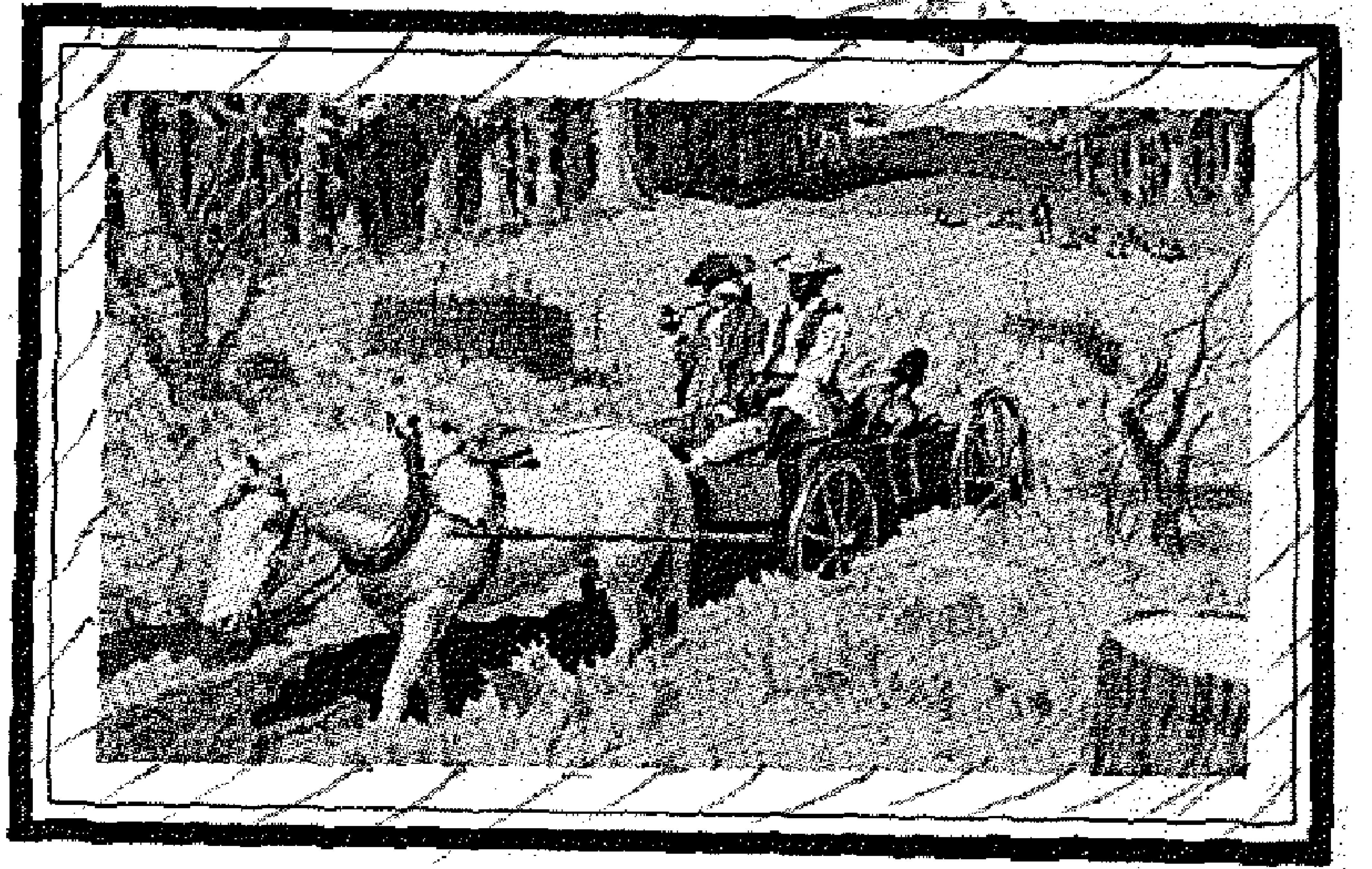
■ دايفيد مولر

الكاتب صحافي بريطاني كان اول من سمح له حديثا بان يمضي اسابيع مرافقا لافراد في الجهاز الخاص لدى سكوتلانديارد ومراقبا الصراع الذي يخوضونه ضد الجريمة. وهذا المقال هو حصيلة هذه المغامرة.

كتاب الشهر

الجذور II





الجذور II

ملخص من كتاب بقلم اليكس هيلي

منذ اكثر من عشر سنين، بادر اليكس هيلي الى محاولة طويلة شاقة للاهتداء الى اصل اسلافه. وكان مثله في ذلك مثل سائر الامريكيين السود، لا تتوافر له في البداية سوى مؤشرات واهية تبلغها عن طريق النقل في طفولته. فما كان منه الا ان واصل مساعيه لاستطلاع حقيقة ذاتيته، وراحت الروايات المنقولة عن عائلته القديمة تندرج شيئا فشيئا في موضعها الصحيح بين الوقائع، حتى انتهت به الى وضع كتابه هذا الذي لا تنحصر صفحاته في عرض محنة قاساها رجل فرد، وانما هي في الحقيقة طافحة بصور الملحمة الطويلة الاليمة التي عاشها العنصر الاسود الامريكي.

وفي الجزء الاول من "الجذور"، الذي نشرنا ملخصا له في العدد الماضي (يوليو/ تموز) من "المختار"، تحدث هيلي عن طفولة سلفه كونتا كينتي وصباه في افريقيا، وعن اسره عام ١٧٦٧ على ايدي المتاجرين بالرقيق ومحنة رحلته عبر المحيط الاطلسي في ظلمات احدى سفنهم. ويتناول هذا الجزء الثاني قصة كونتا الشاب في عالم الرقيق الوحشي الغريب، ايام كانت امريكا لا تزال خاضعة للاستعمار.

بلغت السفينة "لورد ليغونير" ساحل ولاية فرجينيا في شهر سبتمبر (ايلول) ١٧٦٧، واقتحمت التيار القوي المتحكم بخليج تشيزابيك قبل ان تتابع رحلتها طوال اربعة ايام الى مقرها النهائي في ميناء انابوليس. وكانت السفينة تنقل في عنبرها الذي يسوده جحيم من القذارة والقمل والوباء، شحنة من السود تضم ٩٨ شخصا اضناهم الضعف وارهقهم السقم، من اصل المئة والاربعين مسترقاً الذين اقلعت السفينة بهم من غامبيا في غرب افريقيا.

وكان هؤلاء يرقدون في الظلام المشبع بالروائح الكريهة ويرتعدون خوفا بعد ان احسوا باقترابهم من ارض التوبوب، الرجل الابيض، واستسلموا لاغلالهم صامتين. وقد ارهف الصمت آذانهم لاستماع طقطقة الاخشاب وصدى اصطدام الامواج ببدن السفينة ووطء اقدام التوبوب عبر السطح.

وظلت السفينة تتأرجح بهم بعنف مستمر على مدى الشهرين والاسابيع الثلاثة التي قضتها في البحر، فتحتك اجسامهم بالالواح الغليظة التي يرقدون عليها، حتى انتشرت القروح الاليمة في ظهورهم واكتافهم تنزف منها الدماء بلا انقطاع.

وقد ضم احد الرفوف المخصصة للسود الشاب كونتا كينتي البالغ السابعةعشرة من العمر.وكان الاسم الذي يحمله موضع احترام واجلال في قريته جوفوري لانه كان اسم جده رجل الدين الطيب الذكر الذي اكتسب شهرة لن تمحي منذ ان توسل طوال خمسة ايام وخمس ليال الى سبحانه تعالى ضارعا اليه ان ينهي الجفاف، فاستجاب الله لدعائه ونجت قرية جوفوري من المجاعة التي تهددتها.

وكان كونتا يعاني مثل الآخرين تسلخا في ظهره في اثناء الرحلة، كما دمغ مثلهم، قبل ان تقلع السفينة، بالحرفين الاولين من اسمها "ل ل". وقد عانى مثلهم ايضا معاناة رهيبة قسوة سياط التوبوب وانتشار الطفيليات والامراض التي اجتاحت ابدانهم، كما انه - مثل معظمهم - قد واصل الصلاة لكي ينزل الله رحمته عليهم ويضع حدا لفترة رعبهم وعذابهم.

وفي اليوم الرابع، بعد ان برزت الارض في الافق، سيق السود بخشونة الى سطح السفينة حيث جرى تنظيفهم مرة اخيرة بالفراشي الخشنة، ثم دهنت اجسادهم بالزيت حتى بدت لامعة. وعندما رست السفينة، دفع الرجال السود الذين استبد بهم الضعف والمرض وشلهم الخوف، تحت وقع السياط التي لا تكف عن القرقعة، فاجتازوا المعبر الخشبي واستقرت اقدامهم فوق أرض التوبوب. وفارت في نفس كونتا رغبة جامحة مجنونة في الهرب، لكن سياط التوبوب فرضت عليه وعلى المشدودين اليه بالسلاسل رقابة لا تغفل.

وبينما كانوا يجرون اقدامهم في رتل متثاقل امام حشد صاخب يمطرهم بالسخرية والاهانات، لمح رجالا من التوبوب في ملابس انيقة يرقبون السود المكبلين وعلى وجوههم امارات الاشمئزاز. واوشك الا يصدق عينيه حين رأى بينهم مخلوقا لا شك في انه انثى توبوب لها شعر بلون القش الاصفر، ورأى كذلك رجلين من السود، اتضح له ان احدهما من قبيلة الماندينكا والثاني من قبيلة السيريري، وهما يسيران خلف رجل

من التوبوب وقد خلا وجهاهما من كل تعبير. ودار رأسه دهشة وذهولا: كيف يستطيع اثنان من السود ان يسيرا في وداعة خلف احد التوبوب؟

وسيق الاسرى الى مبنى كبير مربع من الطين المحروق فيه قضبان مركبة في الفتحات القليلة الموجودة في جوانبه، وزج كونتا ورفاقه في غرفة كبيرة وقيّد معصماه وكاحلاه هو ورفاقه باغلال من الحديد السميك وقد شدت بسلاسل الى مسامير ضخمة مثبتة في الحائط. وتكوم كونتا خوفا فوق الارض الترابية الباردة وراح يضرع الى الله ملتمسا انقاذه.

وبعد حلول الظلام، تمكن كونتا من رؤية النجوم من خلال احدى الفتحات التي تعترضها القضبان بالقرب منه، فهدأت نفسه قليلا وبدأت الافكار تومض في خاطره كما تلوح الظلال في الحلم. وانتفض فجأة وهو يتذكر اهماله الذي ادى الى اسره وهو يبحث خارج قريته عن قطعة من الخشب تصلح اطارا للطبل، والمسيرة الرهيبة الى النهر حيث كان قارب التوبوب الكبير. وعلى رغم عزوفه عن مجرد القرن بين ذكر اسرته واسم هذا المكان البغيض، الا انه لم يقو على اهمال التفكير في ابيه عمر، وامه بينتا، واخوته الثلاثة الاصغر منه. ثم استغرق في النشيج.

واحس كونتا باقبال الفجر، عندما تردد في رأسه صوت معلمه الكينتانغو وهو يقول: "الرجل الحكيم هو الذي يدرس تصرفات الحيوانات ويتعظ بها". ترى، اهذه رسالة من الله؟ لقد كان كونتا اشبه بحيوان في الشرك. ولكم تمكنت الحيوانات التي عرفها من الفرار من دون ان تضطر الى التخبط في الشراك والاستسلام الى الهياج، بل كانت تحتفظ بقواها في هدوء وصمت حتى تأتي لحظة من الاهمال فتتيح لها الفرصة للافلات. واسوة بذلك، لا بد لكونتا من ان يتظاهر للتوبوب وكأنه قد فقد الامل.

ومن خلال الفتحة الصغيرة المدعمة بالقضبان الحديد، عد كونتا ستة ايام وست ليال. وفي كل يوم، كان رجل اسود غريب يحضر لهم الطعام ثلاث مرات، وكان كونتا يبتلعه مرغما لاقتناعه بانه سيعطيه القوة. وبعد وجبة الصباح في اليوم السابع دخل اربعة من التوبوب ظل اثنان منهم في الداخل على مقربة من الباب وهما يمسكان بنادق وهراوات، بينما تولى الاثنان الآخران فك الاغلال الحديد. ووجد كونتا نفسه في صف من ستة رجال مقيدين الى بعضهم بالسلاسل وقد دفعوا الى الخارج في ضوء الشمس الساطع.

ووقف رجل على منصة خشبية منخفضة، واخذ يخاطب الحشد بصوت جهوري: "لقد قطفوا حديثا من الاشجار!... يلمعون كالقرود!" وتمردت انف كونتا عندما اقتحمها زخم رائحة التوبوب الكريهة - وهم يدفعون به مع رفاقه وسط الجمهور. ثم اطلق كونتا من السلسلة التي كانت تربطه بزملائه ودفع نحو المنصة.

وأخذ التوبوب يصيح ثانية: "لا يزال في عنفوانه، شاب طري!" وشل الخوف كونتا حتى اوشك ان يعجز عن التنفس. وكان عدد من التوبوب الآخرين يتحلقون حوله ويقتربون منه، واخذوا يمدون عصيهم القصيرة ومقابض اسواطهم ويفتحون بها شفتيه المنضغطتين ليكشفوا عن اسنانه المطبقة. ونخسوه في جميع اجزاء جسمه، في ظهره وصدره واعضائه التناسلية، ثم خطوا الى الخلف وبدأوا، وسط صياح رجل

المنصة، ينـادون بأعلـى اصواتهـم مدللين: "ثلاثمئة دولار!" "ثلاثمئة دولار!"٠

وتكرر المزيد من الاصوات الغريبة، ثم سمع كونتا "ثمانمئة وخمسين!" وعندما توقف الصياح بعد ذلك، تقدم الرجل الزاعـق وفـك سلسلـة كونتـا وجذبه نحو توبوب خطا الى الامام، ثم رأى كونتا خلف هذا التوبوب رجلا اسود يتضح من ملامحه انه ينتمي الى قبيلة الوولوف، فقال: "اي اخي! انت من وطني٠٠٠" ولكنه بدا وكأنه لا يلاحظ كونتا، وجذب السلسلة بعنف جعل كونتا يندفع متعثرا خلفه، وراح الاثنان يتقدمان خلال الحشد وتوقفا عند شيء شبيه بصندوق قائم على عجلات خلف حيوان ضخم، كان هو اول حصان رآه كونتا في حياته٠ وامسك الاسود بكونتا من وركيه ورفعه والقاه في قعر الصندوق٠

وسمع كونتا طقطقة الطرف الطليق من سلسلته لدى احتكاكه بشيء عند مقدم الصندوق، ثم تسلق الاسود والتوبوب مقعدا وبدأ الحصان يجر الصندوق ويبتعد به عن حافة المياه الرحيبة التي كانت تلامس ارض مولده ويوغل به في اتجـاه بعيـد المسافة عن المكان الذي تشرق منه الشمس٠ وتردد مرة اخرى في رأسه صوت صادر عن قريته من فم احد شيوخها وهو جالس الى جوار النار في جوفوري: "ليس بيننا من يعرف بالحقيقة ارض التوبوب لان احدا لم يعد منها لينقل الينا شيئا عنها"٠



الفرار

راح الصندوق يطقطق على الطريق، فرفع كونتا نفسه وأجال نظره واستطاع ان يرى ما قدر انه حقول التوبوب. وتعرف في احدها على سيقان الذرة فقد قطفت منها الاكواز، وشاهد في حقل آخر عمالا من السود يشتغلون في اشراف احد التوبوب ومر الصندوق قرب صف يضم قرابة عشرين رجلا من السود مشدودين الى بعضهم البعض بسلسلة تتخلل اغلال معاصمهم ويحرسهم توبوب على صهوة جواده، وهم ينشدون غناء حزينا لم يستطع كونتا ان يفهم شيئا من عباراته.

وعند الغسق، انعطف الصندوق ذو العجلات الى طريق صغير وتوقف امام منزل كبير ابيض حيث رأى كونتا عددا من السود، وانتعش الامل في نفسه عندما ابتعد التوبوب متوجها نحو المنزل. ترى هل يحرره هؤلاء السود الآن؟ ولكنهم لم يفعلوا شيئا على الاطلاق، فاستولى عليه العجب وثار غضبه من اولئك السود الذين يتصرفون وكأنهم كالماعز في قطيع التوبوب.

ونام كونتا على الارض مربوطا بالسلاسل الى عمود. وفي الصباح التالي لم يكد يتوافر له الوقت لاداء صلاة الفجر متخذا قبلته نحو الشرق، ثم لم يلبث ان وجد نفسه على الطريق مرة اخرى مع آسريه. وكانت المشاهد والاصوات التي بلغته شبيهة بما كانت في اليوم السابق. ورأى مرتين اخريين، على بعد عن الطريق، بيوت توبوب كبيرة بيضاء، تقوم بالقرب منها اكواخ من الطين والخشب رجح كونتا انها مساكن للسود.

وبعد ان غربت الشمس في اليوم الثالث انعطف الصندوق عن الطريق الرئيسي. وحملق كونتا في دماثة الليل الذي ينيره القمر، فبان له طيف منزل ابيض آخر. وسرعان ما توقف الصندوق وترجل منه التوبوب وتحدث مع الرجل الاسود ثم دخل المنزل بينما استأنف الصندوق ضوضاءه متجها نحو عدد من الاكواخ الصغيرة حيث توقف مرة اخرى، وسمع كونتا طقطقة الشيء الذي يثبت سلسلة قيده، ثم جاء الرجل الاسود وتقدم الى حافة الصندوق، ورفع كونتا بذراع واحدة قوية من فوق جانب الصندوق وانزله على الارض.

وفي تلك اللحظة اشرأب كونتا الصغير، وتشابكت يداه حول رقبة الرجل الاسود، مثل فكي الضبع، فصدرت عن الاسود صيحة مكتومة مبحوحة، واخذ يدق بقبضتيه وجه كونتا وذراعيه ويخدشه باظافره، بينما راحت قبضتا كونتا تتزايد احكاما حول رقبة الرجل حتى تعثر الى الخلف وهمدت حركته.

ووثب كونتا واطلق لساقيه العنان في جنون متجها الى حيث يمكنه ان يرى غابة نائية في ضوء القمر. وظل يركض منحنيا وهو يقتحم بساقيه صفوف اعواد الذرة، وكان الالم يجتاح عضلاته التي اصيبت بالخدر من كثرة الجهود، ولكنه انتعش بنسمات الهواء البارد وكاد يطير فرحا لانطلاق حريته من جديد. وبلغ الغابة، فاندفع الى داخلها يتعثر في النباتات الشائكة المتشابكة. ولكنه مضى يوغل اعمق فأعمق، حتى الفى نفسه فجأة خارج الغابة وسط شجيرات منخفضة، ورأى لصدمته انه امام حقل واسع الاطراف ينتصب منزل ابيض في آخره.

وعاد يعدو من حيث اتى حتى بلغ اكثف بقعة في الغابة، وقد انتشرت

الجروح والخدوش في قدميه العاريتين وسالت منهما الدماء. ثم زحف على اربع داخل مجموعة كثيفة من الشجيرات التحتية وقضى ليلته هناك. وحين اقبل الفجر ركع متجها نحو الشرق وصلى.

وسمع كونتا نباح كلاب عميق عن بعد، ثم اخذ الصوت يزداد ارتفاعا والحاحا، ولم يلبث ان علا صياح الرجال وراء نباح الكلاب، فاندفع في جنون خلال النباتات الشائكة. وما ان بلغ مسمعه دوي بندقية احد التوبوب حتى تملكه الخوف فارتمى وسط الاشواك المتشابكة.

واقبل كلبان يهاجمانه خلال الشجيرات وهما يكشران عن انيابهما ويحاولان ان ينهشاه، فأخذ يدفعهما بيديه وهو يتسلل في الوقت نفسه مثل السلطعون. ثم سمع رجالا يصيحون على حافة الدغل. ودوى صوت البندقية مرة اخرى فتراجع عنه الكلبان وهما يهران.

وهاجمه بضعة رجال مسلحين بالخناجر والهراوات، وميز كونتا بينهم ذلك الرجل الاسود الذي حاول خنقه وقد اكتسى وجهه بحقد قاتل. وكان خلفه عدد من التوبوب وقد احمرت وجوههم وتصبب عليها العرق لما بذلوه من جهد. وتقدم الرجل الاسود منه وهو يفرد حبلا، ثم اصابت رأس كونتا ضربة شلته صدمتها، وسرعان ما ربطت ذراعاه الى جانبيه ووجد نفسه مجرورا بحبل الى خارج الغابة، ثم عبر حقلا الى ان بلغ شجرة حيث لف آسروه الحبل حول احد اغصانها. وبعد ذلك جذبه الرجل الاسود حتى كادت قدما كونتا ان تلامسا الارض. والهب ظهره سوط توبوب فتلوى من شدة الالم ولكنه ابى الصراخ. وتوالت عليه ضربات السوط، واحس بأن كلا منها تقطعه نصفين فأخذ يصرخ، لكن الضربات تعاقبت من دون هوادة حتى فقد الوعي.

وحين افاق كونتا، وجد نفسه ممددا وقد شدت اطرافه في اتجاهات اربعة وربطت بالسلاسل من معصميه وكاحليه الى اربعة اعمدة غليظة في الاركان الاربعة داخل كوخ صغير من الطين. وكانت اقل حركة منه كفيلة باثارة آلام مبرحة، فتمدد ساكنا وقد بلل العرق وجهه وتلاحقت انفاسه في شهقات ضحلة. واخذ يؤنب نفسه لانه لم يتريث كما لا بد وان يتصرف الحيوان الاسير الحكيم. وقال لنفسه: لقد فشلت لانني تعجلت الفرار.

القبيلة المفقودة

في الصباح الخامس، على اثر نفير الاستيقاظ، اقبل الرجل الاسود على كونتا حاملا قيدين من الحديد الغليظ تصلهما سلسلة قصيرة. ثم انحنى واغلق القيدين حول كاحلي كونتا. وبعد ان انتهى من ذلك حل السلاسل الاخرى التي تقيده ثم جذبه بخشونة ليقف على قدميه، وبدأ ينخز صدر كونتا بسبابته ويطلق اصواتا غريبة: "انت - توبي؟" فلم يفهم كونتا شيئا وظل يحملق فيه بغباء.

ودق الاسود على صدره هو وصاح: "انا شمشون!" ثم امتد اصبعه ينخز صدر كونتا مرة ثانية وهو يقول: "انت توبي! السيد يقول ان اسمك هو توبي!"

وببطء ادرك "توبي" المعنى الذي يقصده الرجل، فتملكه غضب جامح، وود ان يصرخ في وجه الاسود صائحا: "انا كونتا كينتي، الابن البكر لعمر ابن الرجل الطيب الذكر خير الله كونتا كينتي!".

واتجه الرجل الاسود بكونتا الى الخارج نحو دلو كبير من الصفيح مليء بالماء كي يغتسل فيه، ثم قذفه ببعض ملابس التوبوب ليغطي بها صدره وساقيه وبقبعة من القش الاصفر ليغطي بها رأسه. وتبع كونتا "شمشون" الذي صحبه في جولة سريعة للتعرف على المكان، فرأى السود يعيشون في عشرة اكواخ اقيمت على صفين وبنيت بكتل خشبية وسدت الثغرات في ما بينها بطين ضارب الى الاحمرار.

وفي احد هذه الاكواخ، قدمت اليه الطعام امرأة عجوز، ثم اشار شمشون برأسه الى الحقول البعيدة وسار نحوها وكونتا يتبعه متعثرا في اغلاله الحديد. وعندما اقتربا، رأى كونتا رجالا من السود يقطعون سيقان الذرة بينما راح النساء والشباب من السود يجمعون القصبات المقطوعة.

وفي الحقل اقبل عليهما توبوب يمتطي صهوة حصان ضخم، وتبادل بضع كلمات مع شمشون فالتقط هذا سكينا طويلة ثقيلة وقطع بها بضعة عشر عودا من الذرة، ثم استدار الى كونتا وامره ان يجمع الاعواد. واقترب التوبوب بحصانه من كونتا رافعا سوطه. واشتعل صدر كونتا بالغضب لعجزه ثم انحنى وراح يجمع العيدان.

وارغم كونتا نفسه في الايام التالية على ان يفعل ما يطلب منه، ولكنه مع تظاهره بالعقم والبلاهة كانت اليقظة تتقد وراء ملامحه الخالية من التعبير. فقد علم بانه في مكان يسمى مقاطعة "سبوتسيلفانيا" في فيرجينيا، وان التوبوب الذي جاء به الى هذا المكان كان السود يسمونه

"السيد"، وان في البيت الابيض الكبير الذي يعيش فيه السيد انثى توبوب تسمى "السيدة". وقد رآها كونتا مرة من بعيد فبدت له مخلوقة هزيلة بارزة العظام شاحبة اللون كبطن الضفدعة الباهت. وتعلم كونتا ان في الحقول "ذرة"، وعندما تقطع جميع السيقان وتكوم ينصرف السود الى التقاط ثمار كبيرة مستديرة تسمى "اليقطين" (القرع العسلي) توضع في "عربة وتحمل الى "الهرى" (مخزن الحبوب).

ولكن تصرف السود الاخرين كان اكثر ما لفت انتباهه واثار حيرته. وكان كونتا يجلس في المساء عند مدخل كوخه ويمد رجليه خارج الباب تخفيفا لالم الاغلال، بينما كان الراشدون الآخرون يجلسون بهدوء وسكون على مقاعد خشبية حول النار الموقدة امام كوخ الطاهية العجوز. وكان منظرهم يملأ نفسه بالذكريات الحزينة عن نيران الليل في قريته جوفوري.

وكانت المرأة التي تتولى الطهي في البيت الكبير هي التي تبدأ عادة بالكلام، فتقلد اشياء قالها السيد او السيدة. وكان كونتا يسمع الآخرين وهم يكادون يختنقون اذ يكتمون ضحكاتهم خشية ان يبلغ صداها البيت الابيض الكبير.

ثم يهمد الضحك ويبدأ السود يتحدثون في ما بينهم ببساطة وكان كونتا يسمع من بعضهم لهجة البائس العاجز، ومن البعض الآخر لهجة الغاضب بمرارة، ويميز بين هذه وتلك حتى وان غاب عنه فهم ما يقولون. واخيرا يتوقف الحديثعندما تبدأ احدى النساء الغناء وينضم اليها الجميع. ولم يكن كونتا يفهم الكلمات، ولكنه كن يتلمس ما في النغمات من حزن عميق.

وكان الرجال السود هؤلاء من الوثنيين، عبدة الاصنام، وكانوا يأكلون لحم الخنزير القذر، الا انهم كانوا يقومون باشياء من صميم الحياة الافريقية. وكان كونتا يلاحظ انهم يأتونها عفويا وعلى غير ادارك منهم. فلكم سمع طوال حياته في جوفوري مثل هذه الصيحات التلقائية مصحوبة بالاشارات والتعابير نفسها. وكانت طريقة تحريك اجسامهم هي هي، كذلك طريقة ضحكهم مجتمعين معا.

كيف انوجد هؤلاء الناس في هذا المكان؟

ولم يستطع كونتا ان يدرك ما حدث لهم فدمر عقولهم حتى اصبحوا يتصرفون على هذا النحو من الاستسلام والرضا عن النفس، يبتسمون للسيد وللمشرف على عملهم الشاق.

فلعل السبب انهم لم يعرفوا ابدا موطنا لهم في قرية افريقية، فقد ولدوا سودا في هذا المكان وهم اذا قبيلة مفقودة.

وتأمل كونتا في كل ما رآه وسمعه فلم يقو على فهمه او تقبله. وكان في كل ليلة، قبل ان يغلبه النوم، يقسم لاسلافه بانه سيلوذ بالفرار ويستعيد الحرية وانه يؤثر الموت على الانتهاء الى مصير مثل هؤلاء السود هنا.

الاختيار القاسي

ولم تلبث ان تلوثت القرحة في كاحل كونتا الايسر بسبب القيد حتى اضطر المشرف الى انتزاعه. وفي تلك الليلة وجد كونتا نفسه طليقا فلم يطق

الانتظار ولاذ بالفرار، وانما لم يطل به الامر بعد ان تعقبه شمشون وقبض عليه على مسافة قصيرة من الكوخ.

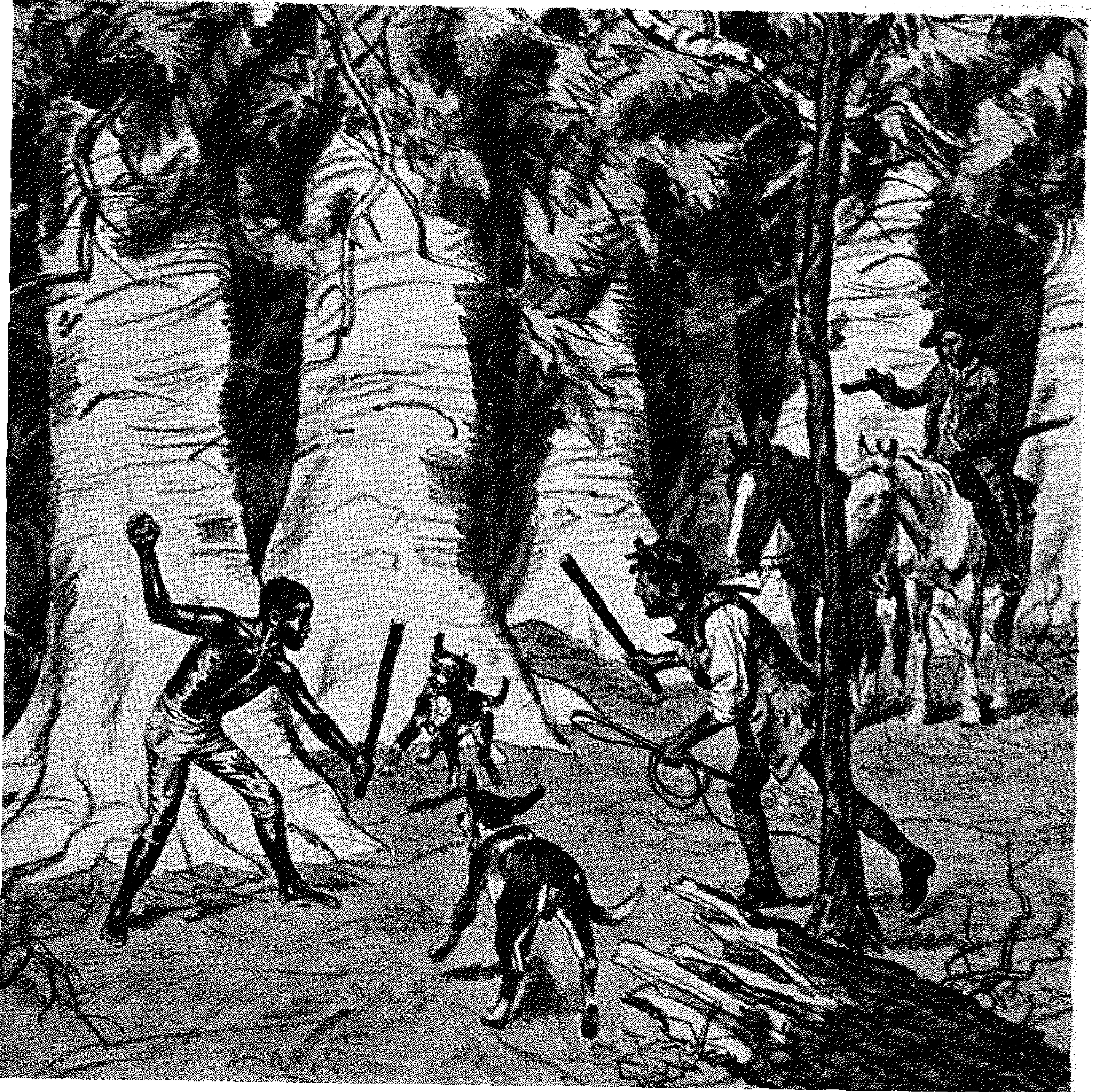
وتلقى كونتا عددا من اللكمات والرفسات، ولكنه لم يجلد ولم يكبل. ثم تمكن من الفرار مرة اخرى بعد ان سقط من السماء ذلك الشيء الذي قال السود ان اسمه "الثلج". وقد طارده المشرف هذه المرة على ظهر حصان من جياد المزرعة الضخمة حتى لحق به مقتفيا آثار قدميه على غشاء الثلج الابيض الذي يغطي الارض، وعاد به ليجلد ويكبل بالسلاسل. غير ان كونتا ظل موقنا في قرارة نفسه ان لا بد له من الفرار مرة اخرى في اول فرصة سانحة.

وتعاقبت الاقمار، وحرثت الحقول وبدأ غرس البذور في الربيع من مختلف الانواع، معظمها بذور الذرة وشيء آخر اسمه "القطن". وقد فكت السلاسل عن كونتا فاخذ يتحين الفرص ويتظاهر بالرضوخ للاوامر ويقتلع الاعشاب من بين المزروعات. وعندما بدأ الحصاد، لاحظ كونتا ان العربات تتوافد بكثرة متزايدة على الطرق البعيدة لتنقل القطن الى السوق. وجالت في خاطره فكرة فذة: ان يختبيء في احدى هذه العربات لتحمله بعيدا.

واوشك رأسه ان ينفجر لفرط تدقيقه في تفاصيل الخطة. واستبعد من حسابه عربات القطن الخاصة بالمزرعة التي يعمل فيها لانها خاضعة للرقابة باستمرار. فلا بد له اذا من ان يهرب في احدى تلك العربات التي رآها من بعيد تروح وتجيء على الطريق الرئيسي.

وتظاهر ذات ليلة بالذهاب الى

المرحـاض الخـارجـي وراح يـدرس الطريق. وفهم من اضواء العربات المرتجفة بان السير على الطريق لا ينقطع في الليل كما في النهار. وفي ليلة اخرى تمكن من قتل ارنب بحجر، وجفف لحمه كما تعلم ان يفعل في جوفوري، ثم عثر على سكين قديمة صدئة فشحذها حتى ارهف حدها، وصنع مقبضا من الخشب زودها به، كما صنع تعويذه له ركز فيها ريشة ديك لاجتذاب الارواح وشعرة حصان لتجلب له القوة، وعظمة الترقوة من الطير لتوفر له النجاح، ولف ذلك كله وخاطه داخل قطعة من الخيش.



وذات مساء، وضع في احد جيوبه القطع المجففة من لحم الارنب وربط التعويذة باحكام حول زنده الايمن، وقبع في كوخه يرهف سمعه خلال الباب حتى بلغته اصداء الحركات المألوفة التي تصدر عن السود قبل ان يأووا الى مضاجعهم. واخيرا توقف غناؤهم الحزين، فانتظر حتى استوثق من انهم قد ناموا، ثم حمل سكينه التي صنعها بيده وانسل خارجا.

واجال الطرف فلم ير احدا حوله، وطمأنته حواسه الى ذلك، وبدأ الركض. وعندما بلغ النقطة التي يلتقي عندها طريق المزرعة بالطريق الرئيسي ربض وسط اجمة كثيفة، ولم يطل به الوقت حتى سمع ضجيج عربة مقبلة، ولكن الانتظار امتد حتى بدا له دهرا قبل ان يدخل ضوء مصباح العربة المرتعش في دائرة بصره. واقبلت العربة في النهاية حتى حاذته تماما، فرأى شخصين جالسين فوق مقعدها الامامي، وليس في مؤخرها اي رقيب. واندفع كونتا من بين الشجيرات باسنانه المطبقة وعضلاته المرتعشة وجرى منحنيا خلف العربة متسترا صريرها وطقطقتها. وعندما تخبطت العربة في بقعة غير ممهدة من الطريق امسك كونتا بمؤخرها وقفز فوق سورها الخلفي المنخفض.

وكان الليل حليفه، فاختبأ داخل القطن لا يشعر به احد، حتى لاح نور الفجر يلامس الافق، فترك العربة وسارع الى الاختفاء في دغل قريب.

وعندما دخل الدغل اسعده ملمس الندى على جسمه، فراح يؤرجح سكينه وكأنه ريشة خفيفة بين اصابعه، وهو يتوغل في ما بدا له انه غابة تمتد على مساحة كبيرة. وعند العصر، تزود بقطعة من لحم الارنب المجفف مضغها بعد ان بللها بالماء، ثم واصل توغله الى ما بعد غروب الشمس، حيث اعد لنفسه فراشا من الاعشاب واوراق الشجر.

وتابع سيره في الصباح التالي، جاهلا اين هو والى اين يتجه. والمهم في نظره هو ان يهرب فحسب. واذا استطاع ان يواصل سيره نحو مشرق الشمس فلا بد ان ينتهي به ذلك بعد حين الى مكان القارب الضخم. ثم تساءل: وماذا عساي ان افعل بعد ذلك؟ وعندما حاول الاجابة احس بالثقة تخونه وبالخوف ينتابه، فاخذ يكثر من الصلاة ولا يكف عن لمس تعويذته.

وقضى اربعة ايام مرتحلا في الغابة وهو لا يسمع غير نقيق الضفادع واصداء الطيور والحشرات. وفي صباح اليوم الخامس هب من نومه مذعورا على نباح الكلاب، وكان ذلك اكثر ما يخشاه. ووثب وانطلق يعدو. ثم تبين انه قد نسي سكينه فاندفع عائدا وأخذ يبحث عنه بيأس بين الفروع والاوراق ولكنه لم يجده. واخذ النباح يتقارب، فالتقط كونتا حجرا في حجم قبضة يده وتابع العدو، وقد طار صوابه فراح يتعثر ويقع مرة بعد اخرى.

وتمكنت كلاب الصيد من محاصرته في ساعة متقدمة من صباح اليوم التالي عندما اعجزه الاعياء عن مواصلة العدو، فوقف ينتظر وقد اسند ظهره الى جذع شجرة وهو يمسك بيده اليسرى فرعا غليظا كالهراوة، بينما تلتف قبضته اليمنى كالمخالب حول الحجر. وتوقفت الكلاب بعيدا عن متناول هراوته البدائية وهي تواصل النباح ولعابها يسيل، حتى ظهر

اثنــان مــن التوبــوب مقبليــن علــى صهوتي جوادين، ولم يكن كونتا قد رآهما من قبل، اذ كانا من قناصي العبيد المحترفين.

وترجل اكبر الرجلين سنا وسار نحوه وهو يحمل هراوة في احدى يديه وسوطا في اليد الاخرى. وعندما اقترب التوبوب قذفه كونتا بالحجز، وسمعه يصرخ ورأى الدم يسيل من رأسه.

وبدأ الرجلان يقتربان منه معا وقد حمل كــل منهمــا بندقيــة وهــراوة. وادرك من ملامحهما انه سيموت ولكنه لم يعبأ بذلك، وانهالا عليه بهراوتيهما حتى كاد ان يفقدوعيه ولكنه لم يكف عن المقاومة والصياح وهما يمزقان عنه ملابسه ويقيدانه الى شجرة. وبعد ان اعجزته قيوده عن الحركة استجمع عزيمته ليواجه ما توقعه مــن انهمــا سيضربانــه حتــى الموت.

ثم توقف التوبوب الذي جرح رأسه فجأة، وتغيرت ملامحه في ما يشبه الابتسامة، وخاطب زميله الاصغر سنا بكلمــات مختصــرة، فابــتســم هــذا ابتسامة بشعة وهز رأسه، ثم عاد الى حصانه وحل من سرجه بلطة صغيرة اعطاها لرفيقه.

ووقف التوبوب الجريح امام كونتا، واشار الى خصيتي كونتا ثم الى سكين الصيد الذي يحمله في حزامه، ثم اشار الى قدم كونتا والى البلطة التي يحملها في يده.

وفهم كونتا ان عليه ان يختار: اما قدمه او خصيتاه. وصاح بد من اعماق دماغه صوت يقول: ان الرجل، لكي يكون رجلا، لا بد ان ينجب ابناء، فاندفعت يداه تغطيان عورته.

وكان الرجلان التوبوب يبتسمان ابتسامة نجسة. ودفع احدهما بكتلة من الخشب تحت قدم كونتا اليمنى، بينما ربط الآخر القدم الى الشجرة رباطــا شديــدا لــم تفلــح معــه كــل محاولات كونتا العنيفة لتحريرها، ثم التقط التوبوب الجريح البلطة.

ظل كونتا يصيح ويحاول الافلات، لكن البلطة ارتفعت ثم هوت فبترت نصف القدم الامامي. وما ان تفجر فيها الدم حتى تلاشى كونتا وارتخى جسده.

امرأة اسمها "بل"

حين عاد كونتا الى وعيه تبين انه في مكان جديد، داخل كوخ، وكان مربوطا من معصميه وكاحليه، وقد رفعت قدمه اليمنى فوق شيء لين.

واقبل توبوب طويل القامة يحمل حقيبة صغيرة سوداء لم يره كونتا من قبل. ونش (طرد) التوبوب الذباب. وانحنى الى جانب كونتا وفعل شيئا بعث في كيان كونتا دفقات من الالم الهائل جعلته يصرخ كالنساء، فنادى التوبــوب: "بــل!"، فدخلــت امــرأة سوداء قصيرة القامة متينة البنيان وهي تحمل ماء في وعاء من الصفيح. واخرج التوبوب شيئا من حقيبته السوداء واذابه في الماء، ثم ركعت المرأة السوداء وامالت القدح كي يشربه كونتا. وكان طعم السائل غريبا ولم يلبث كونتا بعد تجرعه ان غرق في سبات عميق.

وعندما صحا ادرك انه في اعياء شديد: كان جانبه الايمن بكامله خدرا وشفتاه جافتين بالحمى وعرقه تفوح منه رائحة المرض. وحاول على غير وعي منه ان يحرك اصابع قدميه ففوجىء بدفقة الم بالغ ثم فتح الباب ودخلت المرأة السوداء ثانية

وتربعت الى جانبه وضغطت قطعة من القماش المبلل البارد على جبينه.

وفي زيارتها التالية حاولت ان تحثه على الاكل. وكان هزاله قد اشتد فبدا انحف مما كان في الاسبوع السابق عندما فوجئت بل وهي تقدم وجبة الظهر بمن يستعجلها لكي تعاون على رفع الكتلة الدامية من العربة، بعد ان اصدر "الشريف" امره الى قناصي العبيد بتسليم هذه الكتلة الى الطبيب ويليم والير، شقيق الرجل الذي يملك كونتا. وكان الطبيب، سيد بل، قد اكفهرت هيئته غضبا حين علم بأمر التشويه الذي اصاب كونتا.

ووضعت بل على صدر كونتا العاري كمّادة ساخنة قوية الرائحة يتصاعد منها البخار، صنعت من اوراق البيلسان الممزوجة بالكبريت، ثم وضعت قطعا مبللة من القماش فوق الكمّادة وغطت كونتا بلحاف ثقيل.

وصحا كونتا وشعر بزوال الحمى وتساءل: اين تعلمت تلك المرأة مثل هذه المداواة الشبيهة بالتي كانت امه بنيتا تصنعها من اعشاب ارض الله، كما نقلت اليها بالوراثة عن الاسلاف.

وبدأت حدة الم تخف، باستثناء الفترات التي يأتي فيها التوبوب الطويل القامة لمتابعة علاجه اليومي. وذات يوم فك الرباط الذي يوثق كونتا الى الاعمدة، وتمكن من النهوض مستندا الى مرفقيه، فقضى ساعات يحملق في الاربطة التي تلف ما بقي من قدمه. لقد قضى معظم عمره الذي يبلغ ١٨ موسما ماطرا وهو يجري ويرتع ويتسلق حيث شاء، وها هو الان ضحية الوحشية التي ارتكبها ذلك التوبوب حين بتر له نصف قدمه. ونفّس عن غيظه ومذلته بانتفاضته

سوني
SONY



KV-2012ME

في البداية ترينيترون، والآن بيتاماكس
سوني تعطيك الابتكار العظيم تلو الآخر



SL-8000E
بال سيكام
لتسجيل واعادة المشاهدة

في البداية انطلقت سوني بتكنولوجيا الفن التلفزيوني الى مستوى جديد بواسطة تلفزيون ترينيترون الملون. هذه التكنولوجيا تقدم لك الآن بيتاماكس، أول مسجل تلفزيوني للبيت. أربط بيتاماكس بجهازك التلفزيوني لتسجيل أي شيء ترغب بمشاهدة عرضه من جديد.
فإذا كان لديك برنامجان مفضلان في نفس الوقت. يمكنك مشاهدة احدهما في الوقت الذي يسجل فيه بيتاماكس الآخر.
ولتسجيل البرامج المفضلة أوتوماتيكيا وأنت خارج البيت، ما عليك إلا ضبط جهاز الوقت اليومي كما وان بإمكانك مشاهدة عرض التسلية المسجل مسبقا في أي وقت تشاء. حول غرفة الجلوس الى مسرح في البيت بواسطة الأفلام العادية والوثائقية. والبرامج العائلية من مختلف الأنواع. بيتاماكس يستخدم اصغر فيديو كاسيت واوفره كلفة في العالم. وهو سهل التوضيب والتعامل معه، وبالرغم عن أنه يتسع لشريط أطول من أي كاسيت آخر بالنسبة لحجمه، ويدوم أكثر من ثلاث ساعات.
كما وان جهاز بيتاماكس يو - لودنغ الذي انتجته وطورته سوني، أثبتت التجربة انه الأشد اعتمادا والاكثر متانة وحمولة اذاعية بين سائر أجهزة التسجيل التلفزيوني.
عشرون عاما من الاختبار في حقل التكنولوجيا، حققت لك أولا الترينيترون، ويحقق لك الآن بيتاماكس... الابتكار العظيم بعد الآخر.

Sony Betamax سوني بيتاماكس
شاهد ما فاتتك مشاهدته

على المرأة السوداء عندما جاءت تطعمه، فراح يزمجر بلغة الماندينكا ويدق بالقدح المعدني على الارض بعد ان شرب ما فيه، ثم استلقى، وقد تزايد غضبه، واخذ يفكر في ذلك الدفء الذي بدا في عيني المرأة عندما شاهدت فورته.

وبعد ثلاثة اسابيع نزع التوبوب الضمادات فأوشك كونتا ان يصرخ عندما رأى ان نصف قدمه المتورم تغطيه قشرة سميكة بنية اللون. ورش التوبوب على قدمه شيئا ثم لفها برباط خفيف وانصرف. وعاد بعد ثلاثة ايام يحمل عصوين متينتين لكل منهما رأس متفرع الى شعبتين. وكان كونتا قد شاهد الجرحى في جوفوري يستعينون على المشي بمثل هذه العصي.

وبعد انصراف التوبوب، تحامل كونتا على نفسه وجرّب العصوين فتمكن من التقدم بضع خطوات غير منتظمة مستعينا بأرجحة جسمه. وعندما جاءت بل تحمل اليه افطاره في الصباح التالي لمح علائم السرور على وجهها وهي تلاحظ آثار العصوين على الارض الترابية، فقطب في وجهها وابى ان يتقبل الطعام الا بعد انصرافها. أكل عندئذ بشهية تقارب النهم، علما منه بأن الطعام يمده بالقوة. ولم تمض ايام قلائل الا وقد اصبح يتجول حرا حول كوخه.

عازف الكمان

كان السود في تلك المزرعة يتجمعون في المساء عند الكوخ الاخير من الصف الذي يقيم فيه رجل يقارب الخمسين من العمر، اسمر البشرة، مما يدل على ان اباه كان ابيض. وكان كونتا يرهف اذنيه فيسمع من خلال باب كوخه الرجل الاسمر يتكلم بلا انقطاع تقريبا. وكان يسمع الآخرين ينفجرون حينا بالضحك ويمطرون الرجل احيانا اخرى بالاسئلة. وتساءل كونتا في نفسه عمن يكون ذلك الرجل.

وذات يوم مر كونتا بالكوخ فأومأ اليه الرجل الاسمر بأن يجلس على مقعد هناك، فجلس كونتا امامه.

وقال الرجل: "لقد سمعت عما يملأ نفسك من هياج وغضب. فأنت سعيد الحظ لانهم لم يقتلوك! فالقانون يجيز لكل من يقبض عليك في اثناء هربك ان يجهز عليك، والقانون يقول بقطع اذنك اذا قال البيض انك تكذب، والقانون يمنع تعليم القراءة او الكتابة للزنوج، والقانون يحظر دق الطبول على الزنوج او اتيان اي عمل من تلك الاعمال الافريقية..."

وما هم كونتا ان لم يفهم تماما ما يقوله الرجل، طالما تملكته النشوة لمجرد وجوده امام شخص يبادله الحديث مباشرة. وكان الرجل يحب الكلام. وفكر كونتا في نفسه: لو كان هذا الرجل يعيش في افريقيا لاصبح على الارجح راوية متجولا من اولئك الذين يروون تاريخ الملوك القدامى والعشائر والعائلات.

وظل كونتا ارقا الى ساعة متقدمة من تلك الليلة، تتنازع عقله صراعاته الداخلية. وتذكر شيئا قاله له ابوه ذات مرة عندما رفض السماح لاخيه لامي بأن يقضم جزءا من مانغو كانت في يده. فقال له عمر يومذاك: "اذا ما اطبقت قبضتك بشدة فلن يستطيع احد ان يضع شيئا في يدك". غير انه كان يعلم ايضا ان اباه لا يريده ان يصبح كسائر السود.

وذات عصر قال الرجل الاسمر فجأة: "انظر هنا! انت، انت يا توبي!"

فتصاعد الدم الى وجه كونتا غضبا وقال بعنف مندهشا من نفسه: "كونتا كينتي"٠ وكانت تلك اول كلمات يتفوه بها منذ أكثر من عام بعد وصوله الى ارض التوبوب٠

وقطب الاسمر جبينه استنكارا وقال: "انت توبي٠ يجب ان تتناسى ذلك الكلام الافريقي! فهو يثير غضب البيض ويرتاع له السود"٠ ثم نظر حوله والتقط شيئا خشبيا غريب الشكل له عنق اسود نحيل وقال: "كمان!"

وانتهز كونتا فرصة عزلتهما، فاعاد نطق الكلمة، وقال مترددا: "كمان٠٠٠"

وراح الرجل الاسمر يشير الى اشياء اخرى، "دلو٠٠٠ كرسي٠٠٠ قش ذرة"، وكونتا يكرر مفرداته٠ وعندما انتهيا من أكثر من عشرين كلمة، غمغم الرجل الاسمر: "أرى انك لست غبيا كما يبدو من مظهرك"٠

واستمرت الدروس٠ وبعد فترة، اصبح كونتا قادرا لا على الفهم فحسب وانما ايضا على التحدث بلغة مفهومة الى الرجل الاسمر الذي شاء ان يكون اسمه "عازف الكمان"٠

وذات يوم تلقى كونتا حذاء احضره رجل اسود يدعى جدعون يهتم بصنع اطواق الجياد واحذية السود٠ وكان النصف الامامي لاحدى فردتي الحذاء محشوا بالقطن٠ وضع كونتا الحذاء في قدميه، فشعر بلذعات في نصف قدمه اليمنى عندما مشى به حذرا حول كوخه، ولكنه القى في النهاية بثقله كله على القدم من دون ان يحس بألم شديد٠ وكان يظن قبل ذلك انه سيضطر الى العكازين على الدوام٠

وفي الاسبوع نفسه، سمع "عازف الكمان" من لوثر، سائق العربة

الاسود، ان كونتا اصبح ملك التوبوب الطبيب، واخذ يشرح لكونتا بحرص وعناية: "يقول لوثر ان السيد حصل على عقد بتملك من اخيه الذي كان يملكك سابقا· والسود هنا يزعمون انه سيد طيب· وقد رأيت من هو اسوأ منه· ولكنهم جميعا لا خير فيهم"·

وفي تلك الاثناء تقريبا، كان كونتا يعنى بتقويم زمني درج فيه بانتظام على اسقاط حصوات في قرعة فارغة· وقد قدر انه قد انفق ١٢ قمرا في مزرعة التوبوب الاول، فأسقط في القرعة ١٢ حصاة، ثم اسقط ٦ حصوات اخرى عن الفترة التي قضاها في بلاد التوبوب· فبلغت في جملتها ١٨ قمرا· وأضاف كونتا الاشهر الثمانية عشر الى مواسمه الماطرة السبعة عشر التي عاشها قبل خطفه من جوفوري، فقدّر انه الان في عامه التاسع عشر·

"انتهت الحرب"

وبعد مضي وقت قصير، اقبل على كونتا رجل اسود عجوز يفلح حديقة صغيرة للخضر وقال له: "لقد امر السيد بأن تعمل معي"، واوضح لكونتا كيف يعزق الاعشاب الضارة ويزيل الديدان عن ثمار الطماطم (البندورة) والحشرات عن ثمار البطاطا· وعندما مرض البستاني العجوز، اصبح كونتا يفلح الحديقة وحده· وتتابعت الايام غائمة في ذهنه حافلة بالتعب والعرق وهو يكدح في حراثة الحديقة وزرعها وقطف غلالها وتقديم الخضر الى الطاهية السوداء بل كي تطبخها للبيت الكبير·

ولدى حلول الليل كان التعب يبلغ منه مبلغا يعجز معه عن القيام بأي شيء سوى القاء جسده المكدود على الفراش المحشو بقش الذرة، فينام بملابسه التي بللها العرق·

وفي بعض الاحيان كانت تراوده فكرة الفرار، غير ان الذكريات الرهيبة لما قاساه كانت تهمد هذا الحافز وتحمله على التعقل·

وذات صباح في شهر مارس (آذار) من عام ١٧٧٠، اندفعت بل نحو الحديقة هائجة الاعصاب تصيح بلهجة مليئة بالاضطراب: "لقد انصرف الان رئيس الشرطة بعد ان اخبر السيد ان هناك قتالا كبيرا يجري في الشمال في مكان اسمه بوسطن! والسيد قلق جدا لذلك"· ثم جاء لوثر سائق العربة بمزيد من المعلومات فقال: "لقد ثار اهل بوسطن ثورة شديدة على ذلك الملك المقيم عبر البحر الكبير وهاجموا جنوده، فأطلق الجنود النار وكان اول من قتل كريسبوس اتوكس، وهو زنجي! وقد وصف ذلك بمذبحة بوسطن"·

ودرج لوثر منذ ذلك الوقت على نقل اخبار يستقيها من العبيد وسائر السائقين الذين يحدثونه عن الخلاف القائم مع انكلترا· وقلما مر يوم واحد من دون ان يتلقى العاملون في الحقل نبأ من مزرعة مجاورة او من عبد عابر على بغله وهو ينادي بنغمة مستطيلة: "يو·· هو·· آه·· هو·· ألا تسمعون ندائي؟" فيهرع اقرب العاملين في الحقل الى ملاقاة صاحب النداء ليلتقط منه آخر الاخبار، ويسرع عائدا الى الحقل لينقلها بدوره الى الآخرين·

واستمرت الانباء، عبر الفصول، في شذرات متناثرة، عما يحدث هناك في الشمال· وبينما كان كونتا يلقي حصاة بعد اخرى في قرعة تقويمه الزمني، كان يحاول ان يفهم ذلك كله· وقد تبين له باطراد ان اناس

التوبوب يواجهون ازمة شديدة مع ملك التوبوب. ووجه كونتا اهتمامه الخاص الى ذلك الشيء الذي يسمونه "الحرية"، وكان افضل تفسير لها هو الذي حصل عليه من "عازف الكمان" فقد قاله له ان معنى الحرية هو الا يكون للانسان سيد على الاطلاق، وان يفعل ما يريد ويذهب حيثما شاء. ولكن كونتا استغرب الامر وأخذ يسأل نفسه: "لماذا يضطر البيض الى الحديث عن الحرية؟ وما الذي يحرمهم اياها؟".

وجاءت الاثارة الكبرى مع الاخبار التي وردت في اواخر عام ١٧٧٥ تفيد ان اللورد دانمور، الحاكم الملكي لفرجينيا، قد اعلن منح الحرية للعبيد الذين يتطوعون للخدمة في اسطوله لمعاونة ملك التوبوب. وبعد ذلك بفترة قصيرة استدعى السيد والر الطاهية السوداء بل الى قاعة الجلوس في البيت الكبير، وقرأ عليها ببطء مرتين متواليتين خبرا منشورا في صحيفة "فيرجينيا غازيت"، ثم امرها بأن تكرره على مسامع العبيد وتطلعهم على معناه. وكان الخبر يقول ان مجلس المواطنين في فرجينيا قرر "... ان يعاقب بالموت من دون حضور رجال الدين كل زنجي او عبد آخر يتآمر بقصد التمرد".

وسأل احد عمال الحقل: "ما معنى ذلك؟"

فقال "عازف الكمان" بجفاء: "معناه انك اذا تمردت فان البيض لن يستدعوا قسيسا عندما يعدمونك".

وازدادت الاثارة في الصيف التالي حين عاد لوثر من عاصمة المقاطعة بأخبار تقول ان "جميع البيض لا ينقطعون عن الصراخ والضحك. شيء له علاقة بما يسمونه اعلان الاستقلال".

وهز البستاني العجوز رأسه وقال: "ليس في هذا ولا في ذاك ما يدعو الزنوج الى الاغتباط والتهليل، لان



انكلترا والشعب هنا كلهم بيض سواء بسواء".

وفي عام ١٧٧٨، جاءت بل بخبر يقول ان العبيد نالوا وعدا بالحصول على حريتهم اذا هم تطوعوا في الجيش عازفين على القرب او كشافين. وسأل احدهم عن معنى كلمة "كشاف"، فأجاب "عازف الكمان": "معناها ان تكون في الطليعة وان تقتل!" وعندما انبأتهم بل بعد ذلك بأن هناك ولايتين، كارولينا الجنوبية وجورجيا، قد رفضتا السماح للعبيد بالتطوع في الجيش، جاء الرد سريعا من "عازف الكمان": "ذلك هو الشيء الوحيد الطيب الذي سمعته عن اي من هاتين الولايتين!"

وفي شهر مايو (ايار) من عام ١٧٨١ بلغهم النبأ المذهل: ان الجنود ذوي السترات الحمراء (الانكليز) من راكبي الجياد قد دمروا مزرعة السيد توماس جفرسون. ثم اخبرهم لوثر ان جيش السيد جورج واشنطن آت لانقاذ فيرجينيا - "وهو يضم كثيرا من الجنود الزنوج!" وفي اكتوبر (تشرين الاول) من العام نفسه هاجم الجيش قوات الجنرال كورنواليس عند يوركتاون، ولم يلبث ان علا الصياح في مساكن العبيد عندما نقلت الانباء استسلام الجنرال كورنواليس.

وراحت بل تردد لكل من تلقاه: "انتهت الحرب! جاءت الحرية! يقول السيد ان السلام سيسود الآن".

ولكن "عازف الكمان" علق على ذلك بلهجته المريرة المألوفة فقال: "لن يكون هناك سلام ولا هراء من هذا القبيل! اصغوا الي جيدا: ان الامور ستزداد سوءا، بالنسبة الى الزنوج".

حديث العبيد

بعد انتهاء الحرب بقليل ساعد لوثر فتاة من العبيد على الفرار، فاكتشف امره وبيع بالمزاد، وخلفه كونتا في قيادة العربة، ففسح له عمله الجديد آفاقا شاسعة، اذ كان يصحب الدكتور والر في جولاته لمعاينة مرضاه، فأتاح له ذلك ان يزور كثيرا من المزارع في ارجاء المنطقة، وان يرى البيض الفقراء ويطوف بالمدن القريبة.

وذات مرة، رأى في الفناء الخلفي لاحد البيوت الكبيرة امرأة شديدة السواد بدا انها من قبيلة الوولوف، وكان ثدياها الكبيران متدليين عاريين، يرضع طفل توبوب من احدهما، وطفل اسود من الآخر. وعندما وصف المشهد بعد ذلك للبستاني العجوز قال له الرجل: "قلما يوجد في فيرجينيا سيد لم ترضعه او تربيه امرأة سوداء".

ولكم اشتدت دهشة كونتا عندما علم، من خلال احاديثه مع بل و"عازف الكمان" والبستاني العجوز حول هذه الامور، ان كثيرين من الصغار البيض والسود قد تربوا معا وتعلق كل منهما بالآخر تعلقا كبيرا، وقال البستاني العجوز ان ثاني مزرعة حل بها كانت تضم صبيا من التوبوب وصبيا اسود نشآ معا، وفي النهاية اصطحب السيد التوبوب الشاب ذلك الفتى الاسود معه الى كلية "وليموماري".

واضاف: "وروى الفتى الاسود ان السادة كثيرا ما يصطحبون زنوجهم الى قاعة الدراسة ثم يتجادلون بعد ذلك ويتفاخر كل منهم بان زنجيه قد تفوق علما على زنوج الآخرين. ولم يقتصر ذلك الزنجي الذي عرفناه على تعلم القراءة والكتابة فحسب، بل تعلم الحساب ايضا وحفظ الاشعار وتلك الاشياء الاخرى التي لديهم في الكلية".

وعلق "عازف الكمان": "ان لم يمت حتى الان فهو كبير الحظ، لان البيض

يسارعون الى الارتياب في اي زنجي مثل ذاك، فيكون هو اول من يتهمونه باثارة التمرد او العصيان. فلا حاجة اذا الى التعلم اكثر من اللازم لان عاقبة الامر خسارة محققة".

وكان السيد والر يدعو بعض الاحيان احد اصدقائه الى الركوب معه. وكان ظهر كونتا المتصلب آنئذ لا يوحي اطلاقا بانه يسمع كل كلمة تقال. فكان الشخصان يتحدثان وكأنه هو غير موجود. وقلما كان البيض ينتقلون في عربة واحدة من دون ان يعربوا عن المخاوف المنتسرة في اقليمهم من مؤامرات العبيد وثوراتهم: "لم يكن من الجائز لنا ابدا ان نسمح لهم بحمل السلاح ضد بيض آخرين في اثناء الحرب. وها نحن نشهد النتيجة الان!"

واستأنف السيد والر حديثه قائلا انه قرأ انباء عن اكثر من ٢٠٠ حادث تمرد وعصيان قام بها العبيد منذ وصلت اولى السفن التي تحمل الرقيق. واضاف: "غير اني الى جانب ذلك قد رأيت بعض الوفيات بين البيض. حسنا، لن ادخل في التفاصيل ولكني اقول فقط انها تبعث على الشك".

وكان كونتا، في الواقع، يعلم كل ذلك بل واكثر منه. فكثيرا ما كان السود يلتقون سرا. وقد سمع في هذه المقاطعة عن رجال سود اقسموا على قتل سيدهم او سيدتهم، وكان يدري بوجود بنادق مخبأة كما تناهت الى سمعه همسات عن ثورات معتزمة.

وكان اكثر مصادر كونتا، خصوصا الاخبار الواردة من اماكن بعيدة، يتصادف مع وجود السيد في مقر مقاطعة سبوتسيلفانيا، عندما تصل عربة البريد المسرعة بما تثيره من زوابع الغبار فلا يكاد يتم افراغ اكياس البريد وحزم صحيفة "فرجينيا غازيت" حتى يتجمع عشرات من السادة واصحاب الحوانيت وغيرهم من رجال التوبوب في حلقات، ويتحدثون ويتصايحون. وكان كونتا عادة على مقربة منهم يسمع ما يقولون.

وامتلأت اذناه بما عبر عنه التوبوب من حنق وغضب لتزايد عدد من يسمونهم "الكويكرز" الذين تقول الصحيفة انهم يشجعون السود على الفرار، بل وقد بدأوا يساعدون امثال هؤلاء الهاربين ويخفونهم ويوجهونهم الى طريق الحرية في الولايات الشمالية.

وحين عاد كونتا الى المزرعة، تحدث عما سمعه ورآه، كعادته، بينما جلس العبيد جميعا عند كوخ "عازف الكمان" ينصتون اليه ببالغ الاهتمام. وقالت بل انها سمعت لتوها السيد والر وبعض ضيوفه على العشاء يعلقون بسخط ومرارة على نبأ مؤداه ان نظام الرقيق والعبودية قد الغي حديثا في ولاية شمالية تسمى "ماساتشوستس"، وان هناك ولايات اخرى بالقرب منها سوف تحذو حذوها.

وسأل احد عمال الحقل: "ما معنى كلمة "الغي"؟

فأجابه البستاني العجوز: "معناها اننا نحن الزنوج جميعا سنصبح احرارا يوما ما!"

الهاون والمدقة

في ربيع عام ١٧٨٨ بلغ عمر كونتا ٣٨ موسما ماطرا. وجال في خاطره انه لو كان في افريقيا لكان تزوج من زمن واصبح الان ابا لثلاثة ابناء او اربعة، ولكن العمر المناسب للعروس آنئذ

يجب ان يراوح بين ١٤ و١٦ موسما، كما هي الحال في جوفوري. اما هنا في بلاد التوبوب فانه لم ير انثى سوداء واحدة في هذه السن الا وهي بلهاء سخيفة العقل، تقهقه كالمعتوهة.

والواقع ان المرأة الوحيدة التي كان يعرفها جيدا هي بل، ولكنها تتجاوز الاربعين موسما، وكانت هي الاخرى قليلة الاحترام للرجال، وثرثارة كذلك.

غير انه تذكر كيف عنيت به بل حين كان على وشك الهلاك، فمرضته واطعمته ونظفته وشفته من الحمى، ولم تتوقف عن طهي اطايب لا تنتهي من اجله تصنعها من دقيق الذرة الذي تطحنه بيدها على رغم ان هاونها الحجري ومدقتها لا ينعمان الطحين مثل الهواوين المنحوتة من الخشب الصلب والتي يستخدمها اهل جوفوري.

وانطوى كونتا على نفسه اياما وهو يقلب الامور في ذهنه. وذات مساء بعد ان اطعم الجياد، التقط كتلة قديمة مهملة من خشب الجوز الامريكي الصلب وحملها الى كوخه وبدأ ينحتها. وكان يرى بعين خياله الهاون والمدقة اللذين صنعهما ابوه عمر ثم اصبحا ناعمين لكثرة ما استخدمتهما امه في الطحن.

وكلما توافر له بعض الفراغ، كان يجلس في كوخه محاولا صنع هاون من خشب الجوز بواسطة الفأس والسكين. وما ان انجز المهمة حتى راح يبحث عن فرع قويم متين من خشب الجوز ايضا وفي سمك ذراعه ليصنع منه مدقة متقنة تتناسب مع شكل قاع الهاون وقد صقل الجزء الاعلى من المدقة بالمبرد، في بداية الامر، ثم بالسكين واكمل تنعيمه اخيرا بقطعة من الزجاج.

وبعد ان اتم عمله، حمل الهاون والمدقة متجها الى مطبخ بل، ووضعهما امام بابه على الدرج. وسمعت بل صدى الصوت المكتوم الذي احدثه الهاون عندما القاه كونتا على الدرج، فالتفتت ورأت كونتا يسرع مبتعدا. وتأملت النحت، فقدرت الجهد الذي بذله كونتا وتحركت مشاعرها، ولاسيما انها للمرة الاولى في حياتها تتلقى من رجل شيئا صنعه خصيصا لها بيديه. بل انها في الحقيقة لم تكن واثقة من انها هي المقصودة فعلا بهذه المبادرة.

وحين عاد كونتا بعد الظهر ليسأل اذا كان السيد يحتاج اليه، قالت له بل بعفوية وهي تشير الى هديته: "ما هذا؟"

واحس كونتا بالحرج الشديد، فأجاب منتفضا: "هذا لك كي تطحني فيه الذرة".

واقتصر الحديث بينهما طوال الاسبوعين التاليين على تبادل التحية، ثم قدمت بل ذات يوم كعكة مستديرة من دقيق الذرة بدا له انها اعدت طحينها في الهاون الذي صنعه لها، فغمغم شاكرا وحمل الكعكة عائدا بها الى كوخه.

وبعد ذلك اصبحا يلتقيان اكثر من ذي قبل. وعلى رغم ان بل كانت هي التي تتولى عادة مهمة الحديث. الا ان كونتا كان يزداد انجذابا اليها.

وذات صباح في شهر اغسطس (آب) عام ١٧٨٩، دعت بل كونتا الى تناول العشاء معها في كوخها، فلم يقل شيئا. غير انه بعد انتهاء العمل استحم ونظف نفسه بعناية بقماشة خشنة وبقطعة من صابون الرماد البني. وبينما هو يرتدي ملابسه بعد استحمامه اذا به يردد بصوت خافت

اغنية من اغاني قريته: آه يا ماندومبي الحلوة، حلو جيدك الطويل، حقا حلو.." ولم يكن لبل جيد طويل.. ولكن هذا بدا شيئا لا أهمية له.

كان كوخ بل اقرب اكواخ السود الى البيت الكبير. وعندما فتحت له الباب وجد نفسه داخل غرفة حميمية الجو توحي بالراحة والدفء بجدرانها الخشبية المثبتة بالطين ومدفأتها القرميدية اليدوية الصنع. وكان للكوخ نافذتان وحجرتان. وستار مسدول بينهما. وقد وضعت وسط الغرفة الرئيسية طاولة عليها وعاء ملىء بالزهور التي قطفتها بل من حديقتها. كما وضعت على النار وعاء لتسخين الدجاج والفطائر من تلك التي يحبها كونتا.

ودعته بل الى تناول العشاء مرة اخرى، فأعدت له اشياء من تلك التي قال لها كونتا انها تنمو في غامبيا ايضا: فاصولياء منقوطة وحساء بالفول السوداني وثمار اليام مخبوزة بالزبدة. وعندما كان كونتا يراها تطحن دقيق الفطائر في الهاون وبالمدقة اللذين اهداهما اليها يقفز به الخيال الى جوفوري فتتراءى له بل وهي تطحن الحبوب في القرية.

وذات مساء، عندما جاء الى العشاء مرة اخرى، اهدى اليها حصيرة جدلها من نبات الديس (الحلفاء) وصمم في وسطها رسما بارزا من رسوم الماندينكا. وصاحت بل عندما رأتها: "لن اسمح لاحد ابدا بان يضع قدميه على هذه الحصيرة!"، وحملتها الى غرفة نومها ثم عادت بشيء في يدها، وهي تقول "كنت انوي ان اهديهما اليك في عيد الميلاد، ولكني سأصنع لك شيئا آخر غيرهما...".

وتأمل كونتا في هديتها فوجدها



زوجا من الجوارب، احدهما له نصف قدم مع وسادة لينة من الصوف في مقدمه. ووقف الاثنان عاجزين عن الكلام، وغمر احساس غريب جوانح كونتا، وامتدت يد بل تبحث عن يده. وللمرة الاولى في اعوامه التسعة والثلاثين احتضن امرأة في ذراعيه.

الطفلة البكر و..."فا"

وبعد الحصول على اذن السيد والر، اتم كونتا وبل مراسم "القفز فوق المكنسة"، (وهي طقوس زواج العبيد) يوم وقفة عيد الميلاد عام ١٧٨٩. وجرى الاحتفال البسيط في كوخ بل حيث تجمع سكان محلة العبيد وشاهدوا كونتا وبل يضفران اذرعهما ويقفزان معا فوق عصا مكنسة مبسوطة على الارض وسط الحجر.

ثم اقيمت وليمة الطعام والشراب. ولاحظ كونتا في قلق ان بل تستمتع بالنبيذ الذي ارسله السيد هدية. وسمعها تسر الى صديقة لها: "الحقيقة يا اختي ماندي، ان عيني وقعت على هذا الرجل منذ عشر سنين!" فغرق كونتا في خجله وارتباكه.

وفي ربيع عام ١٧٩٠ اعلنت له بل انها حامل، فامتلأت نفسه ابتهاجا، ورأى بعين خياله وجه طفله يشرق من صرة تشدها بل الى ظهرها.

وجاء الوليد في شهر سبتمبر (ايلول)، وبقي السيد والر مع بل في الكوخ اكثر من ساعتين، بينما جثم كونتا في الخارج يسمع انين بل الحافل بالالم يرتفع ويتزايد الى صراخ يمزق سكون محلة العبيد. واخيرا تصاعد صراخ الوليد الحاد ثم خرج السيد والر من الكوخ، وقال: "لقد كانت ولادتها عسيرة ولكنها ستنهض سالمة. يمكنك الان ان تدخل وترى طفلتك".

وغاص قلب كونتا بين جنبه. فتاة! ولكنه دخل الكوخ فوجد بل هادئة ساكنة، وما ان رأته حتى ارتسمت على وجهها المجهد ابتسامة ضعيفة. وقبلها كونتا، ثم وقف برهة طويلة يحملق في المولودة السوداء، وكانت لها ملامح الماندينكا بلا شك. وفكر في انه لا يستطيع هنا ان يختفي مدة سبعة ايام - كما يفعل الاب الجديد في جوفوري - كي يهتدي الى اسم ينطوي على معنى كبير يطلقه على الطفلة. فهنا لا بد له ان يتخذ لها اسما على الفور.

وفي تلك الليلة، بينما كان يتمشى في الممرات التي شهدت تقاربه من بل، تذكر شكواها مما روته له عن احزانها. فقد سبق لها ان تزوجت قبل ان تبلغ سن العشرين، ولكن زوجها قتل وهو يحاول الفرار وترك لها طفلين رضيعين لكن سيدها تملكه الشك في اخلاصها بعد مقتل زوجها فباعها واحتفظ بالطفلتين. "فلم ارهما منذ تلك اللحظة، ولا اعرف اين هما الان، وهل هما على قيد الحياة اليوم او تخطفهما الموت!"

وفكر كونتا في ذلك، واختار لطفلته اسما معناه بلغة الماندينكا "انت تبقين هنا". ولم يطلع بل على الاسم، تبعا لتقاليد قبيلته التي تقضي بان يكون الرضيع هو اول من يسمع النطق باسمه.

وفي الليلة التالية وعلى رغم اعتراضات بل، حمل كونتا طفلته البكر بعد ان لفها جيدا في بطانية وخرج بها الى هواء الخريف البارد. وعلى مسافة قصيرة من محلة العبيد، رفعها بين يديه وهمس في اذنها اليمنى قائلا ثلاث مرات "اي - تو - مو - كيزي - ليه". (ان اسمك هو كيزي). ثم ازاح طرفا من البطانية وعرض الوجه الاسود الصغير على القمر والنجوم، ولفظ بصوت عال تلك الكلمات التي قيلت له ذات مرة منذ زمن بعيد في قريته في غامبيا: "انظري الى الشيء الوحيد الاعظم منك!"

وثارت بل عندما سمعت الاسم: "كيزي؟" هذا اسم لم يسمع به احد! ولن يجلب سوى المتاعب". ولكن كونتا شرح لها معنى الاسم فهدأت نفسا. وفي اليوم التالي ادرج الاسم في الكتاب المقدس الكبير الاسود الذي يحتفظ به السيد والر: "كيزي والر، ولدت في ١٢ سبتمبر (ايلول) ١٧٩٠".

كانت كيزي طفلة ذكية مليئة بالحياة - ومع مرور السنين بدأ كونتا يعلمها كلمات من لغة الماندنيكا، فكان يقول لها مشيرا الى نفسه "فا!"، وعندما كررت الطفلة، في النهاية، الكلمة وراءه ملأت جوانحه النشوة. وكلما انتشت كيزي، كان كونتا يعلمها كلمات اخرى اكثر تعقيدا مثل اسمه، كونتا كينتي، و"كامبي بولونغو" (وهو اسم نهر غامبيا بلغة الماندينكا)، وجوفوري. وحكى لها عن ابيه عمر وعن اخوته، وعن عشيرة كينتي وتاريخها منذ عراقته في امبراطورية مالي القديمة.

وكانت بل تعترض على ذلك في بعض الاحيان قائلة ان مثل هذه الامور من شأنها ان تثير لهم المتاعب مع السيد، لكن كونتا كان يصر على الاستمرار.

وكان لقرعة الحصى جاذبية خاصة لدى كيزي. وقالت لها بل: "اياك ان تلمسي هذه الحصي!". ولكن كونتا اسعده اهتمام الطفلة بها، واصبح

قسيمة اشتراك

اشترك في المجلة التي يقرأها أكثر من ١٠٠ مليون في ١٥ لغة

املأ هذه القسيمة وارسلها مرفقة بالقيمة المطلوبة الى "المختار" فتصلك المجلة فوراً.

الأسم	NAME ....
العنوان	ADDRESS ....
....	....
....	....
المهنة	PROFESSION ....
التوقيع	SIGNATURE ....

أود الاشتراك في "المختار" لمدة سنة كاملة
أرفق قسيمة إشتراكي بشيك مصرفي بأسم:

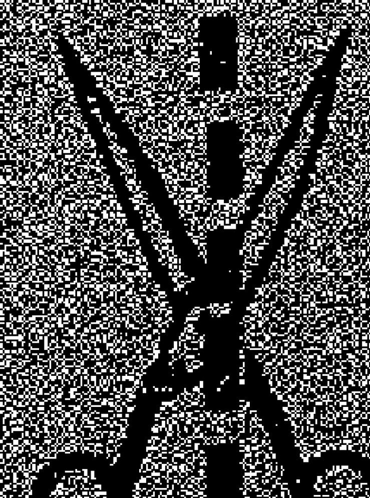
AL MUKHTAR min Reader's Digest

قيمة الاشتراك السنوي بما فيه بدلات الارسال الجوي:

☐ أوروبا وشمالي افريقيا	٢٢ دولاراً أمريكيا
☐ البلدان العربية	٢٥ دولاراً أمريكيا
☐ الولايات المتحدة - كندا وامريكا الجنوبية	٢٧ دولاراً أمريكيا
☐ أوستراليا والبلدان الأخرى	٣٠ دولاراً أمريكيا

عنوان "المختار":

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE



يسمح لها بأن تلقي بنفسها حصاة في القرعة كل صباح يتلو استهلاك القمر الجديد٠

وروى كونتا لابنته قصة اختطافه وحمله الى ارض البيض٠ وكان يصور لها قرية جوفوري ويقص عليها حكايات كثيرة يستمدها من ذكريات باتت قديمة٠ وكانت الفتاة تتعلم بسرعة وتتذكر جيدا على نحو بعث الغبطة في نفس كونتا٠ وكان يقول لها: "سيكون لك اطفال، ويجب ان يعرفوا منك خبر البلاد التي ينتمون اليها"٠

هذا البلد القاسي

اخذ العالم يتغير٠ فعندما اخترعت آلة حلج القطن، كانت كيزي لا تزال في الثالثة من عمرها، وما ان بلغت الفتاة العاشرة حتى بدأت تلك الآلة تغير انماط الحياة القديمة المستقرة في انحاء البلاد٠

وفي ١٨٠٢، اصبحت مزارع القطن في اعماق الجنوب مصدر رخاء مطرد، بفضل آلة الحلج، وراح تجار الرقيق يستعلمون من كل مالك للعبيد عن استعداده لبيع اي من عبيده٠ وكانت جماعات العبيد تساق نحو الجنوب الى الاراضي السوداء في ولاية الميسيسيبي وولاية الآباما٠ ونقلت بل الى محلة العبيد ما قاله السيد عن امتناعه عن بيع احد من عبيده ما لم يخالف العبد القواعد التي وضعها السيد٠ وتذكر كونتا امر لوثر سائق العربة السابق، وقرر ان يبذل كل ما في وسعه كي يتجنب المتاعب، طالما اصبحت حياته مرهونة ببل وكيزي٠

ومع ذلك فقد حدث خلال عام ١٨٠٦ وحده، عندما كانت كيزي في السادسة عشرة ان سيق ما يزيد على ٤٠،٠٠٠ من السود الى ولايتي جورجيا وكارولينا الجنوبية، وبلغت اسعار الرقيق مستويات لم يسمع بها من قبل حتى ان الرضيع الذي لا يتجاوز عمره بضعة اسابيع اصبح يساوي مئتى دولار٠

وذات صباح من ذلك العام، جاء رئيس شرطة المقاطعة لزيارة السيد والر، فأصدر هذا امره الى بل بالانصراف من المطبخ في اثناء الحديث، وسرعان ما قدرت ان في الامر شيئا، وانه يمسها على نحو ما٠ وقبل موعد الغداء بقليل استدعاها السيد والر الى البيت من جديد٠ وكان صوته يوحي بالتوتر والغضب وهو ينقل اليها النبأ الذي جاء به رئيس الشرطة: لقد قبض على احد العبيد العاملين في المزرعة بعد فراره وعندما ضرب ليعترف باسم من عاونه اقر بأن كيزي هي التي ساعدته٠ وقال: "انت تعرفين القواعد التي وضعتها٠ فلا بد من بيع الفتاة"٠

وحين عاد كونتا من جولته في العربة، اختلى به السيد والر في غرفة صغيرة في البيت الكبير واطلعه على ما سبق ان قاله لبل٠

وذهب كونتا الى كوخه فاقد الحس، وكأنه لم يفهم ما قاله السيد٠ ابنته كيزي تباع! ذلك امر يستحيل تصوره٠ وما ان اطل كونتا حتى بدأت بل بالصراخ: "لن يأخذوا طفلتي! لن يبيعوا صغيرتي!" ولم تلبث ان اتقدت في نفس كونتا مشاعر المرارة المختزنة وكل ما اضطرم في قلبه من ضغينة للتوبوب، وعاودته ذكريات الآلام المبرحة التي نزلت به في هذه البلاد القاسية٠

وعاد رئيس الشرطة عند منتصف

العصر ومعه احد تجار الرقيق. ودخل التاجر البيت وخرج منه وهو يمسك بسلسلة ربط طرفها الآخر الى اصفاد مغلقة على معصمي كيزي المنتحبة.

واندفعت بل من كوخها تصيح في وجه ابنتها سائلة: "هل فعلت ذلك حقيقة يا كيزي؟" وبسط الالم وشاح العذاب على وجه كيزي دلالة على انها قد عاونت العبد فعلا على الفرار.

وصرخت بل: "آه يا رب السماوات! الرحمة يا سيدي انها لم تقصد ذلك! لم تقصده! اتوسل اليك! يا سيدي، اتوسل اليك! اتوسل اليك!".

وقال السيد والر بجفاء: "الخطأ هو الخطأ، وانت تعرفين شريعتي. لقد بعتها وانتهى الامر". ثم اوما الى تاجر الرقيق فأخذ يجر كيزي الى عربته. فما كان من كونتا الا ان وثب نحو ابنته، وشدها اليه من خصرها بضمة قوية وكأنه سيسحقها. وصرخت الفتاة: "انقذني يا فا!".

وهوى رئيس الشرطة بمقبض مسدسه على رأس كونتا فسقط على ركبتيه وقد اصيب بالدوار لكنه استطاع، على رغم ذلك، ان يرى بعينيه الغائمتين تاجر الرقيق يدفع كيزي الى العربة وهي تقاوم وتتلوى وتلوح بذراعيها. ثم تحركت العربة وتزايدت سرعتها وراحت بل تعدو وراءها متعثرة وصراخ كيزي لا ينقطع.

واندفع كونتا الى اخر موضع وقفت فيه كيزي، وانحنى يجمع في يديه التراب الذي يحمل آثار قدميها. فقد كانت الارواح تقول: اذا احتفظ كونتا بذلك التراب فلا بد ان تعود قدما كيزي الى تلك البقعة.

"كان افريقيا"

باع تاجر الرقيق الفتاة لرجل يدعى توم لي، فأخذها الى مزرعة صغيرة في ولاية كارولينا الشمالية. ولم يلبث السيد الجديد ان فرض نفسه على كيزي واغتصبها فولدت صبيا يدعى جورج.

وعندما بلغ جورج الرابعة من عمره عرف من امه ان جده افريقي. وقلما كان اطفال العبيد في مزرعة لي يعرفون من كان آباؤهم، الا ان جورج امطر امه بالاسئلة لينال منها مزيدا من المعلومات عن ذلك الجد الذي قال ان اسمه كونتا كينتي والذي يسمي الكمان "كو" والنهر "كامبي بولونغو".

وراح يسألها: "من اين جاء جدي؟".

فترد امه: "كان افريقيا كما قلت لك!".

فيعود الى السؤال: "اي نوع من الافريقيين يا اماه؟ من اي مكان من افريقيا جاء؟".

وتذكرت كيزي ان اباها قد اوصاها باعلام اطفالها بوطنهم الاصلي، فروت لجورج ان كونتا كان يبحث قرب قرية تسمى جوفوري عن خشب ليصنع منه طبلة عندما اختطفه اربعة رجال ونقلوه في سفينة الى مكان يسمى "نابليس" (المقصود هو ميناء انابوليس في ولاية فيرجينيا)

وفي عام ١٨٢٧، عندما بلغ جورج سن الحادية والعشرين، "قفز فوق المكنسة" (اي تزوج) من فتاة تدعى ماتيلدا وانجبا سبعة اطفال بين عامي ١٨٢٨ و١٨٤٠. وكلما كان يولد طفل كان جورج يجمع الاسرة كلها في

كوخه فيضع الوليد الجديد على ركبته ومن حوله الاطفال الاكبر سنا قرب المدفأة، ويغرس في عقولهم قصة جدهم الكبير: "الافريقي الذي قال ان اسمه كينتي والذي كان يطلق على الكمان اسم "كو" وعلى النهر اسم "كامبي بولونغو ٠٠٠"٠

وكبر اطفال جورج وماتيلدا، وانتظم كل منهم في العمل الزراعي فور سماح سنه بذلك، باستثناء الابن الرابع توم الذي اصبح حدادا٠

وفي ١٨٥٦ افلس السيد توم لي صاحب المزرعة واضطر الى بيع عبيده، فذهبوا جميعا الى مزرعة تنتج التبغ في مقاطعة الامانس يملكها السيد موراي٠

وهناك تزوج الحداد توم في ١٨٥٨ من فتاة نصف سوداء ونصف هندية تدعى ايرين٠ وكلما كانت ايرين تنجب طفلا كان توم يفعل ما فعله ابوه وما فعلته جدته كيزي من قبل، فيطلع اطفاله على امر الافريقي الذي كان يسمى كينتا٠ وبعد انتهاء الحرب الاهلية الشاقة المريرة اصبح العبيد كلهم احرارا، ولكنهم لا يملكون ارضا ولا يعرفون مكانا يذهبون اليه، فظلوا في مزرعة موراي حيث تعاون آل موراي البيض وآل موراي السود على الكفاح من اجل الحياة٠

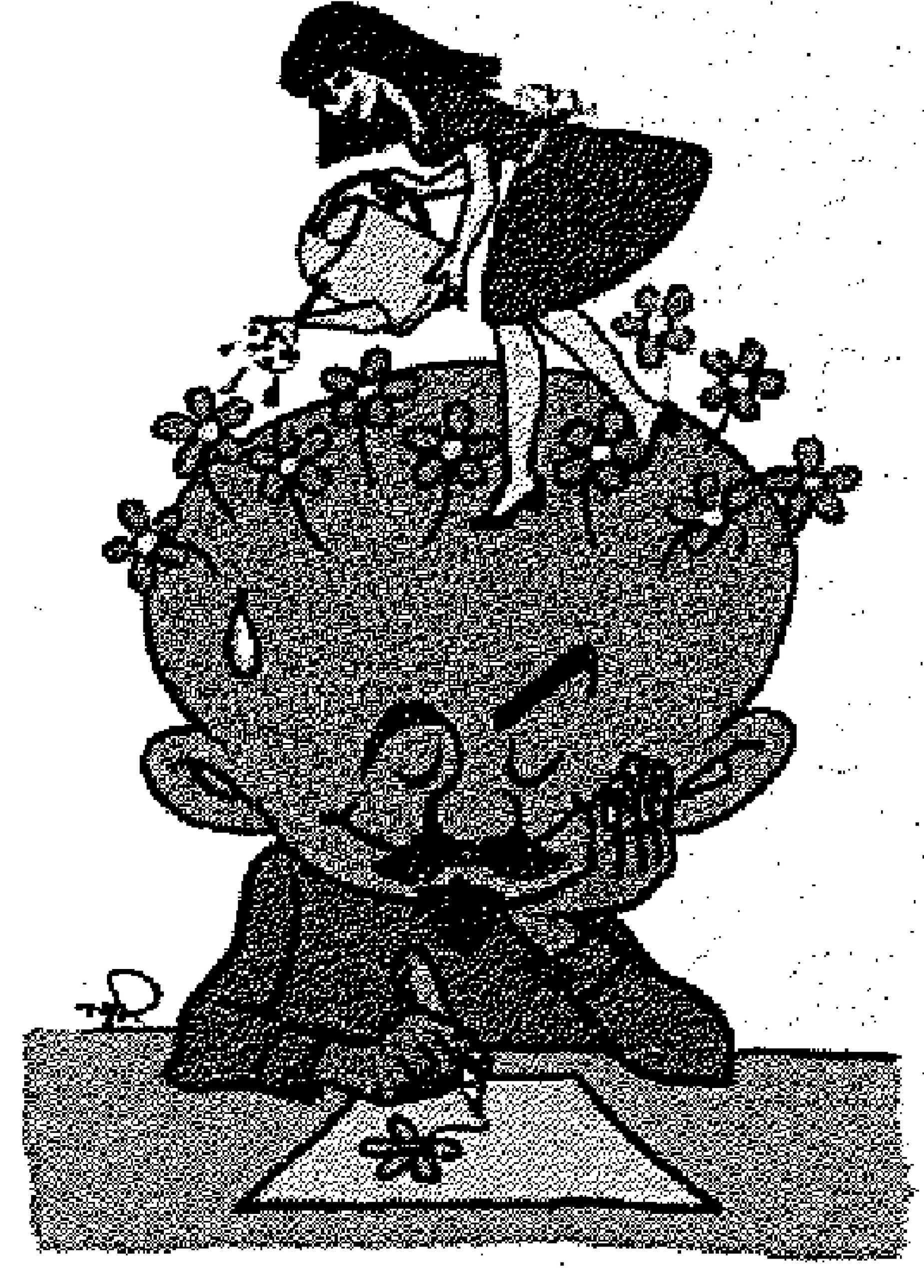
وفي عام ١٨٧٤ قاد جورج قافلة من ٢٩ عربة من الاسر السوداء خارجين من مقاطعة الامانس في كارولينا الشمالية متجهين عبر ممر كمبرلاند الجبلي (ثغرة كمبرلاند) الى مقاطعة هينيغ في ولاية تينيسي٠ وكان الذي يقود العربة الاخيرة من القافلة توم موراي الحداد، ابن جورج، مع زوجته ايرين واطفالهما السبعة٠ وكانت اصغر هؤلاء الاطفال فتاة عمرها عامان تدعى سينثيا٠

وكانت تلك البنت الصغيرة هي جدتي التي سمعت منها للمرة الاولى وانا جالس على ركبتها قصة "الافريقي" كونتا كينتي، فقادتني تلك القصة الى البحث عن "الجذور"٠

واليوم، لا تزال اسرة هيلي تعكس في صورة مصغرة ما يحفل به عالم الامريكيين السود من اتجاهات متغيرة وفرص متعاظمة٠ فقد كان سيمون والد المؤلف اليكس هيلي يشتغل بعض الوقت عاملا في عربات النوم في سكك الحديد في اثناء دراسته في جامعة ولاية كارولينا الشمالية للعلوم الزراعية والتقنية في مقاطعة جرينزبورو٠ وفي صيف عام ١٩١٦ كان يمارس عمله في القطار بين بافالو وبيتسبيرغ، فالتقى رجلا يدعى ر٠س٠م٠ بويس، كان مديرا لشركة كيرتيس للنشر٠ وقد قدم بويس بعذ ذلك الى سيمون هيلي العون المالي الذي اتاح له اتمام دراسته ثم اكمالها في كلية ولاية نيويورك للزراعة وعلوم الحياة ٠

اما والدة اليكس هيلي بيرثا فكانت معلمة في المدارس الابتدائية٠ واليكس له شقيقان، هما جورج و٠ هيلي الذي يعمل مديرا مساعدا في وكالة المعلومات الامريكية وجوليوس س٠ هيلي وهو مهندس في البحرية٠

اما اليكس هيلي نفسه، فقد اتجه منذ اعتزاله العمل في حرس البحرية الى احتراف الكتابة، واحرز نجاحا مطردا كمؤلف كتب وكاتب مقالات في المجلات ومؤلف سيناريو للسينما ٠



حديقة افكار

- يشرع الناس القواعد، حين لا يثقون بغرائزهم .

كينث ا . فيشر

- يكره الناس من يضطرونهم الى الكذب عليهم .

فيكتور هوغو

- الحكيم ليس من يقدّم الاجوبة الصحيحة، بل من يوجه الاسئلة الصحيحة .

كلود ليفي شتراوس

- كل شخص يود اصلاح العالم . وكل شخص يستطيع ذلك اذا بدأ باصلاح نفسه .

ك.هـ.ف.

- ليس من الحكمة في شيء أن تحب للآخرين ما تحب لنفسك . فأذواقهم قد تختلف عن ذوقك .

جورج برنارد شو

- خير اختبار لمدى حبي لزملائي، هو اليوم الثالث من مؤتمر يستغرق ثلاثة أيام .

ج.و.

- لا تخلف الخطب الا حجب دخان، ولا تخلف البلاغة غير آثار ضباب، اما الصدق فيخلف التزاما .

ت.س.

- ترى كم سيكون الكلب رفيقا اكثر نفعا لو استعاض عن النشيج في اثناء عاصفة رعدية منتصف الليل، بالقفز نحو النافذة واغلاقها .

عن كتاب "مختارات عاشق الكلاب"



درس من ايران للشرق والغرب ص ٢٣

الايقونات: فن ساحر ص ٧٠

زرع الكلى حياة جديدة ص ٤٧

لبنان ٤٥٠ق - سوريه ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٠٠ف - الامارات العربيه
المتحده ٦د - قطر ٦ر - البحرين ٦٠٠ف - السعوديه ٦ر - مصر ٥٠٠م - السودان ٥٠٠م -
ليبيا ٦٥٠د - اليمن الجنوبيه ٦ر - مسقط ٦ر - العراق ٦٠٠ف - تونس ٧٠٠م - المغرب ٣د -
الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - انكلترا ٧٥ب - اليونان ١٠٠د - كندا وامريكا الشماليه ٢د.

AL MUKHTAR *MIN* Reader's Digest September 79 N° 10